حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 2

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء 17 يناير 2024

5 رجب 1445

8 طوبة 1740

مشروع وحيد

لأول مرة.. نص حلقتين من مسلسل «الجماعة 3»

العارفات بالله

روحى أنثى صوفية

ملف 11:14

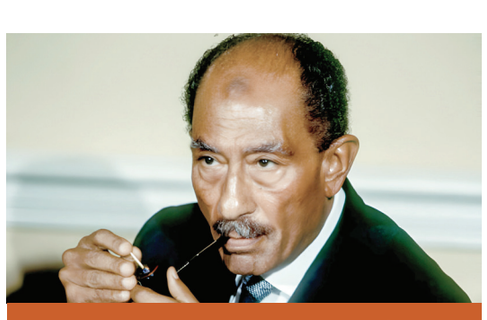

سلوى بكر تكتب: براءة السادات

معرض الكتاب فى 13 سؤالًا

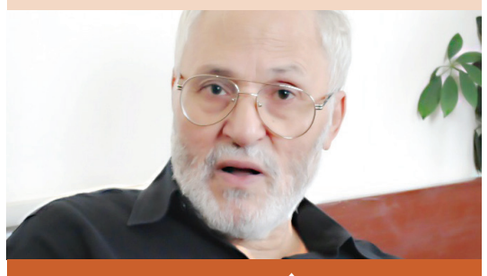

اعترافات فتحى إمبابى

سيد قطب سرق عنوان كتابه «معالم فى الطريق»

لماذا حرف؟

أزمة صحافة.. أم أزمة صحافة ورقية؟

منذ سنوات اجتمعنا فى الهيئة الوطنية للصحافة، لنناقش أزمة ارتفاع سعر ورق ومستلزمات الطباعة، حاولنا الوصول إلى حل لإنقاذ الديناصور الذى يقف على حافة الانقراض، فرفع سعر الجريدة الورقية لن يفيد، الإقبال عليها بسعرها الحالى ليس مجديًا، فما بالنا برفع السعر دون زيادة فى عدد الصفحات، كان هناك من اقترح أن يزيد السعر ويقل عدد الصفحات... تصوروا؟

لم ننته إلى شىء محدد، تحدثنا عن مصانع محلية للورق يمكن أن تخفف وطأة الاستيراد، وعن تجويد الخدمة حتى نجذب القارئ، وعن السقف الذى يجب أن يرتفع، وعن الكوادر التى تقود المؤسسات الصحفية وضرورة تأهيلها، وعن الدعم الذى يجب أن تقدمه الدولة والقطاع الخاص والمجتمع الأهلى للصحف من خلال زيادة عدد الاشتراكات بها... ثم اتفقنا على اجتماع آخر لم يأت أبدًا.

فى هذا الاجتماع تبلورت فكرة مهمة أمامى وهى أننا فى مصر لا نعانى من أزمة صحافة، ولكن الصحافة الورقية هى التى تعانى، الوسيط أصبح عاجزًا، لكن المحتوى ليس كذلك.

كان السؤال الذى شغلنى: لماذا لا نعمل على تنمية الوسائط الأخرى التى تصل بسهولة إلى القارئ، لدينا المواقع الإلكترونية، ولدينا صفحات شبكات التواصل الاجتماعى، ولدينا الفيديو الذى يمكن أن ينتصر على كل الوسائط بالضربة القاضية، فما نكتبه بآلاف الكلمات يمكن أن يقدمه فيديو لا يزيد على ثلاث دقائق.. ينتشر أكثر ويكون مؤثرًا أكثر.

خلال السنوات الماضية عملنا على تنمية وسائطنا الإلكترونية حتى توحشت بالقدر الذى التهم تقريبًا كل ما تبقى من الصحف الورقية التى هى بالفعل فى النزع الأخير بسبب عوامل لا يمكن أن نسألها وحدها عنها، ولكن هناك عوامل خارجة عن قدرتها هى التى تحكم وتتحكم وتحدد السوق الجديدة للمحتوى الصحفى.

كانت لدىّ فكرة امتلكت على تفكيرى، فأنا واحد ممن تربوا فى مطابخ الصحف الورقية، ما زلت أستمتع وأنا أجلس لأرسم الصفحة الأولى، أقف أمام شاشات الكمبيوتر لأتابع تنفيذها، أعتبر ما نقوم به أنا وزملائى عملية خلق متكاملة، نبعث من خلالها الروح فى الأوراق الصامتة، نمنحها ألوانًا وصورًا وتصميمًا، يحيلها من سطح أبيض محايد لا موقف له إلى كائن حى يتنفس ويتحرك ويشاغب ولا مانع أن يجامل أحيانًا.. فالجريدة الورقية عندى كائن حى متكامل، لا ينقصه شىء إلا أن ينطق.

كانت فكرتى أن نقوم بإصدار صحيفة فى شكل ورقى ننشرها عبر وسيط إلكترونى، سبقنى إلى ذلك زملاء آخرون فى مؤسسات صحفية عريقة، فعندما تم إغلاق الصحف المسائية تحولت إلى صحف إلكترونية بنفس شكلها، لكن يبدو أن ذلك تم اضطرارًا وليس عن قناعة، كان هذا هو البديل المتاح.

لم أكن مضطرًا لإصدار «حرف» الجريدة الثقافية الإلكترونية الأولى فى مصر، كنت مستمتعًا تمامًا ونحن نفعل ذلك، وزادت من قناعتى بأن نكمل بها مشوارًا طويلًا ردود الأفعال على العدد الأول، خاصة أننا أنتجنا عددًا بأفران الصحافة الساخنة، أخذنا من الثقافة سبيلًا إلى الوصول إليكم، فلا تزال الثقافة هى التجلى الأعظم لمصر وتاريخها وحضارتها وواقعها ومستقبلها.

إننا أمام تجربة يمكن أن تكون علاجًا نفسيًا لمن يتنفسون هواء الصحف الورقية المعطر بأحبار المطابع لكن دون أحبار حقيقية، وفى الوقت نفسه تصل إلى أكبر عدد من القراء، فليس عليك إلا تصفح الجريدة فى شكلها الجديد، فغاية الكاتب أن يكون مقروءًا، وليس مهمًا لديه الشكل الذى ستكون عليه هذه القراءة.

لقد بدأنا وأعتقد أننا سنعيد للكلمة المكتوبة حقها فى الانتشار.. سنجعل من «حرف» ساحة كبيرة للنقاش والحوار والإبداع.. لقد فتحنا الباب وليس عليكم إلا الدخول إلى عالم مدهش وبراق وساحر.. إنه عالم الصحافة المنطلقة بعيدًا عن حديث الوسائط العقيم.

الباز

أكره قبر أمى

كثيرة هى الأشياء التى
بها نخدع أنفسنا ونضحك
عليها:
«هيا نزر أمى»
أمى؟!!
أمى لم تكن جمادًا
أمى لم تكن صمتًا
أمى لم تكن مكانًا يقبض
القلب
أمى كانت لحمًا ودمًا
كانت عِناقًا
كانت ضحكة
كانت كلمة
أبدًا... أمى لم تكن «قبرًا»

شعر: كرم منصور

P.23

«حرف» الدستور يكتب فصلًا جديدًا فى تاريخ الصحافة المصرية

فاجأتنا أسرة جريدة «الدستور» بإصدارها الجديد «حرف» لتكمل مسيرتها فى السير فى طريق مختلف ومتفرد رغم صعوباته الكثيرة. يتمثل هذا الطريق فى التعبير المعتدل عن الشخصية المصرية الحقيقية المتميزة بالثراء الشديد مع منح الكُتّاب مساحة كبيرة جدًا من الحرية فى اختيار الموضوعات أو الحرية فى التعبير عنها، وتجربق الشخصية مع «الدستور» ومن خلال ما يقارب مائة مقال تجعلنى أوثق وأثمن وأقدر هذه المساحة غير المسبوقة من حرية الكلمة المسئولة التى كانت خلف نشر ما يقرب من 99% من مقالاتى التى أرسلتها للجريدة دون أى تدخل فى تغيير أى كلمة من أى مقال. اختارت إدارة هذه المؤسسة أن تسير فى الطريق الصعب الذى ينأى بها عن الإثارة والابتذال، ويقف فى صف الدولة المصرية الوطنية دون أن يحرم الكُتّاب من حق توجيه النقد شريطة الموضوعية والتوثيق إذا ما تعلق الأمر بوقائع معينة. هذا الطريق لا يغرى كثيرين ممن يبحثون فقط عن الإثارة المجردة مهما يكن ثمنها الذى يمكن أن تدفعه البلاد أو المجتمع فى سنوات بالغة الحساسية والخطورة من تاريخ مصر المعاصر.

أحمد الصغير

هذا الطريق الموضوعى المتزن كان كافيًا جدًا لكى يضع هذا المنبر الإعلامى فى مكان متميز يستحقه بجدارة. لكن لم تكتف إدارة الجريدة بهذا وقررت أن تمنح صفحة ثابتة لمبدعى أقاليم مصر تشرف عليه الروائية والإعلامية د. صفاء النجار. وكثيرون ربما لا يقدرون هذه الخطوة حق قدرها. لكن قُرّاء الصحف المخضرمين والذين يبلغون العقد الرابع أو الخامس من العمر يدركون قيمة هذه الخطوة خاصة فى هذه السنوات التى بلغت كلفة النشر سقفًا مجنونًا. فأن تقرر إدارة جريدة أن تقوم بذلك فهذا يعنى، بشكل لا غموض فيه، أن هذه الإدارة تهدف لغايات محترمة تتخطى فكرة الربح والخسارة المادية، وتحاول أن تدفع فى طريق استنهاض الحركة الثقافية المصرية الحقيقية بعد أن كانت تلك الحركة على شفا الانهيار.

كما أفردت الجريدة مساحات كبيرة للكتابات التى تلقى الضوء على جوانب الحضارة المصرية عبر العصور، وقد كان لى شرف المساهمة فى ذلك عبر سلسلة من المقالات التى قامت الجريدة بنشرها سواء فى الأعداد الورقية أو الأعداد الإلكترونية. ولم تتحيز الجريدة إلى جانب دون جانب من شخصية مصر التاريخية وإرثها المكتظ بملايين المفردات وآلاف العناوين. فقرأنا على صفحاتها وربما لأول مرة بهذا الشكل المفصل عن رواد وأمراء بعض الفنون الشعبية التى امتدت آثارها عبر محافظات مصر، لكن كانت بعيدة تمامًا عن صحف مصر ومنابر إعلامها. ومن ذلك ما قام به د. محمد الباز مع شخصية بثقل الشيخ ياسين التهامى، الذى كان بعيدًا جدًا عن نيل ما يستحقه من ضوء، وأنا شخصيًا كنت أعجب كثيرًا لهذا التجاهل أو ربما التكاسل فى غربلة بر مصر بحثًا عن قطع اللؤلؤ المنسية.

وخصصت الجريدة قسمًا كاملًا يكتب به صحفيون مثقفون متفرغون لمتابعة الحركة الثقافية فى مصر ومتابعة ما يجد على هذه الساحة من كتب وإصدارات طوال العام، وليس فقط كما يفعل البعض فى فترات معارض الكتاب الكبرى مثل معرض القاهرة.

بادرت «الدستور» منذ أكثر من عام بإصدار ملحق بعنوان «أمان» يفتح صفحاته للكتابات التى تتصدى لمواجهة الفكر المتطرف، ولمواجهة محاولات البعض مساندة الجماعة الإرهابية عبر كتابات هنا أو هناك.

ثم أخيرًا كانت هذه الخطوة العملاقة بإصدار «حرف»، وهو إصدار متعدد الصفحات يتناول جوانب القوة المصرية الناعمة من فنون بمختلف أفرعها، وثقافة، ومبدعين. يفتش فى صفحات ماضية كانت على وشك الدخول إلى بوابة النسيان التاريخى، تشرفت بقراءة العدد الأول وأذهلنى هذا الجهد الكبير وهذا التنوع المميز، وأخيرًا فكرة فتح أبواب الإصدار لكل كتّاب ومبدعى مصر شريطة الموضوعية والابتعاد عن السطحية والشخصنة.

الذين كانوا يتابعون الساحة الثقافية المصرية منذ عقدى الثمانينيات والتسعينيات يدركون جيدًا قيمة هذا الحدث الكبير، الذى تتضاعف قيمته بما يحيط هذه الساحة الآن من عوامل مرهقة تمامًا لكل من يقرر اتخاذ هذه الخطوة.. إدارة «الدستور» تكتب فصلًا جديدًا مشرقًا ومشرفًا من تاريخ الصحافة المصرية ويضاعف من هذا الشرف أنها جريدة مستقلة، غير ممولة من مؤسسات ثقافية كبرى. فلقد انتظرت مصر سنوات طويلة قبل ذلك حتى تخرج إلى النور إصدارات مثل «أخبار الأدب» و«أخبار الرياضة» وغيرهما، وكانت هذه الإصدارات تصدر عن مؤسسات إعلامية حكومية لا تكترث بتحقيق الربح أو لا تخشى الخسارة. لكننا الآن أمام جهد مستقل تمامًا قررت مؤسسة صحفية مستقلة القيام به للمساهمة فى إعادة الروح لهذا الحراك الثقافى والفكرى والفنى المصرى، الذى يمثل جزءًا لا يتجزأ من معركة الوعى التى تخوضها مصر منذ ثورة يونيو. وأعتقد أن د. محمد الباز فى طريقه لأن يكون صاحب مدرسة صحفية خاصة به تُضاف إلى هذه المسبحة المصرية الخالصة الممتدة من بدايات القرن الماضى وحتى الآن، التى كانت أكثر حباتها قربًا زمنيًا لنا وأيضًا أكثرها بريقًا هى مدرسة «روزاليوسف»، وأعتقد أن أهم مقومات نجاح هذه المدرسة هى أنها مدرسة خالصة لمصر وللصحافة وليست لتمجيد ناظر مدرستها، وهو الفارق الذى أسقط محاولات أخرى سابقة.

بصفتى مواطنًا مصريًا قارئًا ومتابعًا لما يجرى على الساحة المصرية سياسيًا وفكريًا، وفى القلب منها الصحافة المصرية، وأيضًا بصفتى أحمل شرف استضافة قلمى على صفحات الجريدة التى تصدر عن هذه المؤسسة الإعلامية الوطنية «الدستور»، أتوجه بخالص التهنئة والتقدير لهذه الكتيبة الصحفية المتميزة على ما اتخذته لنفسها طريقًا يُدشن لهذه المدرسة الصحفية الجديدة، وعلى نجاحها فى هذه الخطوة الأخيرة التى سوف يُكتب عنها يومًا.. أنها سطرت فصلًا جديدًا فى تاريخ صاحبة الجلالة.

خصصت الجريدة قسمًا كاملًا يكتب به صحفيون مثقفون متفرغون لمتابعة الحركة الثقافية فى مصر

أهلى وجيرانى

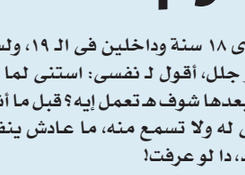

مؤمن المحمدى

حازم شحاتة

عدى ١٨ سنة وداخلين فى الـ ١٩، ولسه لـ حد النهاردا، كل ما أعدى بـ أمر جلل، أقول لـ نفسى: استنى لما تحكى لـ حازم شحاتة، وتسمع منه، بعدها شوف هـ تعمل إيه؟ قبل ما أنتبه إنه خلاص، ما عادش ينفع تحكى له ولا تسمع منه، ما عادش ينفع غير إنك تتعايش مع شعور الفقد، دا لو عرفت!

حازم شحاتة كان صديقى، إنما مش دا اللى عايز أكلمك فيه، لـ إنه يخصنى بـ شكل شخصى، إنما حابب أكلمك عن تركيبته الشخصية اللى ما شفتلهاش زى، واللى كان أول مصادر دهشتى منها جملة كان كتير بـ يرددها: «طريقة فى الحياة».

وقتها كنت صغير فى السن، أميل إلى إدانة الآخرين، ودا لـ إننا اتربينا كدا، أسهل حاجة تلوم الناس وتنتقد تصرفاتهم لو ما اتفقتش معانا، ونلومهم على طريقة تفكيرهم لو اختلفت عن طريقة تفكيرنا ولو قليلًا، دا اللى بـ يعمله معظم الناس معظم الوقت، وكان أول واحد أقابله مش كدا هو حازم، ويمكن الوحيد.

كان دايمًا يبدأ كلامه بـ إنه دى «طريقة فى الحياة»، ويحط نفسه مكان الشخص اللى أنا غاضب منه، علشان يوضح لى إنه مش بـ الضرورة عمل كدا لـ انحراف ما، أو ضلالات أو غباء، إنما فعله دا له منطق، هكذا دراما الحياة.

حازم شحاتة مثال للتسامح واستيعاب الآخرين أيًا كان منطقهم

أعترف إنه دا كان بـ يغيظنى فى الأول، إنما لما لقيت حازم بـ يعمل كدا حتى مع من يغضبونه هو شخصيًا، بدأت أفكر فى طريقة تعامله مع الحياة، لـ إنه فى نفس الوقت اللى بـ يحاول يفهم فيه منطق الطرف الآخر، مش بـ يتنازل عن منطقه برضه، ومش بـ يخفف من غضبه، ومش بـ يلين فى موقفه، إنما بـ يحط إطار لـ الموضوع كله بـ اعتباره صراع إنسانى بين طرفين، مش بـ الضرورة بين الحق والباطل.

الطريقة دى مش بس بـ تساعد على إنك تكون أكثر تسامحًا، لكن بـ تخلى عندك بصيرة بـ الحياة، بـ تحط الموضوعات فى حجمها وفى سياقها، فـ تقرر أساسًا تخوض العركة دى ولا لأ، ولو خضتها تحدد أهدافك منها، وعمومًا تبقى عارف كوعك من بوعك فى الحياة، وعارف إنت مين وعايز إيه، ودى حاجة فارقة جدًا فى حياة البنى آدمين.

مرة جه لـ حازم عقد عمل فى دولة خليجية، وراح كام شهر، ورجع، بـ الطبع كان دخله هناك أضعاف أضعاف أى دخل ممكن يحققه هنا، وكان الكل مندهشين، لـ إنه ما كانش فيه أى عكوسات، ولا مشاكل فى الشغل، وهو ما كانش بـ يدى المحيطين بيه إجابات واضحة، بـ يكتفى إنه يعنى دى حاجة قدرية، ونصيبها خلص لـ حد كدا، وإلخ إلخ.

مرة فى قعدة صفا، قرر يقول لى السبب، وهو إنه خاف تبلعه الأرقام، لقى نفسه لما سافر بـ يفكر فى كل حاجة بـ اعتبارها ضمن سباق رقمى: الشقة كام متر، التليفزيون كام بوصة، التلاجة كام قدم، العربية كام حصان، البوتاجاز كام شعلة، الكومبيوتر بونتيوم كام، ومفيش مهرب من دا لـ إن هناك كل اللى حواليه كدا، وهنا الناس ما بقيتش تتكلم معاه فى هذه الأرقام، فـ رجع لـ مكتبته وأصحابه ودراساته والتفاعل مع «طرق الناس فى الحياة».

كنت محظوظ إنى عرفت حازم واشتغلنا سوا، فـ شفت عن قرب إسهاماته فى اللغة والمسرح والأدب ومناهج النقد، وتابعت شغله على ميخائيل رومان، وسلاسل النحو اللى كتبها، والدراما اللى كتبها، والتأثير على كل المحيطين بيه، التأثير اللى هم نفسهم ممكن ما يكونوش عارفين مقداره.

أنا كل اللى عرفتهم تقريبًا من الأكبر منى سنًا، كانوا مهتمين بـ شكل أو بـ آخر تبقى «تربيتى» جزء من تعاملهم معايا، ما عدا حازم شحاتة، لـ ذلك، هو الوحيد اللى فعلًا ربانى.

أشهر كاتب روايات رعب على «يوتيوب»: الكتاب الورقى سيظل «نمبر وان»

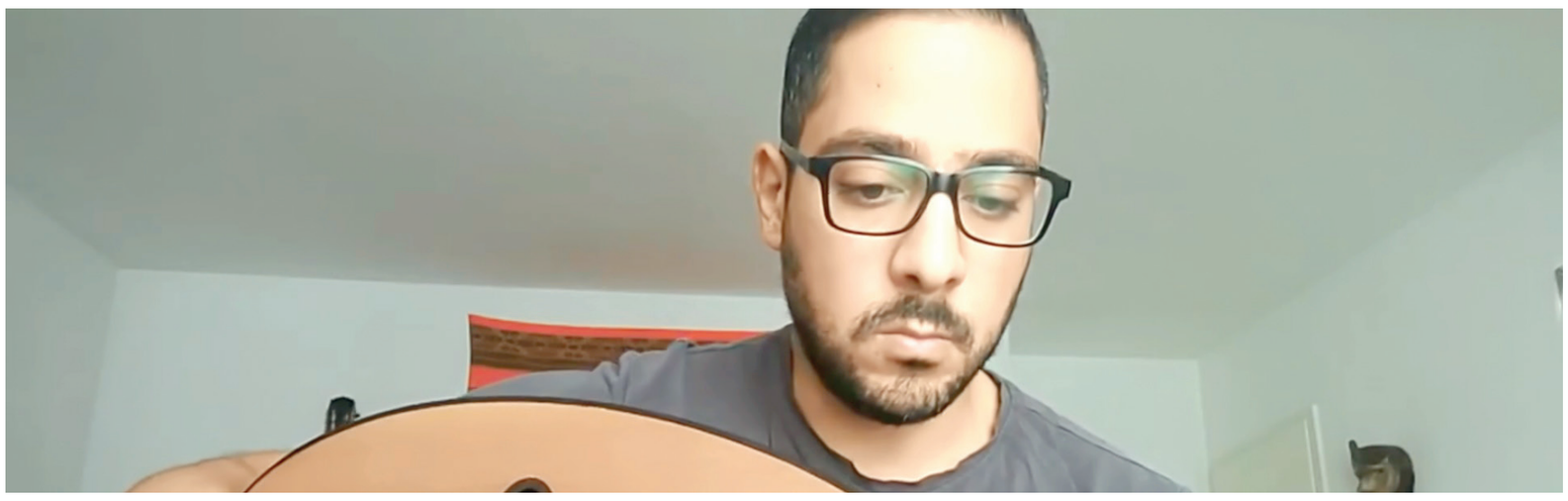

رغم كونه واحدًا من أشهر صناع المحتوى على موقع «يوتيوب»، وامتلاكه قناة تحظى بمتابعة كبيرة على المنصة، من خلال ما ينشره عليها من محتوى أدبى شيق يدور فى دائرة أدب الرعب، بأدوات فنية عالية المستوى تذكرك بكتابات كبار الأدباء المصريين، ما زال كريم قنديل يعتقد أن الكتاب الورقى له مكانته، ولا يوجد وسيط آخر يمكنه أن يحتل مكانته. وعلى النقيض من أغلب صناع المحتوى، الذين يتناولون أدب الرعب، بصور تكاد تكون منسوخة من بعضها البعض، يقدم «قنديل» أدب تشويق وغموض من نوع خاص، وهو ما يعزيه فى حواره مع «حرف» إلى رفضه «الخلطات الجاهزة»، مثل الاعتماد على الجن والعفاريت والأشباح، معتبرًا ذلك استسهالًا وفقرًا فى الإبداع.. وإلى نص الحوار.

نضال ممدوح

■ **بداية.. ماذا تقول عن كريم قنديل لمن لا يعرفه من القراء؟**

– أنا من مواليد عام ١٩٨١، مُقيم فى ألمانيا، ويعود الفضل لوالدى فى اهتمامى بالموسيقى والقراءة منذ الطفولة المبكرة، ورغم تخرجى فى كلية العلوم جامعة الإسكندرية، فإن ميولى الفنية دفعتنى بعيدًا عن العمل فى مجال تخصصى الدراسى وهو «الكيمياء»، فانشغلت بمجال التصميم الفنى «الجرافيك»، بالتوازى مع ممارستى الدائمة للموسيقى، التى تعد هوايتى الأكبر والأهم بعد القراءة.

■ **كيف ومتى بدأت رحلتك فى عالم «يوتيوب»؟**

– كما ذكرت قبل قليل، أنا من مواليد الثمانينيات، ولم يكن التليفزيون وقتها فى البيت المصرى بأهمية ومكانة جهاز الراديو، وحتى برامج التليفزيون لم تكن فى نفس مستوى البرامج الإذاعية، من حيث الكم وتنوع الإنتاج وحتى جودة الصوت، ومن هنا بدأ إدمانى لـ«الوسيط الصوتى» منذ الطفولة.

السبب الثانى كان فى نهاية العقد الثالث من عمرى، حين انتقلت للعمل فى ألمانيا، فوقتها كان عملى يبعد عن المدينة التى أقيم فيها ساعتين بالقطار، لذا كانت الكتب والمدونات الصوتية هما سبيلى لقضاء وقت سفرى اليومى الطويل.

وقتها تعرفت على العديد من البرامج والمسلسلات الأجنبية المستقلة باللغتين الإنجليزية والألمانية، ولفت نظرى الفارق الكبير فى مستوى التنفيذ الصوتى والتقنيات المستخدمة مقارنة بتجارب مستقلة مماثلة باللغة العربية.

بدأت الفكرة تنمو فى عقلى بالتدريج، لماذا لا أستغل هوايتى ومعرفتى ببرامج هندسة الصوت فى إنتاج أعمال تضاهى المنتج الأجنبى فى الجودة والإتقان؟ إلى أن قررت أن آخذ الخطوة بالفعل بداية عام ٢٠٢٠، فخرج العمل الأول من إنتاجى فى مايو من نفس العام.

■ **لماذا اخترت أدب الرعب من كل الألوان الأدبية؟**

– أنا أهوى هذا النوع من الأدب منذ الطفولة. بالطبع لا تنحصر قراءاتى فى الرعب فقط، لكننى أجد سلامى النفسى فى هذا النوع، ولم أفكر إلى الآن فى اتخاذ خطوة أكبر، مثل كتابة «نوفيلا» أو رواية، أعتقد أننى بحاجة للمزيد من الوقت لصقل قدرتى على الكتابة، وربما يحدث ذلك يومًا ما، لكننى لا أسعى فى اتجاهه.

■ **هل فكرت فى نشر قصصك الصوتية فى كتاب ورقى؟**

– فكرت فى ذلك بالفعل، بعد أن طرح بعض المستمعين الفكرة، لكن المشكلة أننى لا أقيم فى مصر، وزياراتى إليها لا تتعدى أسابيع قصيرة سنويًا، بينما يحتاج الأمر إلى محاولات وتواصل مع دور نشر، وتسليم مسودات، ومراجعة وعقود، وخطوات كثيرة لا أعرف كيف ولا متى سيتسنى الوقت لإنجازها، لكن ستظل الفكرة تراودنى دائمًا، وربما تتحقق يومًا ما.

■ **بصراحة.. هل تقلد أحمد خالد توفيق؟**

– كل كاتب تأثر بآخر أو بآخرين، حتى أعظم الكتاب، ولا يعنى هذا بالضرورة أن كل الكُتاب نسخ من الكاتب الأول، وأيًا كان تأثير الدكتور أحمد خالد توفيق الأكبر بالنسبة لى، فقد جاء من حقيقة أنه الكاتب الأهم وربما الأول الذى كتب فى أدب الرعب باللغة العربية. أحببت كتاباته، لكنى أحب أن أكتب ما يهمنى وما أستمتع بكتاباته، كما أن تقليد أسلوب أو حبكات كاتب، أيًا كان مستوى نجاحه، هو مشروع فاشل ومؤقت دائمًا.

ومن المدرسة القديمة لأدب الرعب، قرأت أعمال إدجار آلان بو وبرام ستوكر وراى برادبورى وشيرلى جاكسون، ومن المعاصرين جو هيل وتوماس ليجوتى وستيفن كينج، وربما أقربهم لقلبى هو إدجار آلان بو، لأنه يكتب الرعب كما يكتب الشعر، ويحترم ما يكتب، ويهتم ببناء الشخصية، وهذا هو الدرس الأهم والأكبر الذى أحاول تعلمه طيلة الوقت، لأنى كقارئ، إن لم أهتم بالشخصية وأتعاطف معها وأفهم دوافعها ومخاوفها ونقاط ضعفها، فلن أهتم أبدًا برحلتها أو ما يحدث لها، مهما كان رهيبًا.

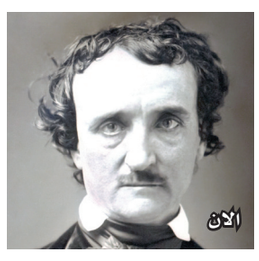

■ **مع انتشار العديد من وسائط القراءة مثل «الكتب الصوتية» و«البودكاست» و«قنوات يوتيوب».. هل سيختفى الكتاب الورقى؟**

– لا أتصور هذا ممكنًا، فحينما بدأ جهاز التليفزيون يغزو البيوت فى كل أنحاء الأرض، كان متوقعًا أن يحتل عرش الإذاعة، أو الوسيط الصوتى للأبد، لكن لم يحدث هذا، ربما فقد الوسيط الصوتى جزءًا من حصته لفترة، لكن ها نحن الآن بصدد ازدهار ملحوظ فى مجال المدونات الصوتية والإقبال عليها، رغم ما وصل إليه التليفزيون كصناعة من تطور.

لذا ربما سيتراجع الإقبال على الكتاب الورقى لفترة، أو سيفقد جزءًا من حصته، وأعتقد أن هذا يرجع لزيادة أسعار الورق والطباعة وصعوبات النشر، أكثر مما يرجع لاجتياح الوسائط الصوتية. كما أن الكتاب الورقى متعة مختلفة عن متعة الكتب الصوتية و«البودكاست»، ومن الممكن الاحتفاظ بالمتعتين، لكن لا أعتقد أن هناك وسيطًا يتمتع بالقوة الكافية كى يحل محل الكتاب الورقى.

بولا

عندما وقفت نادية لطفى ضد شارون

يرحل الإنسان بجسده ويبقى، وتبقى سيرته وعمله الذى يخلد ذكره أبد الدهر فى سطور التاريخ، عمر سينمائى ممتد قطعته فاتنة الشاشة المصرية «نادية لطفى»، التى صعدت روحها العذبة التواقة إلى رحيق الحرية والكبرياء، الذى يناسب موهبتها الكبيرة فى التمثيل، الثلاثاء كان هو يوم الوفاة، 4 فبراير 2020، وميلادها فى الثالث من يناير من العام 1937، رحلت ولديها سيرة فنية فريدة لا تشبه أحدًا من مجايليها ولا الفاتنان/ الجميلات منهن، فهى «ليدى السينما المصرية» عن جدارة واستحقاق، بفضل روحها الشفيفة و سحر جمالها وأدائها التمثيلى الديناميكى المنفتح على التأويل والمؤدى لرؤى احترافية، و«نجمة الأفلام الكلاسيكية» فى زمن «الفن/ السينما» الجميل كما يطلق عليه.

حسين عبدالرحيم

عُرفَت نادية لطفى، أو بولا محمد مصطفى بأداء كل الأدوار ولعب كل الشخصيات، البسيطة منها والمركبة، إنها الرومانطيقية الأثيرة بأداءات تخلب الألباب، الحالمة فى «السبع بنات»، وهى الفتاة الشعبية الشرسة فى «أيام الحب»، والمناضلة فى «جيوش الشمس».

وقد جسدت النسوية بتجلياتها المرعبة فى «عدو المرأة» و«للرجال فقط»، وهى أيضًا الراقصة المحترفة فى «بديعة مصابنى» و«الإخوة الأعداء»، والشابة الفاتنة فى «أبى فوق الشجرة» والغازية فى «قصر الشوق»، والمرأة اللعوب، أو فتاة الليل فى «رجال بلا ملامح» و«السمان والخريف»، وهى نفسها «الحلوة نادية لطفى» التى سحرت بجمالها الأخاذ عبدالحليم حافظ برموشها وخشونة صوتها، وهى تتبختر فى دلال وتيه أم الكاميرا، ووقع فى هواها «الدنجوان» رشدى أباظة، وغرق فى عشقها حتى الثمالة فى سلسلة أفلام اتسمت بالرومانسية فى أجمل معانيها.

مارست «بولا محمد شفيق» الشهيرة بنادية لطفى العديد من الهوايات بدأت بالرسم، ثم التصوير الفوتوغرافى والكتابة إلى أن اتجهت إلى التمثيل بعد اكتشاف المنتج «رمسيس نجيب» لها، وأسند إليها دور صحافية فى فيلم «سلطان»، وتوالت بعده الأعمال والبطولات والأدوار المختلفة التى قدمتها الراحلة، والتى تصل إلى أكثر من ٧٥ فيلمًا، من أشهرها فيلم «الناصر صلاح الدين، السبع بنات، الخطايا، السمان والخريف، أبى فوق الشجرة، بين القصرين، للرجال فقط»، منزل العائلة المسمومة، الأقمر». وغيرها من الأعمال التى لا تزال قابعة فى ذاكرة المشاهد المصرى والعربى حتى الآن.

1 مواقف وطنية وسياسية لا تنسى

الذى لا يعرفه الكثيرون عن «نادية لطفى» أنها كانت صاحبة مواقف وطنية وسياسية تؤكد صدق انتمائها إلى مصر بصفة خاصة والعروبة بصفة عامة، وذلك من خلال عدة مواقف تكشف عن معدنها الأصيل وحسها السياسى المتطابق مع قوامها الفكرى الاجتماعى والسياسى، فنادية لطفى ليست مجرد فنانة عظيمة وإنسانه نبيلة ومثقفة فحسب، لكنها كانت مصرية وطنية من طراز فريد جدًا، وتاريخها كله حافل بالنضال السياسى، وخير شاهد على مواقفها المشرفة من بداية العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، حيث استغلت «نادية لطفى» حبها التصوير، فسجلت ٤٠ ساعة تصوير فى القرى والنجوع المصرية لتجمع شهادات الأسرى فى حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧، وأعربت عن ضيقها من إهمال نشر صورها مع الجنود على الجبهة آنذاك لرفع الروح المعنوية فى صفوفهم.

وحول جرائم الكيان الصهيونى المحتل، قامت بعمل فيلم بعنوان «جيوش الشمس» سجلت من خلاله شهادة الجنود المصابين والجرحى عن الحرب داخل مستشفى قصر العينى مع المخرج الكبير شادى عبدالسلام.

كانت «نادية لطفى» مسئولة اللجنة الفنية أيام حرب الاستنزاف، وبحكم هذا الموقع قامت بمبادرات عديدة لدعم قواتنا المسلحة فى هذا الظرف العصيب من تاريخ الوطن، فقد قامت بتنظم زيارات على الجبهة لرفع الروح المعنوية لدى الجنود، ومن هنا فقد ضربت أروع الأمثلة فى تحريك الرأى العام وتوعية الشعب بظروف قواته المسلحة التى كانت تستعد لمعركة استرداد الكرامة والعزة فى العبور العظيم فى أكتوبر ١٩٧٣، وفى أثناء حرب أكتوبر المجيدة أكدت روحها الوطنية العالية وإيمانها العميق بالجيش بتطوعها فى التمريض، وبالفعل تخلت عن أى ارتباطات فنية وتفرغت للعمل التطوعى، ونقلت مقر إقامتها إلى مستشفى قصر العينى أثناء فترة الحرب بين الجرحى؛ لرعايتهم والشد من أزرهم ورفع روحهم المعنوية.

> الوحيدة التى زارت ياسر عرفات أثناء الحصار فى بيروت

نادية لطفى مع المقاومين الفلسطينيين

شارون

وبعد أن تحقق النصر قالت: «أصبت بانهيار عصبى وهبوط فور سماعى خبر عبور قواتنا المسلحة خط بارليف وتحقيق النصر، لأنى لم أصدق وقتها أننا انتصرنا»، وفى حوار سابق لها قالت: «معرفش أحب الرؤساء.. الحكام رجال بلا ملامح، ولا أتعامل معهم بمنطق الحب والكره .. ماليش دعوة بالحاكم أنا برصده وبشوف أعماله، وعلى أساسها أحط له الأرقام وأقيمه»، وذلك انطلاقًا من إيمانها الشديد بأنه لا بد أن يكون للفنان دور وطنى فى خدمة مجتمعه، وهذا ما أكدت عليه عام ٢٠١٧، حين استنكرت قرار الرئيس الأمريكى «دونالد ترامب» بالاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، رغم اعترافها بأنه «غير مفاجئ».

فى سبعينيات القرن الماضى، أنتجت «نادية لطفى» فيلمًا تسجيليًا بعنوان «دير سانت كاترين» وأنفقت عليه ما يقرب من ٣٦ ألف جنيه مصرى، وهذا كان مبلغًا كبيرًا وقتها، وأصابها الإحباط عندما عرض التليفزيون المصرى شراءه بألف جنيه فقط، ولأن الوطنية وروح العروبة تسرى فى دمائها، فقد شكلت وفودًا من الفنانين على نفقتها الخاصة لمؤازرة ودعم فدائيى الثورة الفلسطينية فى اليمن والجزائر، ويذكر أنها قضت أسبوعين كاملين فى لبنان عام ١٩٨٢ أثناء حصار بيروت، وهذا خير دليل على هذا الانتماء، حيث انخرطت فى صفوف المقاومة الفلسطينية أثناء الاجتياح الصهيونى لبيروت وطاردها الموت هناك أكثر من مرة، لكنها استطاعت أن تُسجل وتصور بكاميراها ما حدث أثناء فترة الحصار ونقلته لمحطات تليفزيون عالمية.

> انخرطت فى صفوف المقاومة الفلسطينية أثناء اجتياح بيروت

ولعل قصة «نادية» مع السفاح شارون تؤكد روحها التواقة للحرية، فيحسب لها أنها كانت ضمن المحاصرين فى بيروت عام ١٩٨٢، وكان شارون يستعد قبلها بفترة لمجزرة جديدة ضد الفلسطينيين، لكن هذه المرة كانت تأرًا شخصيًا جراء فقدانه إحدى خصيتيه، بعدما أطلق عليه أحد رجال المقاومة النار فأصابه فى مقتل، لكنه نجا بأعجوبة، وعاد لينتقم لرجولته التى فقدها إلى الأبد، ووسط المشاهد الدموية وقفت نادية لطفى فى شجاعة تصور وترصد لتفضح جرائم السفاح ورجاله، وتذيع على العالم ما فعله شارون بالشعب الأعزل.

ولم تكتف بفضح جرائم الكيان المحتل، فقد ظلت مقاومة من طراز رفيع فى وجه المحتل الغاصب للتراب المقدس فى فلسطين، فقد كتبت الصحف والقنوات وقتها «كاميرا نادية لطفى رصدت ما قام به السفاح الإسرائيلى»- يقصد هنا «شارون»- بل إن المجتمع الدولى وصف كاميراها الجريئة بأنها «مدفع وجهته نادية لطفى إلى صدر «شارون» ذلك المتغطرس بفعل قوة الآلة العسكرية الإسرائيلية التى راحت تستبيح الأرض والعرض والشجر وبيوت الفلسطينيين أصحاب الحقوق التاريخية على هذه الأرض المقدسة.

ومن المحطات التى لا تنسى لبولا.

زيارتها الرئيس الفلسطينى الراحل «ياسر عرفات» أثناء فترة الحصار الصهيونى، وهى بذلك تعتبر الوحيدة التى زارت أبوعمار أثناء فترة حصاره، لذا كرمها الرئيس الراحل «عرفات» بعد ذلك، حين جاء بنفسه إلى منزلها وأهداها «شاله» تقديرًا لمواقفها العروبية، وبعد زيارة أبوعمار لها اعتذرت «نادية لطفى» عن دعوة التكريم التى تلقتها من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقديرًا لدورها فى دعم القضية الفلسطينية، وقالت: «يسعدنى المشاركة فى أى حدث يدعم القضية الفلسطينية التى أراها قضية كل العرب، لكنى فخورة بالتكريم الذى نلته من الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات، الذى جاء بنفسه إلى منزلها بالقاهرة، ويهديها شاله كرمز للصمود والمقاومة للشعب والأرض فى فلسطين، احتفظت نادية لطفى بمكتبتها الخاصة بـ٢٥ شريط فيديو لوقائع حقيقية عاشتها بنفسها وقت الحصار الصهيونى للمقاومة الفلسطينية، وتأكيدًا على وعيها بالقضايا العربية/ المركزية فى تاريخ الأمة العربية، وبعدها فى العام ٢٠٠٣ قررت إعداد كتاب وثائقى يسجل الحروب التى تعرض لها العالم العربى، بداية من عام ١٩٥٦ حتى عام ٢٠٠٣، مرورًا بحرب ١٩٦٧، و١٩٧٣، بل أظهرت ووثقت فيه الهجمات الأمريكية والبريطانية على العراق، وألحقت بالكتاب حديثًا مطولًا، عن دور الفن فى غالبية الوقائع والأحداث التى تعرضت لها مصر، بالإضافة إلى دور الفن فى الحروب، وما هو دور الفنان/ الممثل فى كل ذلك، وكذلك دور الفنانين والفن المصرى والعربى فى تدعيم القضايا الوطنية.

وتتوج رحلة كفاحها فى عام ٢٠١٨ بجائزة الدولة التقديرية فى الفنون، ثم كان خير التتويجات فى ٢٠١٩، حيث منحها الرئيس الفلسطينى محمود عباس «أبومازن» وسام «نجمة القدس»، وهى طريحة الفراش بمستشفى المعادى العسكرى لتزين صفحتها الفريدة فى عشق الوطن والفن والفكر، و تقديرًا لمسيرتها الفنية الطويلة فى السينما والدراما العربية ولمواقفها المشرفة حيال قضايا الأمة العربية، وتبنيها وصهرها الكلى والواضح والحقيقى لقضية فلسطين، بعيدًا عن أى مزايدة أو نفاق.

2 هل نحقق لها أمنيتها؟

نادية لطفى لم تكن ممثلة مصرية عبرت من بوابة الزمن ومضت إلى حال سبيلها مثلها مثل كثيرات برعن فى عالم التمثيل وحققن المجد والشهرة فى الفن، بل كانت مثالًا وقدوة للفنان والمبدع الحقيقى وللشخصية الوطنى المهمومة بقضايا شعبها وأمتها، والتى قلما يجود الزمان بمثلها، خاصة فى أيامنا العصيبة تلك وسط النيران المشتعلة المنتشرة للتطبيع والتصهين وفقد الهوية وضياع وتفكك للقومية العربية.

«نادية لطفى» قدوة أكثر من كل الذين يفرضون علينا الآن فى غيبة من وعينا، من أولئك الذين تطاردهم فلاشات التصوير، ووسائل التلميع على جناح الزيف فى ظل مجتمع يستولى عليه حفنة من الجهلاء ومعدومى الموهبة والوطنية، وتقديمهم على أنهم قدوة ومثل لشبابنا، لذا كان ودى أن تنال الراحلة العظيمة من التكريم فى حياتها بما يوازى موهبتها الفنية العظيمة، وتلك المواقف الوطنية فى حياتها، فى شكل تكريم رسمى من الدولة المصرية على رحلة عطاء وحب وإخلاص بلا حدود.

وأخيرًا أتمنى على التليفزيون المصرى والفضائيات الخاصة، أن تقوم بعرض صور نادية لطفى مع الجنود على الجبهة، فهى تستحق أن تحققوا لها رغبتها القديمة والمستمرة، والتى طالما تمنت وطالبت بأن تعرض صورها وهى تقوم بدعم الجنود ورفع روحهم المعنوية، ولم لا يتم عمل حلقات وحلقات تحكى عنها وعن مواقفها الوطنية المشرفة؟! فقد أحبت كل اللى حبوا مصر بلا مقابل، ونحن عشقنا فيها مصر التى أحبتها من كل قلبها، وفاضت مشاعرها من أجلها على الشاشة وفى الشوارع وبين جموع الشعب المصرى وجنوده البواسل.. ألف رحمة ونور عليكى يا حبيبة مصر والعروبة كلها.

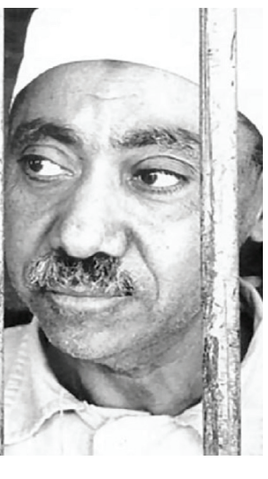

مفاجأة.. سيد قطب سرق عنوان كتابه «معالم فى الطريق» من صلاح حافظ

لا يزال كتاب «معالم فى الطريق» الذى أصدره سيد قطب فى العام ١٩٦٤ مصدرًا لكل الأفكار التكفيرية، فرغم انهيار أفكار الجماعات التى تعتبره ملهمها وشيخ طريقتها ومعلمها الأول، إلا أنهم لا يزالون يتمسكون به وبكتابه وبما جاء فيه من أفكار.

لكن المفاجأة أن سيد قطب، الذى يعتبره تابعوه ومتابعوه عبقريًا وفذًا وأديبًا لا يشق له غبار، لم يكن صاحب عنوان الكتاب، بل سرقه وسطا عليه من صلاح حافظ، الكاتب اليسارى الكبير ورئيس تحرير روزاليوسف فى واحدة من أهم فتراتها التاريخية.

ظهر هذا العنوان « معالم فى الطريق» للمرة الأولى- كما يذكر الناقد والمؤرخ الثقافى شعبان يوسف فى كتابه الأحدث «صباح الخير.. سيرة ثقافية»- فى افتتاحية العدد المزدوج «الثانى والثالث» من مجلة الغد التى صدر عددها الأول فى مايو ١٩٥٣ ورأس تحريرها الفنان حسن فؤاد.

فى افتتاحيته «معالم فى الطريق» قال صلاح حافظ إن هذه المجلة لم تحط بها بطانة من الكتاب والمبدعين المرموقين، ولكنها مجلة أراد بعض الشباب الثائر أن يكتبها من الغلاف إلى الغلاف، وأنها مجلة لا تقدم وعودًا براقة، ولكنها رغم ذلك تتعلق بالأمل والعمل فى وقت واحد، كلمات جديدة وحيوية، وليست حالمة أحلامًا رومانسية.

وإذا احتج البعض بأن سيد قطب لم يقرأ عنوان صلاح حافظ، وعليه فواقعة السرقة ليست واردة، فقد يكون ما حدث نوعًا من توارد الخواطر المعتاد والمقبول، فإننا نرد على ذلك بأن سيد قطب كان قريبًا من الصحافة المصرية بقدر كبير، يتابعها ويقرأ لكتابها، ثم إنه كان قريبًا من الصحفيين اليساريين ومنهم صلاح حافظ، وبدلًا من أن يذكر أنه صاحب عنوان كتابه ولو من باب الأمانة العلمية، فإنه لم يذكر ذلك، وكان هذا طبيعيًا، فقد كذب سيد قطب فى كل شىء، فهل تتنظر منه أن يصدق فى عنوان كتابه؟

المتتبع لمسيرة الأديب «فتحى إمبابى» الإبداعية حتمًا سيجد نفسه إزاء أجمل مكونات الهوية المصرية، وتجلياتها. أحداث فارقة، وشخصيات متعددة الإيحاءات بالسلب والإيجاب، وأماكن مطبوعة بتاريخ متجذر متجدد، وجغرافية تحفظ على الأحداث الكبرى أثرها الممتد، والأشخاص أقدارهم، وما نهضوا به من مهام على قدر هممهم ومسئولياتهم، أو بكل ما فى الخيانة من خزى وهوان.
المصرى العادى يُمعن طوال الوقت بتفعيل قدراته الحضارية الخفيّة، وسط كل ما يحيق به من مخاطر، وبما اكتسبه عبر تجاربه من صمت وحكمة، مُرسِّخًا جوهرية الإنتاج، وجدوى الصبر، وابتكار الحلول، وتلافى الضغوط، وترك المتاعب لساعة بعينها، بلا رضوخ ولا تخاذل، فلأى متعالٍ خريف.
يفيض فيها مثل فيضان النيل الكاسح فى خاتمة روايته «نهر السماء»! رابطة العقد فى خماسية الهوية، وقاسمها المشترك فى مختلف تداعياتها.
ولخط الهوية امتدادات فى روايتيه المُقبلتين «عشق»، و«منازل الروح»، لاستكمال أنبل وأوجع صور الزهو الوطنى، ومغالبة الخسارات بجينات التحضر!

حوار- أسامة الرحيمى

فتحى إمبابى: الصراع فى رواية «رقص الإبل» بين الأصولية والدولة الحديثة

■ عنوان روايتك الأخيرة «رقص الإبل» ليس مدهشًا وحسب، بل عميق ومزدوج الدلالة، فقد ذكرت «رقص الإبل» فى حالين مختلفين. فى الحب بين التلب ابن القبيلة الراعى والمقاتل العنيد، وحبيبته «مسك الجنة» حين اعتليا سنام الجمل ورمح بهما فى الصحراء. والثانية فى الحرب، خلال القتل والاضطراب. فكأنك تقول إن رقص الإبل يمثل وجهى الحياة، والحب والحرب صنوان؟ فهل قصدت هذا؟ أم أن بعض المعانى تكون أوسع من مقاصد المبدع بعد اكتمال روايته؟

– الطبيعة البكر التى تجود بمراعى السافانا والغابات الاستوائية، وأمطارها الغزيرة التى ترفد نهر النيل وتهب الجماعات التى تعيش حوله ماء الحياة، وتنعكس على البشر الذين يولدون ويكبرون فى أحضانها، ويتصارعون ويموتون فى أعطافها، أمر مدهش، وفن الرواية هو السحر عينه. وهذا ما تنفرد به خماسية الهويّة، ورواية رقص الإبل. وإذا دقّقت النظر فى رقص بنات ونساء السودان، ستجدهن يخببن ويرقصن كالإبل، كأنهن نوق جميلات تسرِن الهوينى فى دروب الحياة. أما الجِمال فهى عِدة الحرب لدى القبائل، نعم أنت محق فى أن رواية «رقص الإبل» تنطوى على الأمرين معًا، حيث تتقاطع معانى العشق والحرب.

■ يستولى على ذهنى طوال الوقت أن روايتيك «عتبات الجنة» و«رقص الإبل» محض تداعيات لانكسار الثورة العرابية، وخسّة الإنجليز، وريبة الثورة المهدية كانت دوافعك لاستبيان ما جرى. والتنقيب عن مكونات الهوية المصرية وسط هذا الصراع الدامى، فهل لهذا علاقة بالحقيقة؟

– نعم. هذه هى الحقيقة، ودعنى أقول إن الغالبية العظمى من القُرّاء «وأنا منهم»، لم نعلم شيئًا عن ملحمة الضباط الاثنى عشر ومعهم عشرات آلاف المصريين والسودانيين الذين قُتلوا أو بيعوا رقيقًا دفاعًا عن الدولة المدنية الحديثة فى مواجهة الثورة المهدية المستندة على الأصولية الدينية، وما نعلمه كانت أفكارًا مشوشة وأحداث تم طمسها بعناية. والبداية من رواية «عتبات الجنة»، وفى «رقص الإبل» لم يكن لدى موقف مسبق من الثورة المهدية، لأمانة الكتابة والرغبة فى المعرفة الحقّة. لذا تركت التاريخ والحقائق يقولان كلمتيهما. وكما يكتب الروائى روايته، تكتبه الرواية، فأثناء البحث فى المراجع والمجلدات، ورصد الوقائع، وتفكيكها وإعادة بنائها ببصيرة نزيهة فى سرد الحقائق وتراوح بين التاريخى والمتخيل، تجلّت الرواية فى حقائق مرعبة، أنت ذكرت بعضها فى سؤالك المهم.

■ فى «عتبات الجنّة» عقب الثورة العرابية قضت الأورطة المصرية على تجارة العبيد فى جنوب السودان. ورسخت الأمان، وحمت مصالحة القبائل، والاندماج الاجتماعى، وإقامة محطات ضمت مدارس ومستشفيات، ومصالح حكومية، واستقرار بعضهم هناك، وزراعة المحاصيل الزراعية لأول مرة فى المنطقة الاستوائية. والحقائق التى أوردتها تؤكد أنها تصرّفت بتحضر واضح فى مختلف التجليات. أليس كذلك؟

– الأمر الأول رحلة الأورطة المصرية فى رواية عتبات الجنة، بناء متخيل، رحلة على ظهر نهر عملاق، ثعبان هائل يتلوى هابطًا من السماء ويزحف بامتداد ستة آلاف كيلومتر، بين الطبيعة الخلابة، والتنوع النباتى الأخّاذ، جماعات الطيور والحيوانات والزواحف صورة لم يقدمها عمل روائى أو سينمائى من قبل.
إظهار المستوى الإنسانى لجميع من شاركوا بلا تفرقة ولا تمييز، قاتلوا واستشهدوا وكل منهم يدافع عن رفيقه، يجمعهم إيمان بدولة مصرية تمتد إلى البحيرات العظمى.
ابنة الرب إيزيس والنيل أوزوريس، والمرأة المصرية والسودانية، ساندت ودعمت زوجها فى المنفى والحرب، مؤمنة بقضاياه التى حملها على عاتقه.
الأمر الثانى: أن الأورطة المصرية جعلت العلم المصرى يرفرف حتى البحيرات العظمى، وأحد كبار ضباط الجيش فى المديرية الاستوائية «حوّاش منتصر» أخضع قبائل شمال نهر الكونغو، وأنشأ محطة عسكرية. وهذا يوضح المطموس من تاريخنا، فمصر مدّت نفوذها منذ ١٨٢١ إلى المنابع. والاحتلال البريطانى هو من فصل الشمال والجنوب.
والدور المصرى الحضارى امتد من الاندماج الاجتماعى والتزاوج مع القبائل، إلى رفع قياسات نهر النيل توطئة لبناء سد أسوان لاحقًا. وإنشاء المدارس والمستشفيات والمدن ومنها الخرطوم، ومد طرق المواصلات والبريد وخطوط التلجراف، وتفتيش الرى، وزرع محاصيل تقليدية لأول مرة بالمنطقة الاستوائية. وذروة مهامه وملحمته الكبرى كانت فى القضاء على تجارة العبيد وفقًا لهويتنا وحضارتنا الإنسانية.

■ وها أنت تعود فى روايتك الأخيرة «رقص الإبل» مع ما سُمى بالثورة المهدية، وخلط المهديين العمدى بين المصرى والتركى؟ فهل هو استيفاء لتداعيات لم تحط بها فى الرواية السابقة؟ ويبدو أنه لم تكف أيضًا. فثمّة جزء رابع يدور أيضًا فى السودان؟ ألهذا الحد كانت الخيبات؟

– معك حق، فى «عتبات الجنة» قمت ببناء مسرح أحداث الصراع فى روايتىّ «رقص الإبل» و«عشق»، بين الأصولية والدولة الحديثة، جمال النيل، علاقات إنسانية بيننا وبين قبائل لا تختلف عقيدتها الأخلاقية عن الإسلام أو المسيحية، وربما تمتد إلى عصر قدماء المصريين. فطرة الحياة بين قبائل تأكل لحوم البشر وجماعات الأقزام. فى «رقص الإبل» يدور الصراع وسط بيئة حاضنة للثورة المهدية، فى مواجهة الجنرال هيكس الذى كان توليه القيادة بمثابة تسليم الحملين لذئب عجوز تساقطت أنيابه، فقدمهم أضحية غروره إلى المهدى ومن يحيط به زعماء قبائل، وقادة عصابات وتجار رقيق، يكشرون عن أنيابهم بحثًا عن أسرى لبيعهم فى أسواق العبيد.

■ يبدو من ثلاثيتك، «نهر السماء»، و«عتبات الجنة»، و«رقص الإبل» أنك وفق رؤيتك وبراحك الروائى من المؤمنين بأن مصر والسودان كيان واحد ممتد، وجزء أصيل من الهوية المصرية، وكأن النيل العصب الذى يربط شطرى الوادى، من أعاليه إلى مصبه، وبما شهده من أحداث أكدت وحدة المصير منذ عصور سحيقة وإلى الآن؟ فهل هى ميول اتحادية لديك؟ أم تحليقات أدبية حرة من أى أيديولوجيا؟ وتلك الطموحات باتت فى ذمة التاريخ؟

– أولًا فى سنوات شبابى كنت من المؤمنين بالوحدة العربية، وأن مصر والسودان بلد واحد. الآن أصبح هذا الإيمان جذريًا فى عقلى ووجدانى. وبت أعرف أن هناك هوية جامعة للجماعات والشعوب التى تعيش على وادى النيل أطلق عليها أحد أبطال الخماسية «الهوية الجامعة لوادى النيل»، وهى موجودة بقوة الطبيعة القاهرة التى شكلها النهر عبر آلاف السنين، تجلت عندما رفع الغطاء عنها قائد ألبانى لامع «محمد على» يمتلك طموحات ومفاهيم استراتيجية رفيعة، ثم توطنت بالمشاعر وبحكم اكتشافات الضرورة عبر الأجيال المتلاحقة من أبناء مصر والسودان.
ولا ينفى هذا وجود هويات مضمرة متصالحة أو متصارعة ضمن تلك الهوية الجامعة.
ثانيًا: تنتمى الهويات إلى ما قبل الحدود السياسية، وهى عابرة للإثنيات، والطوائف، عابرة للحدود السياسية والدول.
ثالثًا: لست مهتمًا بوحدة سياسية من عدمها، فثمة عقبات ورؤى وأيديولوجيات متعارضة، وضغوط أجنبية هائلة تفعل المستحيل لتمزيق الأوطان العربية إلى دويلات صغيرة يسهل تدميرها، لذا أعتقد أنها مهمة مستقبلية، على كل وطنى ومثقف غيور أن يسهم فى تأسيس وتطوير البنية التحتية للوحدة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومد الطرق والسكك الحديدية؛ لتسهيل تنقل المواطنين بين دول وادى النيل، وكذا بين الدول العربية، إلى أن يقضى الله أمرًا كان مفعولًا.

■ هل تتغير مكونات الهوية بتغير المفاهيم الكبرى، مثل الوحدة والمصير المشترك، أم أن للجغرافيا الغلبة مهما تبدلت التوجهات؟ فهى فى النهاية تروح وتجىء وتبقى الثوابت. وهل تظن أن الأدب يرى تلك الأبعاد بشكل أعمق من الفكر؟ أليس انشغالك بالهوية يعنى أن الأدب معنى بهذا شأن السياسة؟

– تتحدد هوية الجماعة من العناصر والخصائص المادية والثقافية والمعنوية التى تميزها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافى، وتحتفظ بوجودها وحيويتها، وتجمع الثابت والمتحول، فالهوية تمثل الجانب الثابت الدائم الذى لا يتغير، والذى دونه لا يقوم مجتمع ما وينهار، وليس هناك أقوى وأشد تأثيرًا من «نهر النيل». لكنه لا يكفى وحده لتحديد هوية الجماعة، ولا إيجاد كينونة متمايزة ومنفردة عن الآخرين، ما لم يصاحبه وعى الجماعة بهذه الخصائص والعناصر المكونة لذاتها وإدراكها لها، وهنا يتدخل عنصر الإرادة البشرية فى تحديد هويتها. والحالة المصرية مثال شديد السطوع على ذلك. فلم تكف الهوية المصرية عن الوجود؟ مطلقًا، فى نهاية القرن الثامن عشر شقت الحملة الفرنسية كفن الموات عن الهوية الوطنية المصرية، وبسقوط دولة المماليك، واكتشاف حجر رشيد بزغت من جديد العنقاء من تحت الرماد، وأشرقت الحضارة المصرية العريقة على العالم. وينطبق الأمر على ما أسميه «هوية وادى النيل الجامعة»، فهى موجودة بالضرورة وتعلو فوق الأيديولوجيا، بحكم نهر النيل الذى وهب الحياة للجماعات التى عاشت منذ آلاف السنين على ضفتيه. وإذا كانت تلك الهوية مطموسة فلا يعنى عدم وجودها، فالأمر يتعلق بالوعى بتلك الهوية وإدراكها، وهنا يجىء دور المهمومين بقضايا الوطن، والمعرفة وكل ما هو إنسانى عظيم. وهوية وادى النيل الجامعة؛ بانتظار من يرفع راياتها، ودعنى أقول إننى عبر «خماسية النهر» أحد الحالمين المبشرين بها.

■ فى «عتبات الجنة» و«رقص الإبل» بذلت مجهودًا هائلًا فى فهم الجغرافيا التى تتحرك عليها شخصيات الروايتين وأحداثها؟ فأية مشقة تلك التى يتعرض لها الأديب لضمان دقّة ومصداقية إبداعاته، جغرافيًا، وديموجرافيًا، وأنثروبولوجيًا. فقط من أجل معلومة صحيحة بين يدى القارئ؟

– قضية وجود. عشرات المراجع، والخرائط والصور، مئات التفاصيل للبحث عن صورة واضحة من الجغرافيا الطبيعية ودقة الظواهر الجوية والطقس والمناخ ومعرفة المظهر النباتى والحيوانى، جغرافيا السكان؛ ثقافية، اقتصادية، سياسية. نعم. مزيج من جغرافيا، وديموجرافيا، وأنثروبولوجى. والجغرافيا فى خماسية النهر عنصر جوهرى فى جماليات النص. كنز نفيس عثر عليه شغف الروائى فى تكوين مسرح الأحداث، هى النص الذى يتحرك عليه الأبطال ويعبرون عن مشاعرهم وأحلامهم، ويصارعون مصائرهم، ويلعبون أدوارهم المأساوية.

■ لم تهتم فقط بالتاريخ، والجغرافيا، بل أوليت المجتمع والعادات والتقاليد اهتمامًا كبيرًا، مثل القبائل ومساراتها الرعوية، والقوانين التى تحكم مجتمعها، فهل أنت ممن يعتقدون بأن القارئ يجب أن يبذل مجهودًا موازيًا لاستيعاب هذه التفاصيل والتعرف عليها مثل الأديب؟ أم أنها مسئولية الأديب وحده؟

المصيبة العظمى أن أغلب دور النشر المصرية لا تنشر شعرًا على الإطلاق

تتحدد هوية الجماعة من العناصر والخصائص المادية والثقافية والمعنوية التى تميزها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافى

فتحى إمبابى مع أسامة الرحيمى

وُلد فتحى إمبابى عام 1949، وتخرج فى كلية الهندسة، وكان أحد قادة الحركة الطلابية فى مصر خلال سبعينيات القرن العشرين.

ألفّ مسلسلًا تليفزيونيًا واحدًا هو «طيور الشمس» الذى عرضه التليفزيون عام 2002، وأخرجه المخرج هانى لاشين.

حصل على جائزة الدولة التشجيعية للتفوق فى الأدب عام 1995 عن روايته «مراعى القتل».

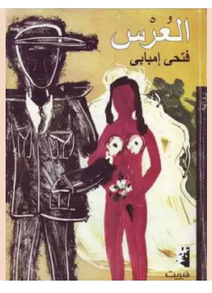

«مستعمرة الجذام» مجموعة قصصية صدرت له عام 2019 عن دار ابن رشد للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

رواية «عتبات الجنة» صدرت عام 2014 عن الهيئة المصرية العامة للكتاب وتتناول المهمة القتالية التى وصفت بالأسطورة وقادها 12 ضابطًا على خط الاستواء دفاعًا عن وادى النيل العظيم.

– ليس للقارئ دخل فيما يتعين على الفنان صياغته، أنا من جيل كبر ونضج على روايات تعرّفتُ فيها على حياة الشعوب، وتشكّلت ثقافتى من معرفة ثمينة تعلمتها من الرواية العالمية، نشأت على روايات تحكى بطولات القوزاق والتتار فى سهوب آسيا، والحب على قمم جبال إسبانيا إبان الحرب الأهلية. أنا ابن عالم تعرّفت عبره على أساطير حضارات المايا والهند والصين. كنت أحلم بكتابة روايات تضارع أعمال تولستوى وشولخوف وهمنجواى والقائمة تطول. فما بالنا بعالم نهر النيل المقدس. لهذا أعتقد أن الخماسية ستُشبع لدى القارئ شغف المعرفة بحياة الجماعات والشعوب التى عاشت على جنبات النيل. هو إذن رد الدَين. وشرف لى أن أكون الروائى الذى جعل من عالم سحرى الجمال، ومن النيل عالمه المقدس.

■ قمت بزيارة السودان للتعرف على الأماكن والأحوال الاجتماعية والتاريخية التى ستكتب عنها، فقدمت لنا مكونات المجتمع السودانى، من القبائل، فمن النادر أن يعلم القارئ المصرى أو العربى شيئًا عن قبائل «الحمر، والجوامعة، والجعلين، والدينكا، والبارى، والشير» التى لا تزال تعيش فى السودان. وكنت حانيا على تلك المجتمعات. أفلا ترى أنها لا تزال تعيش نمطًا إنتاجيًا أصبح خارج الزمان وسط كل ما نراه من لهاث فى أنحاء العالم من إنتاج وتجارة؟ سؤال للمواطن العربى والمثقف اليسارى فتحى إمبابى بجانب الأديب؟

– طالما هدفى هو المعرفة، فثمّة استراتيجيات متعلقة ببناء العمل الروائى، فى البداية التعرف بشفافية وبصيرة على العالم الذى أخوض غماره بعمل أدبى، دون إسقاطات متعلقة بالحاضر، أو ميول الكاتب، فعقيدة الروائى دائمًا وأبدًا هى الإنسانية، ولا ينبغى على الكاتب إطلاق أحكام ما قبل استكشاف العالم المنوط به رصده. علما بأن فن الرواية مهموم بجماليات البشر وروعة الإنسان قبل كل شىء.

أما عن نمط الإنتاج فى المجتمعات الرعوية البدائية فهو المجال الأكثر ثراء وغِنَى، الذى يفيض عند مزجه بالطبيعة البكر بجمال فنى وإنسانى، هى نعمة إلهية لمن يهبه الشغف مغامرة اكتشاف جماعات تعيش بين ظهرانينا فى أماكن وتاريخ غامض مسكوت عنه.

وأخيرًا يا صديقى العزيز أقول: إنه شرف لى أن أكون الروائى الذى جعل من نهر النيل الخالد موضوعًا لمتوالية من خماسية، قد تساعد الناس يومًا على فهم هوية مصر ودورها مثل كتاب «شخصية مصر» للعظيم جمال حمدان.

■ هل كان دافعك لكتابة خماسيتك الروائية هو الدفاع عن ثقافتنا ومكوناتنا الحضارية العريقة فى ظل هجوم الثقافة الغربية بما أسمته العولمة على شعوب العالم الثالث، لمسخ ثقافتنا وتحويلنا إلى مجرد أتباع، أم أن أهدافك وإبداعك بعيدان عن كل ما قلته هذا؟

– من نشأوا فى خضم الحلم الناصرى، وأنا منهم، كان لدينا يقين بأننا سنصعد إلى سقف العالم، وحين اهتز يقيننا، بدأت البحث فى جذور الشخصية المصرية، وإشكالياتها وأزماتها، فاشتبكت مع موضوع الهوية مبكرًا، وأنارت لى رواية «نهر السماء» أثناء كتابتها الكثير، وكانت أكثر الحقائق المفزعة أن مصر حكمها المماليك لمدة تقارب ستة قرون، ورغم ذلك لم يهتز يقينى بعظمة الشعب المصرى للحظة.

ومع بزوغ مفهوم العولمة وتحول العالم إلى قرية، وارتبط بفرض الثقافة الأمريكية على العالم، كنت مسلحًا بروايتى نهر السماء، وبعشقى لمصر، واكتشاف التركيبات والتداخلات فى الوعى واللا وعى الجمعى للجماعة المصرية. وتبين لغالبية المثقفين خطورة الثقافة الأمريكية والغربية على تشويه البشر، ويفيق البعض الآن من غيبوبة الاستسلام لمفهوم العولمة الأمريكية. لأن لدينا ثقافة وحضارة إنسانية عريقة يصعب مسخها.

■ فى الأجزاء الثلاثة التى صدرت من الخماسية تميل لنهايات فيها بشارات وأمل، وربما نبوءات، مثل اكتساح الفيضان للجثث الطافية وتفاصيل العصر المملوكى فى «نهر السماء»، أو انتصار الأورطة فى مهمتها بالمديرية الاستوائية فى «عتبات الجنة» وانتصار الحب لدى السودانيين والمصريين فى «رقص الإبل»؟ فهل تعمدت تلك النهايات أم جاءت بعفوية لحظات الكتابة؟

– هناك نهايات تتشكل أثناء البدايات الأولى للنص، وهذا يسهل عمل الكاتب إذ أنه صار لديه نهاية يتقدم باتجاهها. لكن ثمة نهايات تتشكل بعفوية الإبداع، ومنها روايتا «عتبات الجنة» و«رقص الإبل»، نهايات لم أجهز لها، بل الأحداث والشخصيات تحركت إليها بتطور النص، وقدر من الغائية لدى الكاتب.

■ والمشهد الأسطورى الأخير فى رواية نهر السماء يحمل دلالات كلية. فخلال شبابى كان لدى يقين بمقولات مثل: «الشعب هو المعلم»، وفى رواية «نهر السماء» كان هناك من المماليك. والدراويش والأشقياء، لذا جاء السؤال: ما القوة التى أبقت على الجماعة المصرية عشرات القرون؟ اللغة أم الدين أم الاقتصاد؟ أم القوى الاجتماعية أم السياسة أم العرقية؟

– المصريون غيّروا لغتهم عدّة مرات، وانتقلوا من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام، واقتصاد أمة مكافحة اعتمد على النيل، وهو من أبقى علينا رغم كل شىء. مصر هبة النيل، وهو الذى يغسل عنها أدرانها وأحزانها.

اكتساح الفيضان للجثث الطافية والعصر المملوكى فى «نهر السماء»، وصعود الفلاحين بعزيمة النمل لترويض ذلك الوحش الخرافى الهائج، سيظل أعظم المشاهد التى كتبتها، هو التفاعل الحى والخلاق والعضوى بين الطبيعة والإنسان، يعبر عن فلسفة الحياة والوجود لدى الفلاحين عبر السنوات والقرون. أشكرك صديقى العزيز لأنك أشرت إلى هذا المشهد الأسطورى.

■ هل تعتقد بأهمية الجوائز للمبدعين كدافع متجدد؟

– يحلم كل فنان ومبدع، كل روائى وموسيقى، وكل عالم وباحث، بالوقوف على منصات التتويج، هذا مشهد مهيب وخاصة عندما يقف الفنان كى يتم تكريمه لسبب وحيد وهو جدارته الفنية والإنسانية.

أذكر مشاهد تكريم فنانين عظام فازوا بجوائز الأوسكار آل باتشينو، وبراد بيت، كيفن كوستنر، أو مارلون براندو، وجين فوندا، والفائزون بنوبل، تولستوى وهيمنجواى وماركيز ومحفوظ، معالم البهجة والفرح والسعادة التى ترتسم على وجوههم، الكلمات القصيرة التى يوجهونها لأحبائهم ولمن ساعدهم على الوصول لتلك اللحظة تلخص باختصار أهمية إثابة المبدع والفنان عن عظمة أعماله، وقيمتها بالنسبة له.

أذكر مشهدًا من فيلم «بيتوفل ماينـد beautiful mind» لراسل كرو، العالم العظيم يقف على المسرح ويشير إلى صديقته وحبيبته وزوجته التى أسميها «جزيرته»، ويقول إنها سبب وجوده ووقوفه على منصة التتويج بجائزة نوبل، هذا لا يتوفر كثيرًا للفنانين والأدباء بشكل عام، نذكر نهايات كافكا المحزنة، وانتحار هيمنجواى، وأخيرًا الأيام الأخيرة لتولستوى التى أصابه قليلًا من الخرف، ويكمن السبب فى أن جزيرة الروائى العظيم هى حريته، والحرية لها رفيق هى الثمن المدفوع من الألم والمعاناة.

حرية الروائى هى جوهر الإبداع العظيم ولهذا يزيد تقديرى الشديد لمؤسسة ساويرس الثقافية لأنى حصلت على الجائزة، وأنا أعيش حريتى فى جزيرتى المنعزلة.

أتقدم بجزيل الشكر لمؤسسة ساويرس الثقافية، ولمجلس الأمناء، والأستاذين نجيب وسميح ساويرس، وللجنة التحكيم الموقرة. هذه مهمة ثقافية كبيرة أتمنى لها دوام النجاح.

ثانيًا: أهدى هذه الجائزة لروح أمى، إلى أعز ما لدى ابناى عمر وجاسر، وإلى زملائى المبدعين فى صالون سحر الرواية، إلى المشاركين فى صالون شريف العصفورى للأدب، أخيرًا إلى أهلنا فى السودان الذين يعيشون حربًا فى الخفاء، إلى أطفال ونساء غزة أنتم دائمًا فى القلب، إلى الآلاف من المحبين لفتحى إمبابى ورواياته ومؤلفاته الفكرية والثقافية. إليهم جميعًا أهدى الجائزة.

■ هل ثمة أحلام مرتبطة بأعمالك وإبداعاتك؟

إن كان فى العمر بقية لن أتوقف عن الحلم، أحد أحلامى أن يتولى المركز القومى للترجمة ترجمة الخماسية إلى لغات أجنبية، وتوزيعها فى بلاد النيل وإفريقيا.

الحلم الثانى أن تقوم إحدى شركات الإعلام الوطنية بشراء الخماسية وتحويلها إلى دراما تليفزيونية تواجه شرور المفاهيم التى تبثها شركات الإنتاج العالمية بعظمة المصريين والسودانيين، وأنا أؤكد إنهم لن يخسروا فلسًا مما سينفقونه. إنه عمل عملاق سيطلق طاقات إبداعية لدى الفن والفنانين المصريين والسودانيين والأفارقة. وسيكون حجرًا فى بناء علاقات أخوية متينة بين شعوب وادى النيل وإفريقيا.

مجموعة «قصصية السبعينيون»، صدرت عام 2009 تضمنت 5 قصص قصيرة هى «حكايات قديمة، وحق الموت، وعطب التفاح، وصمت القرنفل، والأيام الأخيرة لصعود الملائكة».

رغم أنها قضت نصف حياتها فى المطارات والسفر، ترى الكاتبة والأديبة والأكاديمية مى التلمسانى أن الشعور الدائم بحمل حقيبة والاستعداد للسفر ليس بالسهل، ورغم حلمها بتحقيق ذاتها فى الغرب، لا تزال تحلم بالعودة والاستقرار فى مصر. فى حوارها التالى مع «حرف»، تتحدث «التلمسانى» عن صدور الطبعة الجديدة من كتابها «للجنة سور»، الذى تنتقل فيه بطلة الحكاية من القاهرة إلى أوتاوا مونتريال فى كندا، والعاصمة الفرنسية باريس.

سارة ساويرس

مى التلمسانى: عشت نصف حياتى فى المطارات.. وأترجم أحلامى إلى كتابة

أعبر عن الغربة فى «للجنة سور» وأستعد لإصدار جزئها الثانى

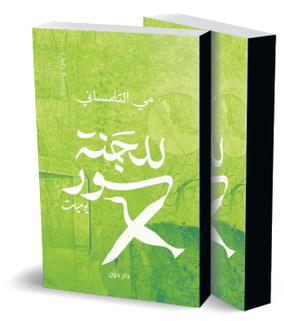

■ فى البداية.. لماذا اخترت «للجنة سور» عنوانًا ليومياتك؟

– أخذت هذا العنوان من رباعية لصلاح جاهين، يقول فيها: «البط شال عدّى الجبال والبحور... ياما نفسى أهجّ أحج ويا الطيور... أوصيك يا ربى لما أموت والنبى... ما تودّنيش الجنة للجنة سور.... وعجبى»، وأردت من خلالها التعبير عن شعور «الغربة» الذى يواجهه الإنسان، سواء فى بلده أو خارجها، فالغربة يمكنها أن تكون داخلية، مثلما ترتبط بالخارج.

■ ما الذى يمثله السفر فى حياة مى التلمسانى؟

عشت نصف حياتى فى المطارات، لأننى أتحرك وأسافر كثيرًا بسبب ظروف عملى، والتدريس وحضور المؤتمرات وكصفتى كاتبة. والتحرك بين مدن كثيرة يجعل لدى الشخص شعور دائم بالترقب والخوف والرهبة، وبأننى أحمل حقيبتى وأذهب إلى المطار، وهذا ليس شيئًا سهلًا. وأرى أنه لا يوجد استقرار فى حياة المهاجر، فمهما كان البحث عن السعادة فى مكان ما آخر، فهو محدود بأسوار.

■ فى اليوميات رصدتِ مشاهد كثيرة مؤثرة.. ما المشهد الذى لا يمكن نسيانه؟

– فى أجواء المطار هذه، يمكن أن يفاجئك مشهد جميل يجعل الوقت يمضى، خاصة إن كان السفر يصل إلى ١١ ساعة فى بعض الأحيان. أذكر أننى التقيت ذات مرة فنانًا تشكيليًا روسيًا على الطائرة، كان اسمه «إيجور»، وكتبت عنه فى مجموعة «للجنة سور».

أنا لا أعرف الروسية، و«إيجور» لا يعرف الحديث باللغة العربية ولا الإنجليزية، حاولت الحديث معه بالإنجليزية، وحتى الفرنسية، لكنه لم يكن يعرف أيًا من هذه اللغات، ورغم ذلك جلسنا ٧ ساعات نتحدث! هو يتحدث الروسية لغته، وأنا أتحدث معه بلغات مختلفة.. بـ«الإشارة فهمنا بعض»، خلقنا بيننا لغة جديدة.

أردت هنا أن أكتب عن تواصل الإنسان بالآخر بغض النظر عن اللغة، كيف يستطيع أن يتجاوز حاجز اللغة ويتواصل مع الآخر. من خلال الفن والرسم وأشياء أخرى، وبعض الكلمات القليلة جدًا، عرفت منها حكايته، لماذا سافر، وأشياء كثيرة جدًا أخرى عنه، كما تحدثنا عن الكاتب الروسى دوستويفسكى.

■ ما الذى شعرت به بعد صدور الطبعة الجديدة لـ«للجنة سور» بعد أكثر من ١٤ عامًا على صدور الأولى؟

– رغم البعد الزمنى ما بين صدور الطبعتين، والذى يزيد على ١٤ عامًا بالفعل، بعد صدور الأولى بين عامى ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، أعدت قراءة هذه اليوميات، ووجدت أننى وسط نفس المشاعر والمشاهد والإشكاليات التى كنا نواجهها.

■ هل حاولت إضافة أو تعديل أو مراجعة أىَ شىء فى الطبعة الجديدة؟

– لا، لم أجر أى تعديل على «للجنة سور»، الطبعة الجديدة كما هى الأولى، لكن قريبًا سيُنشر لى الجزء الثانى من اليوميات، والتى ستكون تحت عنوان: «طرق كثيرة للسفر».

■ ما «الحلم» بالنسبة لمى التلمسانى؟

– الأحلام هى جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، والأحلام أترجمها أحيانًا إلى كتابة، وكان حلمى الكبير أن أحقق ذاتى فى الغرب أو كندا، وما يتبقى هو إننى أكمل هذا الحلم بالعودة إلى مصر والاستقرار فيها.

يحكى أن: «حكايتى مع الكبار»

كريمان حمزة .. أول مفسرة للقرآن الكريم

إبراهيم عبدالعزيز

كأننى عثرت على كنز حينما وجدت كراساتى القديمة التى عنونتها «بينى وبين أصدقائى» وهى رسائلى إليهم، وأحكى فيها خطواتى الأولى فى شارع الصحافة ولقاءاتى بالكبار، بل بمؤسسات كبرى كالرئاسة والدفاع والمخابرات .. إلخ- سنحكيها فى حينها- فقد كنت كمن «نطح وشطح» وأنا ما زلت صحفيًا تحت التمرين!، وكنت مغرمًا بكتابة الرسائل الشخصية التى ساقتنى للكشف عن رسائل كبار الأدباء، وللأسف ذهبت «خطيبتى» ضحيتها، وقد ظننت فخرها بى وأنا أحكى لها فى خطاباتى لها علاقتى بالكبار، حتى اكتشفت أن أحد هذه الخطابات ملق فى الزبالة!، ولعله كان مصير خطاباتى السابقة، بعد أن وجدت خطيبها بدلًا من أن يبثها رسائل حب يبثها رسائله الصحفية، أما الضحية الأخرى فهى قارئة بدأت مراسلتى إعجابًا منذ كتبت قصة اعتزال الفنانة شادية «بمجلة الإذاعة والتليفزيون» وكان لها أسلوب ينم عن ثقافة أطمعتنى بها كزوجة للمستقبل، ولكن ما إن نشرت ملفًا عن الفنان فريد الأطرش حتى اتهمتنى بالانحراف، إذ كيف بعد كتابتى عن الفنانة التى هداها الله، أكتب عن الفنان الذى تحيط به الراقصات وهو يغنى؟!. إلى أن استقر بى المقام عند من أهديتها كتابى «رسائل خاصة جدًا» عن توفيق الحكيم، وكانت متشوقة لسماع حكاياتى مع الكبار، فكنت أعطيها شرائط تسجيل حواراتى معهم. وهكذا مضت الأمور على خير بعد خطوات متعثرة فى حكايتى مع الحياة الاجتماعية، حدث مثلها بالتوازى مع حياتى الصحفية التى شرفنى د. محمد الباز بكتابتها لـ«الدستور» الغراء، ولتكن البداية بالكبار المجهولين، أو «ناس فى الظل» حسب عنوان كتاب لأديبنا الكبير يحيى حقى الذى تمر بنا ذكرى ميلاده هذا الشهر الذى تمر فيه أيضًا ذكرى صبرى العسكرى، المحامى الذى أنقذ سمعة مصر الثقافية فى أشهر قضية أدبية فى ثمانينيات القرن الماضى حين برأ «ألف ليلة وليلة» من المصادرة والحرق باعتبارها قصصًا إباحية!– ولكن الحديث عن ذلك لاحقًا حتى لا يفوتنا الاحتفاء بالإعلامية الكبيرة كريمان حمزة التى رحلت منذ أيام فى صمت لا يليق بها، رغم أنها قضت فى العمل الإعلامى الدينى أكثر من أربعين سنة قدمت خلالها برامجها الإذاعية والتليفزيونية، ومنها: الرضا والنور، بالحق أنزلناه وبالحق نزل، كلمة طيبة. وهو ما أهلها لاختيارها عضوًا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ولها عدة مؤلفات منها: سيد الخلق، لله يا زمرى، نيجار والغابة. غير أن أهم أعمالها التى لم تسبقها إليها امرأة فى تاريخنا الإسلامى هو كتابها «اللؤلؤ والمرجان فى تفسير القرآن»، وقد صدرت طبعته منذ ثلاث عشرة سنة فى صمت لا يليق بهذا الإنجاز الكبير الذى قرأت من أجله ٢٦ تفسيرًا، وكان نهجها وسطيًا، ربطته بمناحى الحياة من سلوك وعبادات ومعاملات، وقضت ثلاث سنوات ونصف السنة لإنجازه، ومثلها للمراجعة، وقد أجاز الأزهر هذا التفسير بعد دراسته ٢٦ شهرًا، وقد وصل صدى هذا العمل إلى البلاد العربية، حتى إنها ذكرت تلقيها خطابًا من الملك عبدالله، ملك الشقيقة السعودية يشكرها على تفسيرها للقرآن باعتباره عملًا رائعًا، ووصفه بالتفسير العصرى والشامل. واستثمرت عملها الإعلامى فى تقديم ٧٥ حلقة من تفسيرها للقرآن الكريم بإذاعة «صوت العرب»، وكان هذا العمل الجليل مرشحًا لجائزة الدولة ولكن تم استبعاده، وقد اتهمت صفوت الشريف، وزير الإعلام وقتها، بأنه يشن حصارًا حولها، وكان غير راضٍ عن برامجها. وقد حكت لى فى لقائى بها كيف أنها كانت تتبنى عملية جمع تبرعات للمغتربين الأفارقة الذين يدرسون بالأزهر، وقامت من أجل ذلك بجولة فى بعض البلاد العربية، وذكرت لى أن الشيخ زايد بن سلطان، مؤسس دولة الإمارات قد تبرع لحملتها بخمسة ملايين دولار من جيبه الخاص، تقديرًا لعملها الخيرى .

المعرض فى 13 سؤال

أيام قليلة تفصلنا عن انطلاق الدورة الـ55، لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، المقرر إقامته تحت رعاية الرئيس عبدالفتاح السيسى، رئيس الجمهورية، بمشاركة نخبة من مفكرى مصر والعالم، وبحلول النرويج ضيف شرف هذا العام، لذا توضح الدستور، كل ما يتعلق بالمعرض، وتعريف المواطنين، بأهم وأبرز الأحداث، والفعاليات خلال أيامه، وطرق الوصول إليه.

جمال عاشور

1 متى تنطلق فعاليات المعرض؟

- يفتتح معرض الكتاب رسميًا يوم ٢٤ يناير الجارى، وتُقام فعاليات الثقافية فى الفترة من الشهر ذاته وتستمر حتى ٦ فبراير المقبل.

2 أين يقام معرض الكتاب؟

- يقام المعرض فى مركز مصر للمعارض والمؤتمرات الدولية بالتجمع الخامس.

3 ما شعار معرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الـ55؟

- يأتى شعار المعرض هذا العام تحت عنوان «نصنع المعرفة... نصون الكلمة»، ليؤكد ريادة مصر الحضارية والثقافية المتصلة منذ القدم حتى يومنا هذا، وبما يرسخ مكانة معرض القاهرة الدولى للكتاب، بوصفه واحدًا من ركائز الصناعات والمشروعات الثقافية.

4 ما دولة ضيف شرف معرض الكتاب هذا العام؟

- تحل مملكة النرويج ضيف شرف، هذا العام، وهو اتجاه للثقافة العربية نحو التخاطب مع ثقافة شمال أوروبا «شبه الجزيرة الإسكندنافية»، وتعريف الآخر بالإبداع المصرى والعربى، مما يتيح آفاقًا رحبة للتبادل الثقافى، والإبداعى.

5 مَن شخصية معرض الكتاب؟

- تم اختيار اسم عالم المصريات الدكتور سليم حسن شخصية المعرض، لما له من دور كبير فى ترسيخ الهُويّة المصرية؛ من خلال تناوله تاريخ مصر وحضارتها من عصور ما قبل التاريخ، مرورًا بالدولة القديمة والوسطى والرعامسة والعهد الفارسى، وانتهاءً بأواخر العصر البطلمى.

6 مَن شخصية معرض الطفل المرافق لمعرض الكتاب؟

- قررت اللجنة العليا للمعرض اختيار اسم كاتب الأطفال الكبير يعقوب الشارونى، ليكون شخصية معرض الطفل هذا العام، بوصفه أحد أبرز رواد أدب الطفل فى العالم العربى، وله مشروع ثقافى عظيم، وإنتاج أدبى أقل ما يوصف به أنه شديد الغزارة شديد التنوع شديد التأثير، فضلًا عن استلهام معظم مؤلفاته من التراث الشعبى المصرى.

7 كم عدد دور النشر والدول المشاركة؟

- يشارك ١٢٠٠ ناشر، من قارات العالم، بزيادة ١٥٣ ناشرًا عن الدورة الماضية، ويبلغ عدد الدول المشاركة ٧٠ دولة من جنسيات مختلفة، ويبلغ عدد العارضين ٥٢٥٠ عارضًا هذا العام، الأمر الذى يُثرى ويؤكد فكرة شعاره «نصنع المعرفة... نصون الكلمة».

8 هل توجد مؤسسات رسمية فى المعرض؟

- يشهد مشاركة ٩٤ وزارة ومؤسسة مصرية وعربية، منها على سبيل المثال: وزارة الدفاع، وزارة الداخلية، هيئة الرقابة الإدارية ممثلة فى «الأكاديمية الوطنية لمكافحة الفساد»، وزارة الأوقاف، وزارة الشباب والرياضة، وزارة التضامن الاجتماعى، الأزهر الشريف، دار الإفتاء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء، المبادرة الرئاسية «حياة كريمة»، نادى القضاة، وغيرها من المؤسسات الرسمية.

9 هل توجد فعاليات فنية فى معرض الكتاب؟

- يشهد المعرض العديد من الفعاليات الفنية التفاعلية، حيث يمتزج فيها جمهور المعرض مع تراثه من الأداءات التراثية التى نشأ وعاش عليها فى البراح المعتاد، وذلك بالتعاون مع جميع قطاعات وزارة الثقافة منها: «الهيئة العامة لقصور الثقافة، دار الأوبرا المصرية، المركز القومى لثقافة الطفل، أكاديمية الفنون... وغيرها».

10 مَن مُصمم بوستر المعرض؟ وعن ماذا يعبر؟

- جاء تصميم بوستر المعرض للفنان الدكتور أشرف رضا، أستاذ الفنون الجميلة، معبرًا به عن روح الفن المصرى القديم، دمجًا مع فن الخط العربى، ويتصدر التصميم نحت بارز للمعبودة «سيشات» إلهة الحكمة والمعرفة والكتابة فى مصر القديمة، حيث يرجع لها الفضل فى اختراع الكتابة، وارتبط اسمها بمجالات علم الفلك والمعمار والبناء والرياضيات، وهى المجالات المعتمدة أساسًا على مهارات الكتابة والتدوين، وتظهر «سيشات» ممسكة بقلم الكتابة ترسم شقوقًا على جريدة نخل، للدلالة على تسجيل مرور الوقت، وتحمل فوق رأسها شعارًا سباعى الأذرع، وقد دعاها الملك «تحتمس الثالث» «١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م» ذات السبع نقاط، وينص العديد من نصوص التوابيت على أن «سيشات تفتح لك أبواب السماء».

11 كم سعر تذكرة معرض الكتاب؟ وكيف يتم حجزها؟

- يبلغ سعر تذكرة المعرض ٥ جنيهات، ويتم حجزها من خلال المنصة الرقمية، عن طريق اختيار عدد مرات الحضور للمعرض، ومن ثم اختيار طرق الدفع المتاحة، وازدادت طرق الحصول عليها هذه الدورة، لتكون الخدمة سهلة عن طريق تطبيقات الدفع الإلكترونية سواء بطاقات الدفع «فيزا – ماستر كارد- ميزة»، أو عن طريق «باى موب- الأهلى ممكن- أمان».. وغيرها؛ والدخول من بوابة vip وجميع البوابات.

12 ما الجديد فى المعرض هذا العام؟

- المعرض هذا العام استحدث محورًا جديدًا بعنوان «مؤتمر اليوم الواحد»، الذى يضم ٦ مؤتمرات، منها: مؤتمر تقنيات الذكاء الاصطناعى، بالتعاون مع جامعة مصر المعلوماتية، ومؤتمر الترجمة عن العربية- جسر للحضارة، بمشاركة وزارات الثقافة والأوقاف، ويشارك فيه عدد من المؤسسات المصرية والعربية، ومؤتمر الملكية الفكرية.. حماية الإبداع فى الجمهورية الجديدة، ومؤتمر طه حسين، ومؤتمر نازك الملائكة.

13 ما إجراءات دخول المعرض؟

- حجز تذكرة الدخول بـ٥ جنيهات، من خلال خطوات التسجيل للحصول على تذكرة الزيارة على الرابط الخاص بالموقع https://cairobookfair.gebo.gov.eg أو من خلال الكلمات الدلالية على محرك البحث جوجل، ويتبعها الضغط على خيار احجز تذكرتك، ثم إدخال البيانات الشخصية المطلوبة: الاسم، رقم الهاتف، البريد الإلكترونى، العمر، الجنسية، النوع، وحتى الحصول على تذكرة الزيارة؛ حيث يتم بعد الانتهاء من عملية التسجيل إرسال نسخة من التذكرة فى رسالة نصية على واتس آب للرقم المسجل، ونسخة أخرى على البريد الإلكترونى تحتوى على بوابة الدخول واليوم المحدد للزيارة.

مدير «القومى للترجمة»: الترجمات من «النرويجية» نادرة.. والمعرض فرصة لاكتشافها

تحل مملكة النرويج ضيف شرف معرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الـ٥٥، المقرر إنطلاقها فى ٢٤ يناير الجارى، وتستمر حتى ٦ فبراير المقبل، تحت شعار: «نصنع المعرفة.. نصون الكلمة»، وذلك فى مركز مصر للمعارض الدولية بالتجمع الخامس.

وفى كلمتها خلال المؤتمر الصحفى الذى عقدته وزيرة الثقافة، الدكتورة نيفين الكيلانى، لإعلان تفاصيل الدورة ٥٥ من معرض القاهرة الدولى للكتاب، وصفت سفيرة النرويج فى مصر، هيلدا كليميتسدال، ترجمة الكتب من النرويجية إلى العربية بأنه «تحد كبير».

وأضافت سفيرة النرويج: «هدفنا كضيف شرف هنا فى القاهرة هو تعزيز هذا الجهد، وأن تسير الترجمات فى الاتجاهين، بحيث يصبح المزيد من الأدب العربى متاحًا للجمهور النرويجى، وأن يؤدى اللقاء بين الأدباء من النرويج والقراء العرب فى معرض القاهرة للكتاب، إلى جلب المزيد من المعرفة حول عالم الثقافة العربية إلى النرويج».

وشددت «كليميتسدال» على أن «الكتب المترجمة تقرب بين دول العالم المختلفة، وتسمح بتوسيع فهمنا لبعضنا البعض، واكتساب تجارب جديدة»، مشيرة إلى أن الأدب يتمتع بقدرة فريدة على مد الجسور بين الثقافات، وتعزيز التعاون عبر الحدود.

هذه التصريحات تستدعى أن نتساءل: هل تشهد الدورة ٥٥ من معرض القاهرة الدولى للكتاب ترجمة أعمال رواد أدب النرويج، مثل أبوالمسرح الواقعى هنريى غبن، والفائز بجائزة «نوبل» للآداب عام ٢٠٢٣، يون فوسه، أم لا ؟

وقالت الدكتورة كرمة سامى، مدير المركز القومى للترجمة، إنه فى حدود معلوماتها لا يوجد سوى كتاب نرويجى واحد مُترجم من خلال المركز، فى الدورة ٥٥ من معرض القاهرة للكتاب، مشيرة إلى أنه كتاب للأطفال.

وأضافت مدير «القومى للترجمة»: «سأراجع المكتب الفنى بالمركز للوقوف على وجود أعمال أخرى مترجمة عن النرويجية إلى اللغة العربية من عدمه»، مؤكدة أن الكتب المترجمة عن هذه اللغة نادرة، لذا يمكن لمعرض القاهرة الدولى للكتاب أن يكون فرصة لاكتشاف هذه الأعمال.

وعن دور النشر الخاصة فى مصر، لم تصدر سوى روايتين فقط للأديب النرويجى الفائز بجائزة «نوبل» لعام ٢٠٢٣، يون فوسه، وهما «صباح ومساء» الصادرة عام ٢٠١٨، و«ثلاثية» الصادرة فى ٢٠٢٣، من ترجمة أمل رواش وشيرين عبدالوهاب.

ويكشف هذا عن ضعف حركة ترجمة الأعمال الأدبية النرويجية إلى اللغة العربية، سواء فى دور النشر الرسمية أو الخاصة، رغم أن أعمال المسرحى النرويجى هنرى إبسن عرفها المسرح المصرى منذ عام ١٩٥٣، وتم تقديمها على خشبة المسرح القومى.

وفى كلمتها بالمؤتمر الصحفى، أعربت سفيرة النرويج عن أملها فى ترجمة أعمال يون فوسه إلى اللغة العربية، لإتاحتها إلى الجمهورين المصرى والعربى، وتعريفهما بأعماله فى معرض الكتاب، الذى يعتبر منطقة حوار لممثلى الدول العربية والضيوف النرويجيين، وأداة مثلى لبناء جسور قوية بين البلدان.

وأضافت السفيرة: «معرض القاهرة الدولى للكتاب يمثل فرصة عظيمة لتقديم مجموعة واسعة من الأدباء النرويجيين فى مصر والعالم العربى، نظرًا لكونه واحدًا من أكبر معارض الكتب على مستوى العالم، ويزوره الملايين من محبى القراءة، لذا نعتبره بوابة مهمة لترويج الأدب والفن والثقافة النرويجية للجمهور العربى».

وواصلت: «من خلال دورنا كدولة ضيفة شرف، نريد إشعال متعة القراءة، وإظهار أهمية القراءة للأطفال من جميع الأعمار، عبر تسهيل التواصل بين صُنّاع النشر فى مصر والنرويج، لتعزيز عملية الترجمة من اللغة النرويجية إلى العربية، وتحفيز الحوار بين الجمهورين النرويجى والعربى».

وأشارت إلى أن النرويج تمتلك العديد من المؤلفين العالميين، والمقرر مشاركة بعضهم فى فعاليات المعرض، ولقاء القراء المصريين والجمهور الناطق باللغة العربية، على أن تكون مشاركتهم بموضوعات حول القضايا المهمة فى عصرنا، مثل: الاستدامة وتغير المناخ والبيئة والمساواة بين الجنسين.

ويمتد البرنامج الثقافى لضيف الشرف على مدى ١٣ يومًا، على أن يتم كل يوم التركيز على مؤلف نرويجى وأعماله الأدبية، وفق السفيرة، مضيفة: «العديد من المؤلفين الذين يشاركون فى البرنامج الأدبى لهم منشورات حديثة من قبل ناشرين مصريين أو عرب».

وواصلت: «سينضم المؤلفون والباحثون والصحفيون والناشرون والعلماء المصريون إلى المحادثات فى البرنامج، مع التركيز بشكل خاص على أدب الطفل، من خلال مشاركة عدد من المؤلفين ورسامى كتب الأطفال النرويجيين فى الفعاليات، لما يلعبه أدب الطفل من دور محورى فى تشكيل العقول الشابة، وتعزيز الخيال، وغرس القيم، ووضع الأُسس لحب القراءة والتعلم مدى الحياة».

وتزور الأميرة ميت ماريت، زوجة ولى العهد النرويجى مصر، وتحضر معرض القاهرة الدولى للكتاب، رفقة وزير الخارجية، إسبن بارث إيدى، وهو ما اعتبرته السفيرة النرويجية شهادة على أهمية العلاقات الثنائية فى المجالات كافة بين مصر والنرويج.

وقالت سفيرة النرويج إن مشاركة صاحبة السمو الملكى الأميرة ميت ماريت، تأتى بوصفها سفيرة الأدب النرويجى على المستوى الدولى، خاصة أنها قارئة شغوفة، تحرص على نشر القراءة بين الأجيال الجديدة.

حسام الضمرانى

> إبداعات النرويج فى «الدورة 55»: كتاب واحد للطفل.. وروايتان لـ«أديب نوبل»

معرض القاهرة الدولى للكتاب 55
Cairo International Book Fair

تشهد الدورة المقبلة من معرض القاهرة الدولى للكتاب مشروعًا هو الأهم من نوعه بعنوان «ديوان الشعر المصرى»، ويقوم عليه الشاعر الكبير أحمد الشهاوى، وتستهدف السلسلة الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب إبراز جماليات وتاريخ الشعر المصرى القديم على مدار ألف سنة.
ويتوقف مشروع «مصر الشعرية» عند محمود حسن إسماعيل، إذ إن ما بعده من أسماء لا تحتاج إلى هذا المشروع، نظرًا لأن كتبها موجودة ومتاحة فى المكتبات وطبعت أكثر من مرة مصريًا وعربيًا.
ويصدر، خلال معرض الكتاب، أول ٦ كتب وهى للشعراء: «البهاء زهير، ابن سناء المُلك، ابن النبيه، ابن الكيزانى، ابن نُباتة المصرى، ابن قلاقس».
«حرف»، وفى إطار انفرادها بتفاصيل المشروع فى عددها الأول، تنشر، بداية من هذا العدد، مقدمات دواوين المشروع بقلم أحمد الشهاوى.

الانفراد متواصل.. مقدمات أحمد الشهاوى لمشروع «ديوان الشعر المصرى»

ابن سناء المُلك
مُمثِّل الرُّوح المِصرية فى الشِّعْر

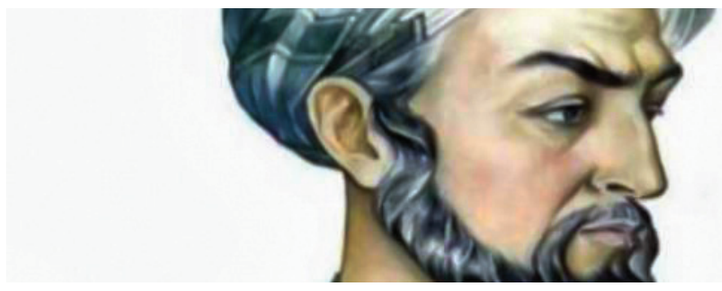

نادرًا ما نجدُ أحدًا يذكرُ ابن سناء الملك بوصفه واحدًا من كبار الشُعراء المِصريين؛ لأنَّنا لم ندرسه فى المناهج الدراسية، كما أنَّ كتبه غير متوفِّرة فى المكتبات، وإن أنصتنا إلى فيروز استمعنا إلى غنائها مقاطع من شِعْره: «يا شقيق الرُّوح من جسدى...»، لكن من دُون أن نعرفَ أنَّ هذه المقاطعَ من شِعر ابن سناء المُلك، وإذا ذكرنا اسمَه جاء مرتبطًا باسم شارع فى المدينة المُنوَّرة أو فى غيرها من المُدن، أو على مدرسةٍ ما.

وقد ذكر شوقى ضيف «١٣من يناير ١٩١٠- ١٠من مارس ٢٠٠٥ ميلادية»، فى كتابه «فصول فى الشعر ونقده» أنَّه لا يبالغ إذا قال: «إنَّ ابن سناء الملك، أكبر شاعرٍ ظهر بمصر قبل العصر الحديث» و«يدل على شاعرية خصبة، يغوص وراء التصاوير حتى يأتى بفرائد عجيبة، مع حلاوة الأسلوب وعذوبته، مما يدلُّ على أنه كان شاعرًا مبدعًا إلى أبعد حدُود الإبداع» و«قصائده تحملُ الكثيرَ من الصُّور المُبتكَرة»، وهو رأى مغايرٌ لمعاصره عبدالعزيز الأهوانى «١٩١٥- ١٩٨٠ ميلادية» الذى تحدث عن ابن سناء المُلك بوصفه شاعرًا ركيكًا ومُقلِّدًا غير مبتكر، عقيمًا، يعانى من ازدواج فى اللغة بين العربية الفصحى والعامية المصرية، فى كتابه «ابن سناء الملك.. ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» الذى صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية، تاريخ الإصدار ١٩٦٢.

وإن كُنتُ أرى أنَّ ابن سناء الملك عندى أكثرُ جِدَّةً وجِدِّيةً فى شعره من البهاء زُهير، كما أنَّ شِعْره ممثِّلٌ حقيقى للرُّوح المصرية فى سُهولتها وانسيابيتها وتدفُّقها الذى يدركُه المرء من دُون جهد.

وكان ابن سناء المُلك فى زمانه موضع حسَد الشُّعراء المُعاصرين لما لهُ من علاقات وصلات عميقة بعليَة قومه وقتذاك مثل القاضى الفاضل؛ لأنَّ هذه الصلة جعلت ابنَ سناء المُلك مُقرَبًا من صلاح الدين الأيوبى وحاشيته.

لقد عاش ثمانيةً وخمسين عامًا، وكان يُطلَقُ عليه «القاضى السَّعيد»، وكان واسطة العقد فى مجالس الشُّعراء بمصر، وهو أوَّل من استكثر من الموشَّحات وأجاد فيها من شُعراء المشرق، حيثُ يذكرُ فى مقدمة كتابه «دار الطراز» عن الموشَّحات: «وكنتُ فى طليعة العُمر، وفى ربيل السنِّ قد همتُ بها عشقًا، وشغفتُ بها حبًا، وصاحَبْتُها سماعًا، وعاشَرْتُها حِفظًا»، وهو أول كتاب يؤلِّفُه شاعرٌ عربى فى تاريخ المُوشَّح، حيثُ تناول قواعدَ هذا الفن وأصوله، ويُصرِّح ابن سناء الملك: «ولم أرَ أحدًا صنَّف فى أصولها ما يكونُ للمتعلم مثالًا يُحتذى وسبيلًا يُقتفَى، جَمَعْتُ فى هذه الأوراق ما لا بد لمن يعاينها- أعنى المُوشَّحات- ويعنى بها من مَعْرِفَته، ولا غَناء به عن تفصيله وجُملته، ليكونَ للمنتهى تذكرة، وللمبتدى تبصرةً»، ويذكرُ محمد كامل حسين فى كتابه «دراساتٌ فى الشِّعْر فى عصر الأيوبيين» أنَّ: «ابن سناء المُلك أول من مَصَّر خرجة المُوشَّح، وأوَّل من ألَّف كتابًا فى هذا الفن، كما أنه أوَّلُ من أكثرَ من كتابة المُوشَّحات، فإنْ كان ابن سناء المُلك عُرِفَ بالشِّعْر، فإنِّى أضعُه بين المُوشِّحين؛ لأنَّ الموشَّحَ هو الفنُّ الذى برَزَ فيه ونَبغَ أكثرُ من نبوغه فى الشِّعْر».

وهو يعدُ من أكبر شُعراء مصر فى العصر الأيوبى ومن أكثرهم إنتاجًا للمنظوم والمنثور. وَصَفَهُ ابن خلكان «٦٠٨ - ٦٨١ هجرية»، بقوله: «صاحب ديوان الشِّعْر البديع والنظم الرَّائق، أحد الفُضلاء الرؤساء النبلاء، وكان كثير التخصُّص والتنعُّم، وافر السَّعادة محظوظًا من الدُّنيا».

وذكر ياقوت الحموى «٥٧٤ هجرية/ ١١٧٨ ميلادية- ٦٢٦ هجرية/ ١٢٢٩ميلادية» أنَّه: «أحد أدباء العصر وشعرائه المُجيدين، ذاع صيته وسار ذِكره».

ولابن سناء الملك ديوانٌ شعريٌ، طُبِعَ بتحقيق محمد إبراهيم نصر، ومراجعة حسين نصار فى القاهرة سنة ١٩٦٩ميلادية، ثم أعادت الهيئة العامة لقصور الثقافة طبعه سنة ٢٠٠٣ ميلادية. وله كتابٌ شهيرٌ هو «دار الطراز»، ونلحظ أنَّ كل من ذكر هذا الديوان يذكِّر بهذا البيت:

«سواى يهاب الموتُ أو يرهبُ الرَّدى
وغيرى يهوى أن يعيشَ مُخلَّدا».

وقد طُبع بتحقيق جودت الركابى فى بيروت سنة ١٩٤٩ميلادية، وأعادت الهيئة العامة لقصور الثقافة فى مصر طبعه سنة ٢٠٠٤ ميلادية.

أما كتابه الثالث فهو «فصُوص الفصُول وعقُود العقول»، وهو مجمُوع شعر ونثر ومراسلات أكثرها من القاضى الفاضل «٥٢٦- ٥٩٦ هجرية» أستاذ المنشئين فى ذلك العصر، حيثُ يمدحُه ويمدحُ أباه وجدَّه. وعن تلمذته له يذكرُ فى هذا الكتاب أنَّ القاضى الفاضل: «هو الغنى وأنا المحتاج إليه، وهو المعطى وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمُتعلِّم منه»، كما أنَّ الفاضل قد امتدح ابن سناء المُلك قائلًا: «أمَّا بلاغته فقد بَلَغَت الغاية، وأما قَلَمُه فإنه به قد أُعْطِىَ الراية».

واختصر كتاب «الحيوان» للجاحظ، وسمى المختصر «روح الحيوان» وهى تسمية لطيفة، وله «كتاب مصايد الشوارد».

وقد ألَّف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى «توفى سنة ٧٦٤ هجرية» كتابًا سماه «الاقتصار على جواهر السلك فى الانتصار لابن سناء الملك»، ومنه نسخة وحيدة فى دار صدَّام للمخطوطات ببغداد.

ابن سناء الملك «٥٥٠ هجرية- ٦٠٨ هجرية» كان من المعجبين بالبحترى «٨٢١ - ٨٩٧ ميلادية»، ويعيب على أبى تمام «١٨٨- ٢٣١ هجرية/ ٨٠٣- ٨٤٥ ميلادية»، ولم يجد بين هؤلاء القدماء من شُعراء العبَّاسيين من يتخذهُ أستاذًا له فى الشِّعر سوى ابن المعتز «٢٤٧- ٢٩٦ هجرية/ ٨٦١- ٩٠٨ ميلادية».

وكان يتقنُ اللغة الفارسية، وينشر بعضَ إنتاجه بها، ويستخدمُ بعضَ الخرجات الفارسية فى موشَّحاته، كما كان ملمًا بعلوم الفلك، حتى كثُرت إشاراتُه لأسماء الكواكب والنجوم والأفلاك ومنازلها، وما يدور حولها من قصص وأساطير.

...

وقد رأيتُ أنَّ ابن سناء المُلك يبدأ أغلبَ قصائده بالغزَل على عادة أهل زمانه والسَّابقين عليه، لكنَّنى فى اختيارى لشِعْره استبعدتُ المدائحَ التى كانت مُرتبطةً بتواريخ وأحداث سياسية، وأبقيتُ الشِّعْرَ الذى يظلُّ حيًا مقاومًا مِصفاة الزَّمن.

> من أكبر شعراء مصر فى العصر الأيوبى ومن أكثرهم إنتاجًا للمنظوم والمنثور

ابنُ النبيه المِصرى
جمع شِعرَهُ وزيرٌ وقدَّمه لنا أبوالعلا مُحمَّد

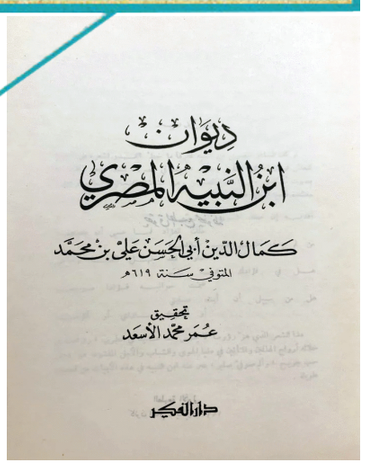

من المُؤكَّد أنَّ أبا العلا محمد «١٩٢٧- ١٨٨٤ ميلادية» الموسيقى المصرى الرائد قد رأى سنة ١٩٢٦ ميلادية شيئًا مختلفًا فى شِعْر ابن النبيه- من شُعراء القرنين السادس والسابع الهجريين- كى يختارَ له قصيدة «أفْديه إن حفظ الهوى أو ضَيَّعا/ ملكَ الفُؤادَ فما عسى أنْ أصنَعا» ليلحنها ويغنِّيها، ويمنحها بعد ذلك إلى أم كلثوم «٤ من مايو ١٩٠٨/ ٣ من فبراير ١٩٧٥ ميلادية»، ومع ذلك لم يُعرَف ابن النبيه إلا بين خاصَّة الخاصَّة، على الرغم من أنه كان يعرفُ كيف يخاطبُ الرُّوحَ المصريةَ التى تتبدَّى فى شعره بوضُوح، كما أنَّ نصوصَه اتسمتْ بالرقَّة والعذوبة والسُّهولة.

جُمِعَ شعره فى ديوانٍ حمل اسمه عام ١٨٣٩ ميلادى على يد الوزير عبدالله باشا فكرى «١٢٥٠- ١٣٠٦ هجرية/ ١٨٣٤- ١٨٨٩ ميلادية».

كان واحدًا من أهل الغزَل فى العصر الأيوبى، ممَّن أطلقَ عليهم أصحاب «الطريقة الغرامية» وهى طريقةٌ مصريةٌ خالصةٌ، وألفاظ شعر ابن النبيه ليِّنة، وبحوره مجزُوءة أو قصيرة، ومن سماته، وهو الذى كان رئيسًا لديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين «وهى الآن مدينةٌ تاريخيةٌ تقعُ فى محافظة ماردين، تركيا» فسكنها وتُوفى بها، ذِكر البلدان والأماكن، وتلك كانت خصيصة من خصائص الشِّعر فى مصر الإسلامية، حيثُ يكادُ الشِّعرُ المِصرى أن يقدم سجلًا جغرافيًا بأسماء البلدان والأماكن المصرية من مدنٍ وأحياءٍ ومعالم، ولقد كان كذلك معاصره ابن سناء الملك «٥٤٥- ٦٠٨ هجرية/ ١١٥٠- ١٢١٢ ميلادية»، و«البهاء زهير» المُتوفَّى سنة ٦٥٦ هجرية، فابن النبيه- الذى عاش ستين عامًا- طبقًا لباحثٍ أحصى الأماكنَ التى وردت فى شعره قد تجاوزت مائة وبضعة وعشرين موضعًا.

وتفتَّح وعى ابن النبيه الشِّعرى، وطمح إلى الالتحاق بدواوين صلاح الدين الأيوبى «٥٣٢- ٥٨٩ هجرية/ ١١٣٨- ١١٩٣ ميلادية»، ووزيره الكاتب البليغ القاضى الفاضل «٥٢٦- ٥٩٦ هجرية» راعى الأدباء فى عصره.

تولى بمصر ديوان الخراج والحساب، ومدح الملوك من بنى أيوب، ووزراء تلك الدولة وأكابرها، ثم اتصل بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن أيوب بن شادى، فانتظم فى سلك شعراء دولته.

ومن سمات شعر ابن النبيه الاقتباس والتضمين، حيثُ يستخدمُ التعابيرَ القرآنية والدينية، والحديث النبوى، وقد بلغ عدد المواضع التى استخدم فيها الاقتباس من القرآن ما يزيد على بضعة وثلاثين موضعًا، وعادةً ما يستخدمُ ما هو قريبٌ من وجدان المصريين، خصوصًا من سور القرآن الكريم.

وقد وصف شوقى ضيف «١٣ من يناير ١٩١٠- ١٠ من مارس ٢٠٠٥ ميلادية»، جناسات ابن النبيه بقوله: «إنها جناسات خفيفة على اللسان والآذان، لأنَّ صانعها موسيقىٌ ماهرٌ فى قياس الأنغام».

لم يكُن ابن النبيه مدَّاحًا للحُكَّام والرؤساء فقط، لكنه عاش حياةً تميلُ إلى السهولة، والمرح، والمُتعة، وقد تبدَّى ذلك فى ديوانه الشعرى الذى وصل إلينا، ولم يتوصَّل أحدٌ إلى وجود مخطوطاتٍ شعريةٍ له فى مكتبةٍ من مكتبات العالم؛ لأنَّ شعرًا كثيرًا ضاع وأتلف فى زمان ابن النبيه؛ لأسبابٍ سياسيةٍ وعقائدية.

ولا أقولُ هنا إن ابن النبيه المصرى يشبهُ أبا الطيب المتنبى «٣٠٣-٣٥٤ هجرية/٩١٥-٩٦٥ ميلادية»، أو أبا تمام «١٨٨- ٢٣١ هجرية/ ٨٠٣-٨٤٥ ميلادية» مثلًا أو سواهما، لكنَّه كان صاحبَ لغةٍ شعريةٍ تتسمُ بالرقة والسلاسة، وكان فى زمانه شاعرًا له اسمٌ وصوتٌ شعرىٌ أليفٌ وقريبٌ من الرُّوح ومكانة خاصة، ولديه قصائد كبيرة، ولو أنَّ النقد والدراسات الأكاديمية اهتمَّت به منذ أن اختار له الملحن أبوالعلا محمد قصيدة له ليلحنها قبل مئة عامٍ؛ لكان الآن ذائع الصِّيت بين أهل القراءة عمُومًا والشِّعْر خُصوصًا، والمدهش أن هذه القصيدة «أفْديه إن حفظ الهوى أو ضَيَّعا/ ملكَ الفُؤادَ فما عسى أنْ أصنَعَا» كان ابن النبيه يستعطفُ فيها الملك الأشرف «٥٧٨ هجرية/١١٨٢ ميلادية- ٦٣٥ هجرية/ أغسطس ١٢٣٧ ميلادية» بعد جفوة حدثت بينهما.

ولمَّا مات ابن النبيه سنة ٦١٩ هجريَة فى نصيبين، قال الملك الأشرف عند موته، وكان معجبًا بشِعْره: «مات ربُّ القريض».

إنَّ ابن النبيه شاعرٌ يعرفُ كيف يجذبُ الانتباهَ ويستحوذُ على رُوح من يتلقَّاه منذ المرَّة الأولى، على الرغم من أنَّ المصادر التاريخية لم تتحدث عن طبيعة تعليمه، لكنه امتلك ثقافةً لغويةً وأدبيةً ظهرتْ بشكلٍ واضح فى شعره، فاللغة الشِّعرية لديه كانت دائمًا مطواعة وسلسة، بعيدة عن الغرابة والتقعُّر والمهجُور من اللفظ، كما أنه من فرط معارفه وتنوُّعها كانت تطيرُ المفرداتُ بين يديه، كأنَّه ينهلُ من بحرٍ صافٍ لا تنفدُ مياهه، حيثُ لا تعب أو مشقَّة، ممتلئٌ بالأفكار. لم يفرط فى استخدام المُحسِّنات البديعية على عادة أهل زمانه من الشُّعراء، وكان يتركُ رُوحه على فطرتها لتكتبَ من دُون حُجب أو سواتر، مُستندًا على موهبته ودماثته ورقَّته؛ ولذا ارتفعت غزلياته وارتقتْ وبقيت. وهناك شُعراء كثيرون قد استلهموا شعره وعارضوه، ومن بينهم حسام الحاجرى «١١٨٦ ميلادية/ ٥٨٢ هجرية- ٦٣٢ هجرية/ ١٢٣٥ ميلادية»، الذى قتل غدرًا بأربيل، حيثُ خرج يومًا من بيته قبل الظهر، «فوثب عليه شخص، وضربه بسكين، فأخرج حشوته.. ثم توفى بعد ذلك ودفن فى مقبرة باب الميدان»، وشهاب التلعفرى الموصلى «٥٩٣- ٦٧٥ هجرية/ ١١٩٧- ١٢٧٧ ميلادية»، وقد لاحظ ذلك صاحب «فوات الوفيات» محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، الملقب بصلاح الدين «المتوفى سنة ٧٦٤ هجرية».

> لمَّا مات ابن النبيه سنة 619 هجرية فى نصيبين قال الملك الأشرف عند موته وكان معجبًا بشِعْره: مات ربُّ القريض

محو الأمية العلمية

تلعب الثقافة العلمية دورًا كبيرًا فى تكوين جيل قادر على فهم ذاته، ومتطلبات مجتمعه، وذلك لما تقوم به من بناء عقول وبلورة رؤية الشباب داخل المجتمعات ونظراتهم إلى الذات والمجتمع والعالم؛ خاصة فى حالة المجتمعات التى تشهد غلبة وسطوة اللا مبالاة والاستسلام والإحباط والخرافات.

وتسهم الثقافة العلمية فى وضع خارطة طريق واضحة المعالم لتكوين جيل قادر على الإنتاج والإنجاز فى مجال العلم والتقنية؛ والتفاعل مع الوسائل التكنولوجية والرقمية من مدخل الوعى نظرًا لخطورة ما تقدمه من معلومات قد تكون مضللة أو كاذبة، وهو ما ينعكس على حركة المجتمع ونظرته على نحو ناضح لطبيعة التحديات التى تواجه فى الحاضر، بهدف التغلب عليها فى المستقبل القريب؛ ومن هنا تأتى أهمية أن نطرح هذا التساؤل على خبراء الثقافة العلمية: لماذا تتراجع الثقافة العلمية فى مصر؟

حسام الضمرانى

مناهج دراسية أشمل من «الويندوز» و«الأوفيس».. ورفع شعار «الثقافة للجميع»

1 القضاء على ظاهرة التصحر المعرفى أولوية قصوى الآن.. والبداية من التعليم

قال الدكتور خالد نجم، مستشار وزير الاتصالات للحوكمة الرقمية، إن تراجع الثقافة فى مصر بشكل عام يعود إلى أن محفزات الثقافة فى الماضى كانت تأتى من المدرسة والمنزل والمجتمع، لأن الشخصية القارئة مكوناتها كان لها عائد داخل المجتمع، وكان المجتمع ينظر إليها بإعجاب، مشيرًا إلى أنه إذا حددنا الثقافة التى كانت مصادرها وقتها من الكتاب أو من مصادر أصيلة للمعلومات وهى متعددة، وهو النهج الذى كان يسير عليه من أولى الفئات العمرية من سن ١٠ إلى ١٢ و١٥ سنة فى مصر، وكان فكرة الطفل المتواجد فى المدرسة تتحدث آنذاك عن حصيلة المعرفة بانبهار، وهو ما كان يلفت نظر الأطفال ممن حوله، وما أقصده أن البداية كانت من هنا، أى من الثقافة التى هى «تحويشة المعرفة» التى يتحصل عليها الطالب من المدرسة والمنزل والمجتمع، أما حاليًا فلا يوجد ذلك، حيث يتحصل الطفل على الثقافة الآن من الإنترنت وليس من الكتاب، وهو ما يتطلب تعديل مفهومنا للثقافة والمعرفة، خاصة أن تفاعل الطالب مع المعلومة أصبح تفاعلًا لاحظيًا لا تخزينها على عكس ما كان يحدث فى الماضى، أى المعرفة التراكمية.

وأضاف «نجم» فى تصريحات لـ«الدستور»، أن الثقافة العلمية تحصر من يحاول الحصول عليها فى كوادر معينة وليكن فيمن يعملون فى مجال الأبحاث أو المعاهد والأكاديميات فقط، وهى فئة ثقافتها أفقية، أما بالنسبة لدوافع الثقافة العلمية نتساءل: هل هناك عائد لها أم لا من ورائها أو محفزات؟، لأن مفهومنا خاطئ عن مواهب المبتكرين ومن يقومون بحل المشكلات وهو ما جعل الناس تعتمد على هؤلاء ولم نكون ملكة الحصول على حل المشكلات من خلال الثقافة العلمية بأنفسنا.

وأشار مستشار وزير الاتصالات إلى أن الحلول موجودة ومجربة، حيث شاركنا فى حلقة نقاشية بالجامعة منذ أسبوع كنا نتساءل فيها عن الأسباب التى وراء تمسك كل من الصين وروسيا وألمانيا بتخريج شخصية متزنة من المدرسة؛ وكانت الإجابة تتمثل فى أن تلك الدول ما زالت تهتم من خلال تكوين شخصية متعلمة متوازنة دون شوائب مع الاحتفاظ بالهوية، وهو ما يجب أن يحدث هنا لا سيما أن من ٦٠ الى ٧٠٪ من الشعب المصرى بين ١٧ الى ٤٢ سنة وهى فئة مصابة بالتصحر المعرفى، وثانيًا لأن التضخم والابتزال فى المجاميع خاصة مجاميع الثانوية العامة التى أصبحنا نسمع عنها مثل حصول بعض الطلاب على ١٠٢٪ مثلًا وكأنهم عباقرة وهو مؤشر فى غاية الخطورة ما دفع بعض هؤلاء للغرور.

2 مناهج تعليمية جديدة لطلابنا فى المدارس

أكدت الدكتورة بسنت صلاح، مدير مشروع «حياة كريمة رقمية»، أن نوعية المصادر الموثوق فيها غائبة لكون اعتماد الأطفال والشباب على السوشيال ميديا لتلقى المعلومات منها؛ وهى مصادر غير موثوقة، كما أنها لا تقدم لأولادنا بشكل ممنهج بل تقتحم عليهم حياتهم؛ مشيرة إلى أننا لدينا نوعان من المستخدمين؛ الأول مستخدم لديه من الشغف للمعرفة وهو يتعاطى مع التكنولوجيا ووسائلها ومواقع التواصل الاجتماعى، وهذا المستخدم يكون قادرًا على التعامل بحرص ووعى معها، والنوع الثانى المستخدم غير الشغوف فى التعاطى مع الوسائل التكنولوجية الجديدة وهو ما تقل لديه نسبة الوعى بكونها مصادر غير موثقة وهو النوع الغالب من المستخدمين.

وأضافت «صلاح» فى تصريحات لـ«الدستور»، قائلة: «نتمنى محو الأمية التكنولوجية من خلال إقرار بعض المناهج لطلابنا فى المدارس يتجاوز فكرة شرح برامج الويندوز والأوفيس، لكونها تتناول الثقافة العلمية على نحو أوسع وتحديات التكنولوجيا وتأثيرها فى المجتمعات، حتى يكون مواطنًا رقميًا قادرًا على التفاعل مع مجتمعه بإيجابية، وكذلك الحال فى الجامعات على أن يتم إقرار شهادة فى محو الأمية الرقمية للإجازة العلمية؛ قبل التخرج.

وتابعت، أتمنى مؤسسات الدولة مثل وزارة الاتصالات المصرية مع التربية والتعليم والتعليم العالى والبحث العلمى أن تقوم بوضع منهجية لطلابنا فيما يخص محو الثقافة التكنولوجية والرقمية على نحو سريع؛ وهو ما نسعى لتفعيله فى مشروع «حياة كريمة رقمية».

3 استراتيجيات وطنية على مستوى الدولة لتبسيط العلوم

رأى الدكتور حامد عبدالرحيم أحمد عيد، الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة مقرر لجنة الثقافة العلمية والتفكير الابتكارى بالمجلس الأعلى للثقافة، أن اليوم يواجهنا جيل جديد من التكنولوجيات الحديثة، والتى تُعلن عن حضارة علمية جديدة. وهنا لا بد من وسائل الإعلام العلمية أن تلعب دورًا حيويًا فى تقريب العلوم من الجماهير، وتقديم مجالات علمية وتقنية حديثة ومتقدمة من خلال وسائط متنوعة حتى تتصل بالإنسان وأفكاره وعقله وحياته، لكن للأسف يفتقر الإعلام فى كثير من الأحيان إلى اهتمام بالمعلومات العلمية، وأيضًا يفتقر معظم الصحف إلى صفحات متخصصة أو أقسام يومية أو أسبوعية تناقش العلوم والتكنولوجيا، كما أننا نعتبر دور الجامعات ووزارات الإعلام والثقافة فى هذا الصدد ضعيفًا.

وأضاف «عيد» فى تصريحات لـ«الدستور»، موضحًا أنه لتعزيز الاهتمام بالثقافة العلمية ورد اعتبارها، يجب وضع استراتيجيات وطنية على مستوى الدولة من خلال تحضير، وجذب، وتحفيز الكفاءات والمواهب لتبسيط العلوم ونشر الفكر العلمى بين الأشخاص ذوى التخصصات العلمية والتقنية. ويعتبر التركيز على التواصل والتفاعل بين الأشخاص ذوى التخصصات العلمية والذين لديهم تخصصات فى الفكر والثقافة ووسائل الإعلام والأدب والإنسانيات أمرًا أساسيًا. كما يجب على أقسام الإعلام فى الجامعات المصرية أن تولى اهتمامًا للدراسات والأبحاث والمناهج المتعلقة بوسائل الإعلام العلمية، والسعى لتشخيص واقع الإعلام العلمى واستكشاف سبل تفعيله وتطويره. ونشر الحماس والتفاعل مع القضايا العلمية والتطورات التقنية. إن الاهتمام بالتنوير العلمى وتغذية فروع الثقافة العلمية هو مسار لا بد من اتباعه، حيث يمكن أن تؤدى التغييرات العالمية ولغتها الواسعة إلى مزيد من الضحالة والتسطح الفكرى والعلمى.

الرقمنة فى «الثقافة».. لم يحضر أحد حتى الآن!

تعد كل من الهيئة المصرية العامة للكتاب، والهيئة العامة لقصور الثقافة، ودار الكتب والوثائق المصرية أكبر القطاعات فى وزارة الثقافة المصرية من حيث نشر الإصدارات الورقية الجديدة، والتى تتنوع بين الكتب والدوريات والسلاسل؛ وعلى الرغم من إعلان الوزارة عن تحولها فى إطار رؤية مصر للتنمية المستدامة 2030 نحو رقمنة منتجها الثقافى؛ إلا أن أكبر قطاعات النشر فيها مازالت تتبع الأساليب التقليدية فى إنتاجها للكتب والسلاسل على نحو كبير؛ وإن كانت اتجهت نسبيًا نحو رقمنة بعض منتجاتها مثل تدشين بعض المواقع الإلكترونية للسلاسل والمجلات التى تصدر عن بعضها، وهو ما دفعنا للتعرف على آليات وطرق تفكير فريق التسويق فى القطاعات الثلاثة.

1 «هيئة الكتاب»: التحول إلى منصة رقمية دولية

قال أحمد عجاج، مدير الإدارة العامة للدراسات التسويقية بالهيئة المصرية العامة للكتاب، إن المستهدف بالنسبة للهيئة المصرية العامة للكتاب خلال الفترة المقبلة يتمثل فى وضع مقترح أو دراسة تتسق مع المنتج الثقافى فى مصر مع مراعاة الخريطة الثقافية لمصر.

وأضاف «عجاج» فى حديثه لـ«الدستور»، أن من بين المستهدف بالنسبة للإدارة التسويقية بالهيئة المصرية العامة للكتاب مراجعة معارض الكتب الداخلية والخارجية، وتفعيل الثقافة بين مصر وجميع الدول الأخرى الإفريقية والعربية وآسيا؛ سواء من خلال الترجمة والتفاعل مع هذه الثقافات، إضافة للاستثمار فى منصة الهيئة العامة للكتاب وتحويلها إلى منصة رقمية دولية؛ والانطلاق منها من الناحية التسويقية.

2 «قصور الثقافة»: الطريق ما زال طويلاً

أكدت تغريد كامل إمام، مدير عام التسويق والمبيعات، مسئولة التسويق فى الهيئة العامة لقصور الثقافة، أن موضوع التحول نحو رقمنة منتجات الهيئة العامة لقصور الثقافة رغم أن الهيئة بدأت فيه منذ فترة بسيطة؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر التسويق الإلكترونى وبيع الكتب على الإنترنت والنشر الإلكترونى والأسطوانات المدمجة رقميًا، إلا أن «قصور الثقافة» ما زالت تقوم بتسويق الكتاب عن طريق المعارض والمنافذ الهيئة؛ ومنها منافذ «قصور الثقافة» فى القاهرة مثل المنفذ الرئيسى فى شارع قصر العينى، ومنفذان فى الأزبكية، ومنفذ واحد فى روض الفرج، ومنفذ واحد فى مسرح السامر، ومنفذ واحد فى سور أكاديمية الفنون.

وأوضحت «إمام» فى حديثها لـ«الدستور»، أن التسويق نقوم به من خلال صفحة الهيئة وادارة النشر وإدارة التسويق على موقع التواصل الاجتماعى «فيس بوك»، ومنها نشر الأخبار الخاصة بالهيئة، مشيرة إلى أنه من المقرر أن تبدأ «قصور الثقافة» خلال هذا العام فى تفعيل خاصية «الباركود» الخاصة بإصداراتنا، أما بالنسبة إلى الكتاب الصوتى قالت: «أظن لسه محتاجين تجهيزات كبيرة فى هذا الشأن».

وبسؤالها عن أسعار الكتب الصادرة عن «قصور الثقافة»، قالت إن الهيئة ما زالت تتمسك بتقديم كتب بأقل الأسعار بالمقارنة بباقى قطاعات وزارة الثقافة، تبدأ من جنيه إلى ٢٢ جنيهًا، منها كتب طه حسين التى يصل سعرها ٥ جنيهات إلى ١٢ جنيهًا، حيث نضع فى الاعتبار تداعيات الأزمات الاقتصادية على المواطنين وتأثيرها فى سوق النشر، ولفتت إلى أن «قصور الثقافة» لديها إدارة لقياس الرأى تقوم بإعداد الاستبيانات للجمهور لمعرفة اتجاهاته وهو ما بدأ مؤخرًا.

3 «دار الكتب والوثائق القومية»: «لسه مدخلناش عصر الرقمنة»

ذكر وائل حسن، مدير تسويق دار الكتب، أن آليات التسويق المتبعة فى تسويق إصدار دار الكتب والوثائق تتمثل فى الاعتماد على ٣ منافذ بيع تابعة للدار، المنفذ الرئيسى بمبنى دار الكتب والوثائق فى الكورنيش، ومنفذ فى مكتبة سيدة مبروك بميدان لبنان، ومنفذ مبنى دار الكتب فى باب الخلق، بالإضافة إلى معارض الكتب الداخلية والخارجية.

وأضاف أن اعتمادنا على السوشيال ميديا يتلخص فى الاجتهادات الشخصية لنا؛ حيث كل شخص تابع للإدارة يقوم بتحميل أغلفة الإصدارات الجديدة على صفحته الشخصية بموقع «فيس بوك»، وعلى جروب تطبيق «الواتس آب».

وبسؤاله حول هل هناك تعاون بين إدارة التسويق بدار الكتب وإدارة قياس الجمهور، قال مدير إدارة التسويق بدار الكتب، إنه لا توجد وحدة خاصة بقياس اتجاهات جمهور دار الكتب للاعتماد عليها، كما لا توجد استبيانات لقياس اتجاهات جمهور دار الكتب حتى الآن.

ع الرف

يبدو أن عام 2024 عام رقمى ومعرفى بامتياز فى خطط إصدارات دور النشر المصرية تأثرًا بالإيقاع السريع للتكنولوجيا ولهاث الأجيال الجديدة وراء تتبع كل ما هو جديد فيه؛ فمن تكنولوجيا الاتصال فى إدارة المواقع الإلكترونية إلى علماء مصر فى القرن العشرين مرورًا إلى علم اللغة الحاسوبى والترجمة الآلية.

1 تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتوظيفها فى إدارة المواقع الصحفية

صدر فى مستهل شهر يناير الجارى كتاب «تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتوظيفها فى إدارة المواقع الإلكترونية الصحفية» للدكتورة أميرة البسيونى؛ المتخصصة فى مجال الإعلام الرقمى.

ويلقى الكتاب الضوء على تكنولوجيا الاتصال الحديثة والدور الكبير الذى توظفه فى إدارة المواقع الإلكترونية الصحفية، إذ إنها تظهر مدى توظيف أدوات تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى إدارة كل من إدارة التحرير الصحفى الإلكترونى، وإدارة التصميم والإخراج الإلكترونى، وإدارة النشر الصحفى الإلكترونى، وإدارة الموارد البشرية بالمواقع الإلكترونية الصحفية، وكذلك إدارة الموارد المالية، وكذلك تسليط الضوء على ماهية تكنولوجيا الاتصال الحديثة المستخدمة فى الصحافة بشكل عام، وبالمواقع الإلكترونية الصحفية بشكل خاص.

2 مقدمة فى علم اللغة الحاسوبى والترجمة الآلية

من علماء مصر نلقى نظرة على أحد إصدارات المركز القومى للترجمة فى يناير من هذا العام؛ وهى ترجمة عربية لكتاب بعنوان «مقدمة فى علم اللغة الحاسوبى والترجمة الآلية» من تأليف نخبة من الكتاب، وبرئاسة تحرير المؤلف «جانغ جنغ»، ومن ترجمة هشام موسى المالكى.

ويقدم الكتاب عرضًا بانوراميًا لمحاور علم اللغة الحاسوبى والترجمة الآلية كأحد التطبيقات المتقدمة لهذا العلم متعدد التخصصات، وهو يسعى إلى تاسيس مفهومى للمحاور العلمية فى التخصصات المتداخلة مع علم اللغة الحاسوبى وأساسيات العمل فيها مع التطرق إلى نظريات الترجمة الآلية ومستقبلها وأحدث توجهاتها الحالية، كما يقدم شرحًا تفصيليًا لإحدى المنصات الضخمة المساعدة للترجمة.

3 علماء مصر فى القرن العشرين

من تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وتوظيفها فى المواقع الإلكترونية الصحية يذهب بنا الدكتور حامد عبدالرحيم أحمد عيد، الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة ومقرر لجنة الثقافة العلمية والتفكير الابتكارى بالمجلس الأعلى للثقافة إلى كتابه الجديد؛ والذى سيصدر خلال أيام تحت عنوان «علماء مصر فى القرن العشرين». وعن الكتاب يقول مقرر لجنة الثقافة العلمية لـ«الدستور»، إن الكتاب يجيب عن تساؤل هو لماذا نجح علماء القرن العشرين مثل على باشا إبراهيم ومصطفى مشرفة؛ ضمن ٣٤ شخصية خلال تجاربهم العلمية، بينما تراجعت النجاحات العلمية فى عصرنا الآن؟.

مشروع وحيد حامد

الشهيد هشام بركات

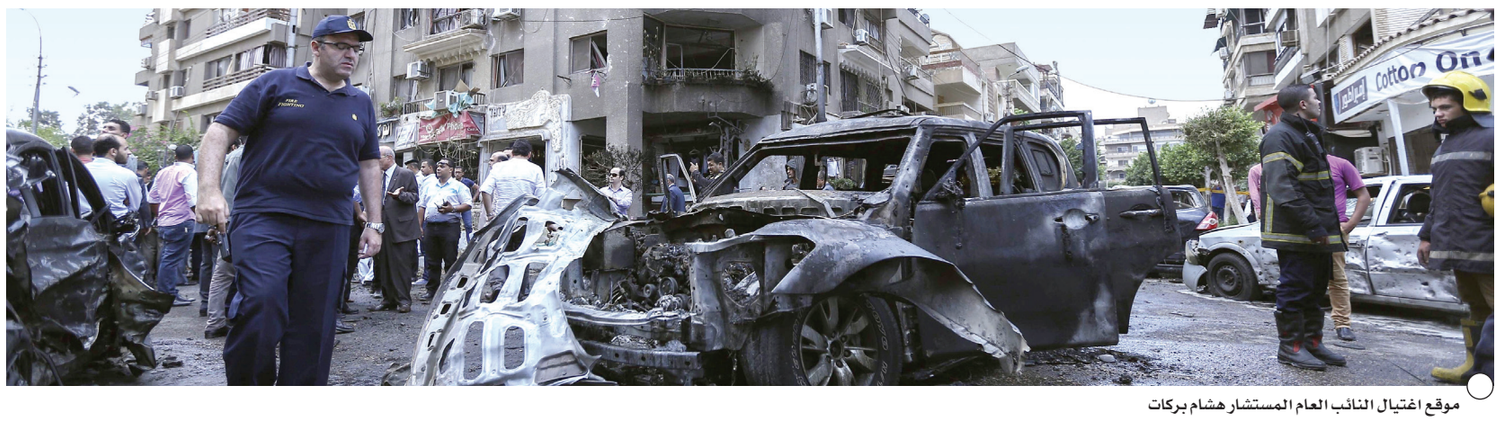
موقع اغتيال النائب العام المستشار هشام بركات

لأول مرة.. نص حلقتين من مسلسل «الجماعة 3»

الحلقة الأولى

تبدأ الحلقة الأولى من «الجماعة ٣» بمشهد تفجير موكب النائب العام هشام بركات قبل الفجر، سيارة «إسبرانزا» تظهر فى شارع عمار بن ياسر فى مصر الجديدة، يخرج منها شاب، ينضم إلى اثنين فى سيارة أخرى، نشاهد الحراسة الخاصة بالمستشار أسفل بيته، فى مكتبه بالشقة ابنته مروة تضع أوراق المستشار فى حقيبته، يقول لها إن ذلك بمثابة تدريب لها، نعرف أن الرجل لم يتسحر بالأمس، ومع ذلك سيصوم، فعلها من قبل، تودعه ابنته، ينزل المستشار، تستقبله الحراسة، سيتحرك الموكب، شاب يقوم بالمراقبة يرسل رنة متعارفًا عليها، ينفجر الموكب، شاب آخر يقوم بالتصوير، هلع ومصابون وضحايا فى المكان.

فى مديرية أمن القاهرة، مدير الأمن مع أربعة ضباط كبار، يتلقى المدير عبر التليفون خبر مقتل النائب العام، يبدو مذهولًا، يسأله لواء معه عما حدث، فيقول:

مصيبة.. مصيبة كبيرة.. النائب العام اتقتل.. عارفين يعنى إيه النائب العام اتقتل..؟

ننتقل إلى شقة فى مصر الجديدة، حجرة نوم رشا، تستيقظ على تليفون الموبايل، يشير الرقم إلى اسم رئيسها أدهم، يبلغها بخبر مقتل النائب العام، يطلب منها أن «تشوف شغلها»، رشا صحفية أقل من ثلاثين سنة.

فى هول الشقة، رشا تبلغ والدها بخبر اغتيال النائب العام، فتسقط جريدة كانت فى يد الأب، تتركه وتنزل.

رشا فى موقع الحادث، كوردون من الأمن المركزى، ضابط يرفض أن يسمح لها بالمرور، تسأل أحد المتجمعين، ينفى أنه كان فى المكان وقت الحادث، وليس من سكان المنطقة، ولكنه يقوم بالفرجة.

فى مكان آخر حول موقع الحادث، عامل نظافة يروى أنه سمع الانفجار، وطار فى الهواء، ورجل آخر يقول لرشا إنه رأى شابًا يقوم بتصوير الحادثة، فتطلب منه أن يقول هذا الكلام للضباط، ليحصل على مكافأة.

من زاوية ثالثة، امرأة تقول لرشا إنها شاهدت شابًا مثل التلاميذ رايح جاى فى الشارع، قبل وقوع الحادث.

فى قسم الحوادث فى جريدة الأهرام، حيث تعمل رشا، أدهم حسونة، رئيس القسم، مجتمعًا مع محرريه، يقول لهم إن خبرته تقول إن الإخوان هم من ارتكبوا الحادث، يتحدث الصحفيون عن جريمة قتل الخازندار قديمًا، ومقتل ثلاثة مستشارين فى سيناء، ينفى أدهم أن يكون مرتكب الحادث من تجار السلاح أو المخدرات مثلًا، لأن هؤلاء لا يستطيعون تفجير سيارة بمثل هذه الدقة فى التوقيت، تدخل رشا، تحكى عن معلوماتها عن شخص صوّر الجريمة، تتحدث عن صور التقطتها بالموبايل، يطلب منها أدهم كتابة موضوعها، ثم يقول:

عاوزكم تعرفوا إن الإخوان المسلمين لسه موجودين.. وحسب اعتقادى ما نقصوش فرد واحد.. إوعوا تكونوا فاكرين إنهم سابولكم البلد وطفشوا على تركيا وقطر والسودان.. اللى يصدق يبقى أكيد عبيط.. اللى سابوا البلد دول شطار الإخوان اللى مكنش فى إمكانهم يخبوا نفسهم علشان كده هربوا وكشفوا عن كنيتهم الحقيقية بعد ما هربوا.. لكن الدور والباقى على اللى عايشين جوانا.. الجرنال اللى إحنا شغالين فيه.. جواه لغاية دلوقت إخوان.. هوه وكل الجرايد. الإعلام كله لسه موجودين فيه.. كل الوزارات والمصالح الحكومية.. الأزهر.. الأوقاف.. إحنا لو دورنا كويس هنلاقى ورا كل حجر إخوانى مستخبى.. يالّا.. كل واحد يخلص الشغل المطلوب منه..

الحوادث بالأهرام يطلب حصرًا لكل حوادث الإرهاب فى العاصمة وفى سيناء، ويتابع موضوع رشا جبريل، وما زال يؤكد فى انفعال بسبب هول الحادث أن الإخوان وراء الجريمة:

أدهم ردًا عن سؤال حول وجود تنظيم

تنظيم إيه بس؟ التنظيمات وبكل مسمياتها جماعة الإخوان كانت الأم اللى بترعاها.. وكلهم كانوا إنتاج بيض الحية اللى اسمها جماعة الإخوان.. كل ما هنالك أن الحية لونت البيض بتاعها زى ما بلون بيض شم النسيم.. لكن لحظة البيض ما بيفقس كل التعابين السامة لسه عايشة وسطينا.

نعود إلى الإدارة الفنية بوزارة الداخلية التى تنجح فى اكتشاف شخص يقوم بالتصوير فى الشارع لحظة ارتكاب الجريمة، يتم تكبير اللقطة لوجه الشاب، ثم طبعها.

فى قطار الصعيد الدرجة الثالثة الشاب الذى تم تكبير صورته، وقام بتصوير الحادث، نائم على حقيبة قماش مثل حقائب تلاميذ المدارس، يتداول الصعايدة حوله خوفًا من أن تفوته محطته، لأنه نائم من ساعة ركوبه القطار، يوقظون الشاب يسألونه عن محطته فيقول إنها كوم إمبو، يطلبون منه النوم مرة أخرى.

قسم الحوادث، يعود ثلاثة من المحررين ومعهم شغل عن الحادث، أدهم يطمئن رشا بأن شغلها سينشر فى الصفحة الأولى، وعليه اسمها ويكلف بالاتصال بخبير استراتيجى، رغم عدم اقتناعه بأهمية ذلك.

رشا تتصل بخبير وتسأله عن الحادث، الخبير فى قسم الخضار فى سوبر ماركت، لواء يرد على التليفون، أثناء سؤاله عن أسعار الكوسة والطماطم، وبعد أن يستنكر أن يتصلوا به من الأهرام وليس من التليفزيون، يقول لرشا:

شوفى حضرتك.. أنا لما كنت فى الخدمة.. وأنت عارفة أنا منصبى كان حساس قد إيه..؟ واضح إن كان فيه قصور شديد فى عملية تأمين خط سير المرحوم سيادة النائب العام.. خط السير لازم يكون متغير على الدوام.. وعملية زى دى لازم يكون حصل لها إعداد وتخطيط جيد من قبل الإرهابيين.

ننتقل من جديد إلى الإدارة الفنية فى وزارة الداخلية، صورة ثابتة أخرى للشاب الثانى الذى قام بعملية التفجير، وهو يتلقى تليفون زميله، يطبعون الصورة.

عودة لقسم الحوادث، أدهم حسونة يرفض رأى الخبير الاستراتيجى، ويصفه بأنه كلام فارغ، ويطلب رأى خبير آخر يقول كلامًا مفيدًا، رشا ترد على تليفون من أمها، تتحدث رشا عن الشغل، والأم تحدثها عن زيارة وإفطار من أخواتها وأزواجهن على الإفطار ومفاجأة تجهزها هويدا شقيقة رشا، تدرك رشا الحكاية، وترفض أن تكون مثل بضاعة يتفرج عليها عريس أحضرته لها شقيقتها هويدا.

قرية كفر السواقى، الشاب الثانى الذى كشفت عنه الكاميرات يدخل إلى الجامع، يقول ردًا على تساؤل أحدهم إنه كان فى مصلحة فى القاهرة، ولذلك لم يصل الفجر والظهر معهم، ثم ينضم إليهم ببساطة فى صلاة العصر.

النادى، حيث حمدى جبريل والد رشا، يمارس المشى مع صديقه طاهر الأشرف، طاهر يقول إن الإخوان فى الخارج عاملين فرح، يتذكر حمدى بدوره محاولات تجنيدهما وهما طلبة، ومعاملة الإخوان السيئة لهما، يقول حمدى:

منه لله إخوان جوه وإخوان بره.. البلد كان ممكن حالها منهم يكون غير كده خالص.. زى ما يكونوا ربطوها بسلسلة ومنعوها من الحركة..

ينضم الاثنان فى المشهد التالى إلى بقية الشلة، فجأة يقفز الحديث عن الإخوان من جديد، عايدة صديقة الشلة تتهم الإخوان مرة أخرى بقتل النائب العام، الحادث مؤثر، ويفرض نفسه على الكل.

مديرية الأمن، مدير الأمن يتحدث إلى ثلاثة ضباط كبار فى ملابس مدنية، يقول إن الشبان الثلاثة الذين ارتكبوا الجريمة غير مسجلين وليس لديهم نشاط سابق، ثم يقول فى حزم فى نهاية الحلقة الأولى:

طبعًا أنتم عارفين ومتأكدين من خطورة الوضع اللى كل الأجهزة الأمنية عايشة فيه.. بما فى ذلك القيادة السياسية وسيادة الوزير.. وكل الناس.. العيال دى.. العيال دى.. لازم يتجابوا فى أسرع وقت.. وإلا الناس هيضحكوا علينا..؟ وبينى وبينكم إذا ما قدرناش نجيبهم يبقى نقعد فى بيوتنا لابسين بيجامات أو جلاليب..

مشاهد من الجزءين الأول والثانى لمسلسل «الجماعة»

الحلقة الثانية

تبدأ الحلقة الثانية بمشهد افتتاحى فى كافيتريا الأهرام «المطعم»، أدهم ومحررو قسم الحوادث ينتظرون الإفطار خارج البيت بسبب ظروف العمل، نعرف من حوار أدهم معهم أن الشباب والشابات لم يتزوجوا بعد، وأن أدهم الوحيد المتزوج منهم، فى حواره مع رشا، نعرف أنها تعد لرسالة عن التيارات الدينية بين عامى ١٩٢٣ و١٩٥٢، وأنها ترفض الزواج قبل أن تحقق ذاتها، رغم أنها لو أرادت الزواج وهى فى سن السابعة عشرة لفعلت، تدخل الكافيتريا صحفية اسمها سمية هانم، تستجوب الجارسون حول الطعام، بينما القرآن مستمر، تسأل عن نوع الفراخ وعن اللحمة وعن الخضار بالتفصيل، يتواصل كلام قسم، الحوادث على مائدتهم، تتدخل سمية هانم، وتعترض لأنهم يتحدثون بينما القرآن مستمر تثور رشا عليها، وتذكر سمية بأنها تحدثت مع الجارسون منذ قليل عن أصناف الطعام، وأنها مثل السلفيين الذين تنتمى إليهم، يديرون القرآن طوال الوقت، بينما ينشغلون بأمور أخرى، لا يقطع المناظرة بين رشا وسمية هانم إلا صوت مدفع الإفطار.

أمام جريدة الأهرام، أدهم مع رشا، تقترح أن تقوم بتوصيله، فى الطريق يعرف أدهم أن رشا هى ابنة الدكتور حمدى جبريل، وأنها متمردة، وأن اثنين من إخوتها يحملان لقب الدكتوراه، تحدثه عن موضوعها عن التيارات الثقافية والفكرية فى مصر من ٢٣ إلى ٥٢، يقول لها إنه موضوع ضخم، والأفضل أن تختار موضوعًا عن سبب ما حدث فى حياتنا من تغيير:

أدهم: المجتمع المصرى اتغير خالص.. وأديكى شفتى اللى حصل على الفطار.. الناس اتغيرت، فيه قوة جهنمية اشتغلت كويس قوى على تغيير هوية الشعب المصرى كله.. وللأسف الشديد نجحت وبتفوق كمان.. إحنا ما كناش كدة أبدًا..

رشا أمال إحنا كنا إيه؟

أدهم، كنا مصر الحلوة.. مصر الظريفة اللطيفة البشوشة.. كنت أتمنى موضوع الرسالة بتاعتك يكون إحنا ليه اتغيرنا؟ وإزاى اتغيرنا؟ وحصل إيه لما اتغيرنا؟ وإمتى اتغيرنا؟

فى شارع فيصل حيث يسكن أدهم، يبدى استغرابه بأن الناس ولا على بالها رغم اغتيال النائب العام، ويعتبر ذلك من دلالات وجود تغيير ويتحدث عن تشابه مقتل الخازندار على يد الإخوان، مع حادث مقتل النائب العام هشام بركات بعد خروجه من بيته.

فى طريق العودة بالسيارة، يبدو أن كلام أدهم قد أثر على رشا.

فى شقة رشا، سوسن والدتها وحمدى والدها يتفرجان على برنامج مقالب رامز جلال يستنكران هذه النوعية من البرامج، ويدور بينهما حوار:

سوسن : فلوس إيه بس؟ همة مش عارفين إنهم بيرخصوا نفسهم وبيرخصوا بلدهم فى نفس الوقت..

حمدى: أديكى قلتيها بنفسك.. بيرخصوا بلدهم فى نفس الوقت.. لولا الملامة لقلت إن فيه ناس بتدفع ملايين الملايين عشان تشوفنا تافهين وصغيرين أرخص من الرخص اللى إحنا فيه..

نعرف من كلام سوسن التى تستنكر مشاهدتهما برنامج رامز أنها وكيلة وزارة، بينما يستنكر حمدى معاملة سوسن لابنتها رشا على أنها طالبة ثانوي.

فى مكتبها بالبيت تتأمل رشا كتب الماجستير، ونسخة جريدة الأهرام للغد، تتصل بأدهم وتشكره.

فى منزل أدهم، نراه مع زوجته الجميلة وطفليه، يخبر أدهم زوجته عن رشا التى تحدثه تليفونيًا، يذكر أنها أوصلته رغم أنها تقيم فى مصر الجديدة، الزوجة تلمح إلى ضرورة أن يكون عند أدهم سيارة حتى لا توصله إحداهن، يفهم أدهم تريقتها، ويتهمها بسوء الظن.

تدخل رشا إلى أبويها فى الهول حاملة نسخة الأهرام، تغلق التليفزيون لكى يروا تغطيتها المنشورة للحادث، تخبر والدها بقرار تغيير موضوع رسالتها، يندهش لأنها بذلت مجهودًا كبيرًا سابقًا فى موضوع آخر، يحدثها عن التغيير الذى جرى، والذى ستركز عليه فى رسالتها:

حمدى: على كل حال التغيرات اللى حصلت فى المجتمع المصرى والدولة المصرية كلها سببها إن فيه تيار كان عاوز دولة دينية، وتيار كان عاوزها دولة مدنية، وللأسف إن كفة الدولة الدينية هيه الكفة الأرجح، وأصحابها همه اللى بيحاربونا دلوقتى، وإن شاء الله لما

يظهر قتلة النائب العام حتكون المسألة مكتملة الوضوح.

سيناء أول النهار، نقطة شرطة الشيخ زويد، سيارات دفع رباعى تهاجم النقطة، بينما صوت قرآن الشيخ عبدالباسط يسود المكان، مقاومة باسلة، ومقتل بعض الإرهابيين، ولكن ضحايا يسقطون من الشرطة، تقوم طائرات الأباتشى بمطاردة الإرهابيين، وتدمير عرباتهم، إنها العملية الإرهابية التى وقعت فى أول يونيو ٢٠١٥، أى بعد ٤٨ ساعة فقط من جريمة اغتيال النائب العام هشام بركات.

على كوبرى أكتوبر، تستمع رشا فى سيارتها إلى بيان المتحدث العسكرى العميد محمد سمير عن الحادث الإرهابى:

اعتبارًا من الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة من صباح اليوم قامت مجموعة إرهابية بالهجوم على عدد من الكمائن للقوات المسلحة وقسم الشيخ زويد على النحو التالى.. كمين أبو رفاعى، تمكن أبطال الكمين البواسل بقوة ١٧ فردًا من التعامل الفورى مع عربة يشتبه فى حملها مواد متفجرة أثناء اقترابها من الكمين، مما أدى إلى انفجارها محدثة موجة انفجارية هائلة.

فى قسم الحوادث، تتحدث رشا مع أدهم، تتساءل عما يريده هؤلاء الإرهابيون، فيقول أدهم:

عاوزين دولة يا رشا عايزين يحكموا الدولة، أهبل وعبيط اللى يقول إنهم عايزين ياخدوا سيناء ويعملوا ولاية، دول عاوزين البلد كلها، حلم الخلافة القديم اللى كان فى دماغ حسن البنا عايزين يحققوه دلوقت».

يضيف أدهم متحدثًا عن دور الجيش:

مهمة الجيش هيه حماية الوطن من كل عدوان، وأضيف من عندى وإقامة العدل إذا لزم الأمر، عشان كده قلت الانتقام لكل شهيد مات بالغدر والقسوة مسألة حتمية..

فوتومونتاج لشوارع قرية مصرية، ولنسوة يقمن بالعديد على الشهداء فى داخل أحد المنازل، ثم نرى مقهى ورجلًا يرمى الجريدة ويعلق على الحادث بغضب:

«بقينا ملطشة شوية إرهابيين مش قادرين عليهم!».

فى شقة رشا، تقوم رشا بإخبار والدها أنها قررت نهائيًا تغيير موضوع رسالتها، يوافق حمدى، وسط احتجاج سوسن والدة رشا.

فى حجرة رشا، يدخل والدها عليها، يعرف أن موضوعها الجديد عن الإخوان، وتحديدًا لماذا استمرت الجماعة رغم محاولات القضاء عليها فى عهد عبدالناصر؟

الأب يصف الجماعة بأنها مثل الخلايا السرطانية «فى الطب عندنا»، لا بد من استئصالها من جذورها، ويشفق على ابنته من الموضوع الصعب، لأنها ستمشى بذلك على الأشواك، ويقول إن عليها أن تحصل على موافقة المشرف على الرسالة.

فى مكتبة كلية الآداب تقابل رشا المشرف على رسالتها الدكتور شريف عبدالله تخبره بموضوعها الجديد الذى استقرت عليه: الإحياء الثانى لجماعة الإخوان منذ ١٩٧١ إلى ١٩٨١، يرفض فورًا لأنها بذلت مجهودًا كبيرًا فى موضوع سابق، كما أن الموضوع الجديد شهوده أحياء، ويحتاج قراءة آلاف الصفحات، يحدثها عن دور الرئيس السادات فى إنشاء التيار الدينى داخل الجامعة، تطارده رشا خارج المكتبة، يتحدث الدكتور شريف عن مراجع كثيرة، ومقابلات لمسئولين سياسيين وأمنيين، تعلن رشا حماسها واستعدادها لكل ذلك.

تنتهى الحلقة بموافقة الدكتور شريف على الموضوع الجديد على أن تتم إجراءات تسجيل جديدة، ثم فرحة رشا بهذه الموافقة.

محمود عبدالشكور

> الجماعة مثل الخلايا السرطانية «فى الطب عندنا» لا بد من استئصالها من جذورها

يثرى الكاتب الصحفى والناقد محمود عبدالشكور المكتبة المصرية والعربية بإصدار جديد، فى الدورة المقبلة، من معرض القاهرة الدولى للكتاب، تحت عنوان «كشكول السينما»، وهو العمل الذى يصدر عن دار إبيبدى للنشر والتوزيع.

فى كتابه يقدم «عبدالشكور» وجبة من الأسرار والحكايات الجديدة عن نجوم الفن المصرى وصناعه وعمالقته.. ومن بين أهم فصول الكتاب الجانب الخاص بالسيناريست الراحل الأستاذ وحيد حامد.

ينفرد المؤلف بأسرار جديدة على لسان «وحيد»، بجانب نص حلقتين من السيناريو الذى كان يعده كاتبنا الكبير للجزء الثالث من مسلسل الجماعة، الذى لم ير النور حتى وفاته.

«حرف» تنشر تلخيصًا كتبه وحيد حامد للحلقتين وأرسله إى «عبدالشكور» لإبداء الرأى فيهما.

حامد

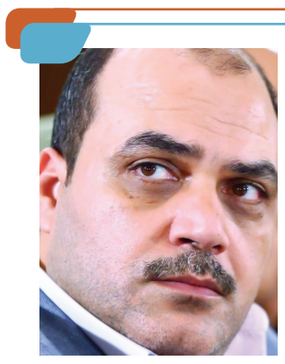

محمد الباز

تحقيق فى تزوير الأخوين مصطفى وعلى أمين كتاب سلامة موسى

قبل وفاته فى ٤ أغسطس ١٩٥٨ بما يقرب من شهر، كان الكاتب الكبير سلامة موسى قد انتهى من تجميع فصول كتابه «الصحافة حرفة ورسالة»، ولأن الناقد الكبير غالى شكرى كان قريبًا منه فقد أطلعه على مخطوط الكتاب، وأخبره بأنه سيقدمه لمؤسسة أخبار اليوم لنشره فى سلسلتها الشهرية «كتاب اليوم».

يقول غالى شكرى فى كتابه «من الأرشيف السرى للثقافة المصرية» فى مقال عنوانه «دار صحفية أم سفارة أمريكية»: لم يكد يمضى أسبوع حتى ظهرت إعلانات مكثفة عن الكتاب- الكتاب صدر فى نوفمبر ١٩٥٨- وقد بيعت منه عشرات الألوف من النسخ فى أسبوعين فقط، فقد كان السعر رخيصًا، والمؤلف نجم لامع مات حديثًا.

تصفح غالى شكرى الكتاب الصادر عن أخبار اليوم وكاد يغمى عليه، فلم يكن الكتاب- كما يقول- عن الصحافة لا حرفة ولا رسالة، وإنما كتاب عن مصطفى وعلى أمين وأخبار اليوم. اتصل غالى شكرى بالدكتور رءوف، الابن الأكبر لسلامة موسى، وكان يعمل حينذاك باحثًا بالمركز القومى للبحوث قبل تعيينه أستاذًا بجامعة الإسكندرية، ليخبره بما جرى، وكتب مقالًا نشرته جريدة «المساء»، كشف فيه ما اعتبره جريمة تزوير متكاملة لكتاب سلامة موسى الأخير.

لم يكن لدى أسرة سلامة موسى نسخة من مخطوط الكتاب الأصلى، كما لم يحتفظ غالى شكرى بنسخة منه، لكنه عرف بتزوير الكتاب مما قرأه قبل طباعته ومقارنته بما نشر، ولم يكن فيه ذكر لا لمصطفى وعلى أمين ولا لمؤسسة أخبار اليوم.

تقدمت أسرة سلامة موسى بدعوى أمام القضاء طالبت خلالها ناشر الكتاب بتقديم المستندات التى تقول إن الكتاب المنشور هو نفسه الذى تقدم به سلامة موسى، لكن على أمين الذى تولى الموضوع وبدلًا من أن يقدم المستندات، حاول أن يفاوض أسرة موسى، مبديًا استعداده لأن يدفع لهاكل ما تطلبه من مال مقابل التنازل عن القضية.

لم ترضخ أسرة سلامة موسى لا للإغراء ولا للتهديد، فقد كان الكتاب المزور عدوانًا على تاريخ والدهم بأكمله، وقد حاول مصطفى وعلى أمين احتواء الفضيحة من خلال تشويه رءوف سلامة موسى وغالى شكرى الذى كان يقف فى صف أستاذه وصديقه وأسرته، فأشاعا أنهما يفعلان ذلك لتشويه «أخبار اليوم» باعتبارهما شيوعيين، وطبيعى أن يشوها صورة المؤسسة التى تناصب الشيوعيين العداء.

حكمت المحكمة لصالح أسرة سلامة موسى، وأمرت بمصادرة النسخ المطبوعة وتسليم المخطوط الأصلى، وهنا تكشفت الجريمة كاملة، فقد أضافت أخبار اليوم فقرات وفصولًا إلى كتاب الكاتب الذى كان يعمل فى «أخبار اليوم» لكنه لم يكن ليخصص كل هذه المساحة فى كتابه، وما كان ليثنى كل هذا الثناء على صاحبى أخبار اليوم، لأن ما جاء فى الكتاب كان مدحًا يصل إلى درجة النفاق، وسلامة موسى لم يكن منافقًا.

هذه ملامح الحكاية، كما رواها غالى شكرى، لكن رءوف سلامة موسى أضاف إليها ملامح أخرى فى كتابه «سلامة موسى... أبى».

فبعد صدور الكتاب بصورته المشوهة، وكما يقول رءوف طلب هو وزوج أخته أمين عازر مقابلة مصطفى وعلى أمين، وتمت المقابلة بالفعل مع على، وعندما عرف أنهم يتهمون الدار بتزوير الكتاب ويريدون الاطلاع على مسودته، صرخ فيهم: لن أطلعكم على شىء، أتظنون أننا دكان فى حارة، افعلوا ما بدا لكم.

وبالفعل قام رءوف سلامة موسى بما بدا له، ذهب إلى المحكمة وحصل على الحكم بإعدام نسخ الكتاب والحصول على مسودته، ولم تفعل أخبار اليوم أكثر من الرضوخ للحكم.

بعد خمس سنوات أصدر رءوف سلامة موسى الكتاب مرة أخرى، وناشد القراء فى تقديمه له أن يعتبروا أن هذه الطبعة هى الطبعة الأولى للكتاب، وألمح إلى أن الكتاب كان قد نشر نشرًا مشوهًا قبل ذلك وأصبح الكتاب الذى وصل إلينا وكنا نهتم به نحن طلاب ودارسى الإعلام عبر طبعات مختلفة هو النسخة الرسمية التى صدرت فى العام ١٩٦٣.

كنت قد عرفت بالنسخة المشوهة من الكتاب لأول مرة عندما قرأت ما كتبه غالى شكرى، فظللت أبحث عن النسخة الأولى التى صدرت عن كتاب اليوم فوجدتها، والغريب أننى وجدت طبعة ثانية من الكتاب يعود تاريخها إلى العام ١٩٥٨ ولكنها ليست صادرة عن أخبار اليوم، بل طبعت فى مطبعة مصر التى وصفت نفسها بأنها شركة مساهمة مصرية وعنوانها «شارع نوبار باشا» شارع الدواوين سابقًا.

بدأت فى المقارنة بين الكتاب فى طبعتيه الأولى فى ١٩٥٨ والثانية فى ١٩٦٣، وكان مدخلى من قائمة المحتويات.

فى طبعة ١٩٦٣ التى يعتبرها رءوف سلامة موسى الطبعة الرسمية كانت محتويات الكتاب عبارة عن ١٧ فصلًا كالتالى: «يوم أن ماتت صحافة مصر، لما كانت الصحافة محتقرة، الصحافة تلقى عنتًا وعسفًا، كيف أفسدت الحكومة الصحافة المصرية؟، الإعلانات فى الصحف، الأسلوب فى الصحافة، رذيلة صحفية: تملق الجماهير، الصحافة المصرية فى نصف قرن، الكفاح فى صحيفة اللواء، كفاحى فى الصحافة، صحافة المقالة وصحافة الخبر، المرأة فى الصحافة، الفن الكاريكاتورى، الصحافة والرأى العام، كيف نرفع الصحافة إلى مقام الأدب، الصحفى كما يجب أن يكون».

فى طبعة ١٩٥٨ التى جرى تزويرها- طبقًا لما أقره غالى شكرى وصدقت عليه المحكمة- وعندما نقرأ قائمة المحتويات، سنجد حذفًا وإضافة واضحين.

فقد أضيفت فصول عناوينها كالتالى: مصطفى أمين شخصية صحفية، الأمراء يستعلون على الشعب، على أمين شخصية صحفية، نشأة أخبار اليوم، ميزات أخبار اليوم، الحملات الصحفية بالمستندات، حملات ضد طغيان رأس المال، كيف تكتب الحملة الصحفية؟، أخبار العالم فى الصحافة.

وعندما نقرأ هذه الفصول سنجد أنها أقرب إلى المذكرات الصحفية لصاحبى أخبار اليوم، فيها ثناء كبير على ما فعلاه، وصعودا بتجربتهما إلى السماء، وبنظرة عابرة لا تحتاج إلى أى عمق سنكتشف أنها مكتوبة- على الأرجح- بقلم على أمين، فالأسلوب يشبه أسلوبه ولا يقترب من أسلوب سلامة موسى إلا قليلًا.

وكما تمت الإضافة تم الحذف أيضًا، فقد رُفعت من النسخة الأصلية للكتاب فصول» الصحافة المصرية فى نصف قرن، الصحافة والرأى العام، كيف نرفع الصحافة إلى مقام الأدب».

وبينما يدمج سلامة موسى فى كتابه الأصلى فصلى «صحافة المقالة وصحافة الخبر»، يفرد الكتاب المزور لكل منهما فصلًا مستقلًا، فنجد فيه فصلى «صحافة المقالة، صحافة الخبر».

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أضاف المزورون فى أخبار اليوم فقرات كاملة فى بعض الفصول فيها إشادات كاملة بصاحبى الدار مصطفى وعلى أمين، وقد جاءت على النحو التالى:

أولًا: فى الفصل الثانى «لما كانت الصحافة محتقرة» أضيفت فقرة: هنا يجب أن أشيد بفضل جرائد ومجلات «أخبار اليوم» فإنها هى التى شرعت المرتبات الكبيرة للمحررين والمخبرين، فإن مرتب مائة جنيه فى الشهر شىء مألوف يحصل عليه كثيرون فيها، وهناك عدد غير صغير من المحررين والكتاب يحصلون على مائتى جنيه فى الشهر، بل إن هذه الدار الصحفية هى الأولى فى مصر من حيث رفع شأن المرأة فى الصحافة، فإن كثيرين لا يعرفون أن بها الآن نحو ثلاثين سيدة وآنسة يعملن فى جميع فروع الدار وتبلغ مرتباتهن الشهرية نحو خمسمائة جنيه فى الشهر، ومن المحررات والمترجمات من يبلغ مرتب إحداهن أربعين أو ثلاثين جنيهًا، ولم تنفع أخبار اليوم محرريها ومخبريها فقط بهذه المرتبات العالية، بل هى نفعت أيضًا بحكم المباراة جميع المحررين والمخبرين فى الدور الصحفية الأخرى التى اضطرت إلى مجاراتها فى رفع مرتبات موظفيها.

كان سلامة موسى فى كتابه الأصلى يتحدث عن الحالة الاقتصادية المتردية للصحفيين، ومن بين ما قاله إن مهنة الصحافة كانت محتقرة، كما كانت أيضًا خطرة وفقيرة أيضًا، ويضيف: كان مرجع فقرها إلى أنها كانت مهددة بالإفلاس فى كل وقت، فلم تكن تؤدى الأجور والمرتبات للذين يعملون فيها إلا أخس المبالغ، ثم كان موقف العداء الدائم الذى كانت تقفه منها الحكومات الاستبدادية يحرم المشتغلين فيها من أى ضمان من الإقالة أو حرمان المكافأة، وكان هناك من أصحاب الصحف استغلاليون دخلوا فى هذه الحرفة بنفس الروح التى يقدم بها التاجر على تجارة ما، لا يبغى سوى الربح، ولذلك كانوا يرهقون عمالهم من المحررين إلى الطباعين بالعمل الشاق الذى كثيرًا ما أودى بصحتهم، وجميع الصحفيين يعرفون كيف أن إحدى الدور الصحفية القديمة فى القاهرة كانت ترهق محرريها بالعمل حتى كانوا يخرجون منها وهم فى انهيار نفسى، لو طالت مدته لكان قد حملهم على الانتحار أو قضى عليهم بالجنون، وكيف أن كثيرًا من عمال الجمع والطبع أصيبوا بالسل لمشقة العمل، زد على هذا أنه لم تكن هناك مكافآت للصحفى عن سنين عمله إذا استقال، وقد عملت أنا سبع سنوات فى دار صحفية مشهورة، وخرجت منها دون أن أحصل على مليم واحد مكافأة.

وحتى يؤكد سلامة موسى ما يقوله دلل بموقف حدث معه شخصيًا، يقول: أذكر أننى فى ١٩٢٣ احتجت إلى أن أستأجر مسكنًا بالقاهرة، وقصدت إليه وعاينته وارتضيته بأجرة شهرية قدرها سبعة جنيهات، وشرعنا فى كتابة عقد الإيجار، وما إن فهمت مالكة المسكن أنى صحفى حتى انتفضت من مقعدها وهى تقول: جرنالجى؟ ويدفع منين سبعة جنيهات فى الشهر؟ ورفضت التوقيع على العقد، ولم تُجد معها المناقشة والشرح، وخرجت وأنا أتعثر فى ثوب الخيبة.

الإضافة الثانية كانت فى فصل «الأسلوب فى الصحافة»، وقد أضيف إليه: يجب علينا نحن الصحفيين أن نتحمل مسئولية تنوير الشعب، وأولى الوسائل لهذا التنوير أن نكتب بلغة يفهمها الشعب، لغة سهلة، نبلغ بها المعنى العميق دون أن نحتاج إلى الغريب من الكلمات التى تصد القارئ، ويجب أن أعترف هنا بأن كتابى «الأدب للشعب» كان من إيحاء مصطفى أمين.

فالدكتور طه حسين- كما حوت الإضافة- كان قد كتب مقالًا ينعى فيه على الأدباء نزوعهم إلى السهولة وكراهة الأدب الصعب، وجاءنى مصطفى أمين يحمل هذا المقال الذى لم أكن قد قرأته، وسألنى هل أوافق على ما يقوله وعلى أن السهولة فى الأسلوب تعد نقيصة؟ وقرأت المقال وكتبت فى الرد عليه مقالات صارت بعد ذلك كتابًا بعنوان «الأدب للشعب».

ورغم أن هذه الواقعة يمكن أن تكون حقيقية، فسلامة موسى كان يعمل بالفعل فى أخبار اليوم التى يرأس تحريرها مصطفى أمين، ومن الطبيعى أن يكلفه بالكتابة فى موضوعات يرى أنها مهمة، ولا يوحى إليه بها فقط، إلا أن نسخة العام ١٩٦٣ التى أشرف عليها رءوف سلامة موسى استبعدت الواقعة باعتبارها لم تحدث، فى إشارة واضحة إلى أن أسرة سلامة موسى أرادت حذف أى إشارة لأخبار اليوم وصاحبيها، رغم أنه كان من الطبيعى أن يأتى سلامة موسى على ذكريهما ولو بشكل عابر.

وفى فصل «المرأة فى الصحافة» أضيف إلى نسخة سلامة موسى الأصلية نصًا: وكانت دار أخبار اليوم فى مقدمة المرحبات بالمرأة فى جميع أعمالها فى التحرير والإدارة والتوزيع، بل إن الإشراف على نظافة الدار والرقابة على خدمة الفراشين قد وكل إلى أعضاء الجنس اللطيف، ولذلك ليس غريبًا أن نجد فى هذه الدار موزعًا على الجرائد والمجلات أكثر من ثلاثين آنسة وسيدة يبلغ مجموع مرتباتهن الشهرية أكثر من خمسمائة جنيه فى الشهر، والمرتبات تتأرجح ما بين ١٥ و٤٠ جنيهًا، وهؤلاء جميعهن يختلطن بأعضاء الجنس الخشن ويؤدين أعمالهن معهم، ولم يحدث قط أن شكت إحداهن بما يوهم بأن هذا الاختلاط قد عاد عليهن بحرج أخلاقى أو أذى اجتماعى.

لم يكتف المزورون بإضافة فقرات فقط، ولكنهم شوهوا فقرات فى كتاب سلامة موسى الذى كان يتحدث عن مشاركة المرأة فى الصحافة، فقال: وقد ضنت الحكومات على خريجات الجامعات بوظائفها إلا مع الشح، ولكن الأعمال الحرة رحبت بهن وكانت الصحف فى مقدمة المرحبات بهن، ووجدت الفتيات المتعلمات إغراءً كبيرًا فى الصحف، وخاصة عندما ظهرت المجلات المصورة التى عنيت بتصوير الأخبار والنابغات السينمائيات، بل حين أسرفت فى هذا التصوير حتى فتنت به عقول الشبان والفتيات معًا.

لم يأتِ سلامة موسى على أخبار اليوم من قريب أو بعيد فى هذا السياق، بل علق على ما ذكره بقوله: وأحب أن أشير هنا إلى أن اختلاط المرأة بالرجل كثيرًا ما يرفع من أخلاق الجنس الخشن من حيث الارتفاع بالحديث إلى الكلمات المهذبة.

لكن المزور بدأ هذه الفقرة بقوله: «بل أحب أن أشير هنا»... فى استدراك نفهم منه أنه يتحدث عن الاختلاط فى أخبار اليوم تحديدًا وليس الاختلاط بوجه عام.

لم يكتف المزور بهذا، بل أضاف من عنده على هذا الفصل ما يشبه التحقيق الصحفى، الذى بدأه بسؤال: كيف تهوى الفتاة الصحافة؟ ويجيب: لقد سألت هذا السؤال بعض المحررات والمخبرات فى دار أخبار اليوم فوجدت أن هناك عدة طرق تؤدى إلى روما.

ويختم المزور هذا الفصل من عنده فيقول: وهناك عبرة يجب ألا ننساها حين نذكر المرأة فى صحف أخبار اليوم، فإن هذه الدار لم تفتح لهن ميدانًا للعمل الحر فقط، بل هى أيضًا أتاحت الفرصة للمرأة المصرية لأن تنشر الخبر وتكتب المقال من موقفها أو وجهة نظرها، وموقفها طبعًا يختلف فى أحيان كثيرة عن موقف الرجل، فهى تكتب عن شئون الزواج والطلاق وعن أجور المرأة فى الأعمال الحرة، وعن حقوق التصويت والانتخاب وأمثال ذلك بروح تختلف عن الروح التى يكتب بها الصحفى من الرجال.

وفى فصل «الفن الكاريكاتورى» نجد فى نسخة العام ١٩٥٨ فقرات مضافة حذفت من نسخة العام ١٩٦٣ عن الكاريكاتير فى أخبار اليوم.

فيشير المزور إلى أن الصورة الكاريكاتورية وجدت اندفاعًا جديدًا بظهور أخبار اليوم وبظهور الجرائد والمجلات التى صدرت عن دارها، وقد اخترعت هذه الجرائد والمجلات شخصيات عامة كان لبعضها، ولا يزال، أكبر الوقع فى نفوس القراء، بل أكاد أقول إنها غيرت الذوق العام بين الجمهور.

ويقول: عمل فى أخبار اليوم من الرسامين عدد كبير لا يزالون بها أو تركوها إلى صفحات المجلات والجرائد الأخرى، ولكنهم وجدوا فى دار أخبار اليوم مدرستهم الأولى، منهم رخا وصاروخان وبيكار وفريدون وعفيفى ورشاد منسى وكمال الملاخ وغيرهم.

ويقول: والصورة الكاريكاتورية هى فى الأغلب نتيجة للمناقشة والتنقيح والتقليب بين اثنين، أحدهما على أمين أو مصطفى ثم الرسام، الأولان يضعان الفكرة والأخير ينفذها، أى يقوم الرسام بالفكرة.

السؤال الذى كان يلح علىّ طوال رحلة البحث فى هذه الفضيحة الصحفية هو: لماذا لجأ مصطفى وعلى أمين إلى تزوير الكتاب بهذه الصورة الفجة؟ لماذا تدخلا فيما كتبه سلامة موسى وكتبا عن دارهما وتجربتهما ما يمكننا اعتباره تسويقًا مباشرًا لهما؟ هل كانا يحتاجان إلى اعتراف من كاتب كبير بعد كل ما حققاه من نجاح؟

لا أستبعد بالطبع أنهما فعلا ذلك، فرغم النجاح الذى حققاه، إلا أنهما كانا مستهدفين بهجوم دائم من الجميع، والنفس البشرية فى النهاية تحتاج إلى اعتراف، إلى تأكيد على نجاحها، إلى من يشير إليها، خاصة إذا كان الإعجاب من كاتب كبير له بصمات مهمة ليس فى الصحافة فقط ولكن فى الحياة الثقافية والفكرية المصرية أيضًا، وكانت وفاته فرصة لهما لأن يضيفا ما يريدان إلى كتابه وهما فى مأمن، لكن حدث ما لم يكن يخطر لهما على بال، حيث طاردتهما الأسرة مؤيدة من غالى شكرى الذى لم يكن يخفى معارضته- ولا أقول كراهيته- لهما.

لم يكن سلامة موسى صاحب حظوة فى أخبار اليوم، لم يمنحه مصطفى وعلى أمين الاهتمام الذى يليق به، دخل دارهما محتاجًا إلى المال، وهو ما عرضه لهجوم من أصدقائه الذين كانوا يرفضون ما تقدمه أخبار اليوم من صحافة خفيفة ومبتذلة بالنسبة له ولهم، بل إن بعضهم اتهمه صراحة بأنه باع نفسه وتاريخه لصاحبى أخبار اليوم دون ثمن.

وعندما مات سلامة موسى كان كل ما فعلته أخبار اليوم أنها نشرت خبرًا مقتضبًا قالت فيه: مات سلامة موسى، أمس، فى المستشفى الذى دخله منذ أيام لإجراء عملية جراحية، تحسنت صحته، أمس، وكتب خطابًا لأخبار اليوم يطلب إرسال البوسطة ليستأنف نشاطه، وفى اللحظة التى كان يستعد فيها لمغادرة المستشفى فاجأه الموت.

كان هذا ما نشرته أخبار اليوم فقط عن سلامة موسى، لم تراع أنه كان واحدًا من كتابها، ولم تتعامل معه بالشكل اللائق، فلم تمنح أسرته مكافأة نهاية خدمته، ولم تخصص له معاشًا، بل كان بالنسبة لها كاتبًا عابرًا، لم تخصص له حجرة خاصة، كما كانت تفعل مع كبار الكتاب، بل وضعته فى حجرة صغيرة يشاركه فيها صغار المحررين، وزادت على ذلك أن نسبت له ما لم يكتبه، وقد اعتقد صاحباها أن أحدًا لن يعترض أو يكشف جريمتهما فى حقه.

بينما يدمج سلامة موسى فى كتابه الأصلى فصلى صحافة المقالة وصحافة الخبر يفرد الكتاب المزور لكل منهما فصلًا مستقلًا

لم يكن سلامة موسى صاحب حظوة فى أخبار اليوم ولم يمنحه مصطفى وعلى أمين الاهتمام الذى يليق به

سلامة موسى

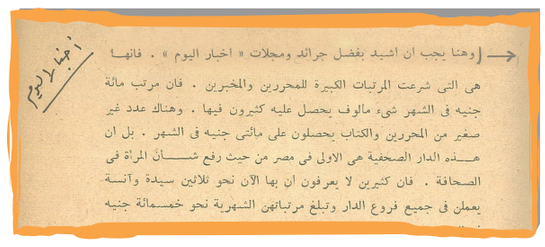
وهنا يجب ان اشيد بفضل جرائد ومجلات « اخبار اليوم » . فانها هى التى شرعت المرتبات الكبيرة للمحررين والمخبرين . فان مرتب مائة جنيه فى الشهر شىء مالوف يحصل عليه كثيرون فيها . وهناك عدد غير صغير من المحررين والكتاب يحصلون على مائتى جنيه فى الشهر . بل ان هذه الدار الصحفية هى الاولى فى مصر من حيث رفع شأن المرأة فى الصحافة . فان كثيرين لا يعرفون ان بها الآن نحو ثلاثين سيدة وآنسة يعملن فى جميع فروع الدار وتبلغ مرتباتهن الشهرية نحو خمسمائة جنيه

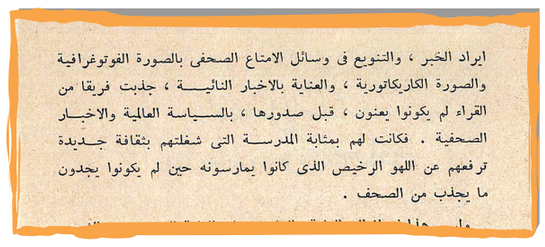
ايراد الخبر ، والتنويع فى وسائل الامتاع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية ، والعناية بالاخبار النائيـــة ، جذبت فريقا من القراء لم يكونوا يعنون ، قبل صدورها ، بالسـياسة العالمية والاخبـار الصحفية . فكانت لهم بمثابة المدرسـة التى شغلتهم بثقافة جـديدة ترفعهم عن اللهو الرخيص الذى كانوا يمارسونه حين لم يكونوا يجدون ما يجذب من الصحف .

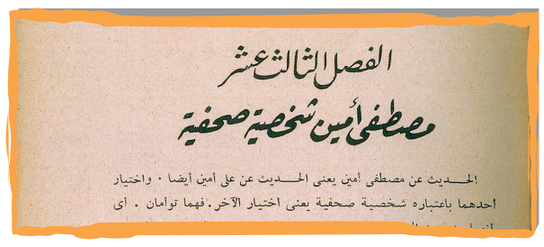
الفصل الثالث عشر
مصطفى أمين شخصية صحفية
الحـديث عن مصطفى أمين يعنى الحـديث عن على أمين أيضا . واختيار احدهما باعتباره شخصية صحفية يعنى اختيار الآخر . فهما توأمان . اى

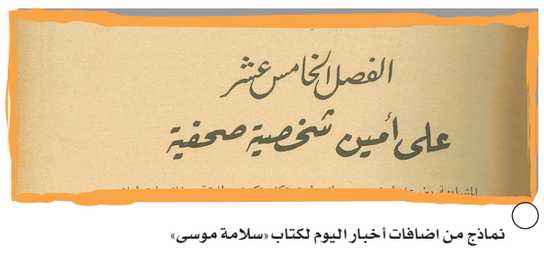
الفصل الخامس عشر
على أمين شخصية صحفية

نماذج من اضافات أخبار اليوم لكتاب «سلامة موسى»

العارفاتُ بِاللهِ

روحى أنثى صوفية

1 هل تحررت المرأة فى الفكر الصوفى؟

فى الوقت الذى تتعاطى فيه بعض التيارات الدينية مع المرأة باعتبارها مرادفًا للغواية و«عورة» تستوجب الستر بـ«أوراق التوت» شكلًا وصوتًا.. تنعكس هذه الصورة بإلحاح شديد فى الخطاب الصوفى، وتفرض نفسها عبر نظرة جديدة عابرة للجسد لا تضفى إلى حد ما على كينونتها طابعًا إيجابيًا، بل وتعتبرها رمزًا من رموز المقدس. وتنكشف حلة المرأة فى المكتوب الصوفى بأنس وتقدير تقترن فيه الأنوثة بالإجلال، حيث تتجلى فى بيوت صوفية كونها الأخت والزوجة والأم وبصحبة مقامات روحية بصفتهن السائحات الزاهدات وقليل فى التجمعات كعالمة وقائدة أو كممثل لشيخ الطريقة.

لقد منح التدين الصوفى المرأة مكانة متفردة مقارنة بأنساق التدين الأخرى، فنحن لسنا أمام نموذج واحد للسيدة الصوفية فى سعيها الروحى، إنما بصدد حلقات موصولة بإحكام دون فجوات تجمعهن قواسم مشتركة حق وإن تباينت الأنماط وآيات التجلى، إذ إن طبيعة التكوين العاطفى للمرأة تجعل تجربتها بالنسيج المتصوف أكثر عمقًا وحساسية.

هبة المنسى

لقد تقاطعت الخطابات الصوفية مع كل ما تشتهيه الأيديولوجيه النسوية التى وجدت بها أرضية مريحة تعزز حريتها دون مزايدات دينية، حيث أسهمت إيجابية وضع المرأة فى المتخيل الصوفى بشكل عام، ورفع شأن الأنوثة وقيمها، ضمن سياق إشكاليات جدلية لا تزال قائمة بوقتنا الراهن فى اجتذاب العديد من السيدات والناشطات فى مجال الحياة العامة إلى محراب العارفين، حتى وإن اقتصر الأمر فى بعض الحالات على ما يعرف بالتصوف العاطفى.

إذ يشهد للفكر الصوفى فى أنه نجح بامتياز فى رفع الحصار عن النساء، وفكّ أسرهنّ الاجتماعى، من خلال نظرته التى تبدو أكثر تحررًا مقارنة بالمدارس التقليدية فى العديد من القضايا التى تتعلق بالمرأة وطرق بقوة أبواب الأمل لديهن فى التصالح مع أنفسهن ومع المجتمع، حيث شكل مادة ثرية ومرجعية للنسويات لتقوية خطابهن وإضفاء الشرعية الدينية عليه، بعيدًا عن كل محاولات تسطيحها، من خلال تأويل النصوص على نحو يتجاهل كونها قضية اجتماعية فى الأساس، تضعها دائمًا فى حيز مقارنة مع الرجل لتنهى المطاف بتنصيب الأخير فى مقام الوصى عليها.

وأخرجت نزعات التسامح بالطرح العرفانى المرأة من ضيق الرؤية إلى آفاق أوسع من الحرية الشخصية، وكان مدعاة للرفق بها لا لإقصائها، وإلى جانب منحها مساحة أرحب فى التزين والاختلاط والعمل أتاح لها فضاءات السفر دون محرم والإمامة فى الصلاة وحتى «القطبية» والإفتاء والقضاء الشرعى، وهو ما يتوافق مع جل النساء بمن فيهن السلفيات واللاتى وإن استسلمن من الناحية الشكلية الظاهرية بالزى الشرعى والنمط التقليدى بيد أنهن يرفضن داخليًا خطابات التهميش والإقصاء باسم الدين.

الفهم الصوفى لآية الحجاب جاء على أحسن وجه، وبدا منهجهم التحليلى للنص القرآنى هو الأعمق بين كل المدارس الإسلامية، إذ انفردت الصوفية بنظرة مغايرة لقضية الحجاب، فهو ليس مقدسًا بالمعنى المعهود، وبعض السيدات الصوفيات يكتفين بالحشمة دون التقيد بالشكل التقليدى، ومن محض رغبة المرأة لا بإرادة ذكر من أبيها أو زوجها وغيرهما، ولم ينظروا إلى الحجاب من باب جزئى متمثل فى مجرد سترة الرأس، ولا يجدن حرجًا فى الإفصاح عن أنهن لا يهتممن كثيرًا بمسألة اللباس بقدر اهتمامهن بتحسين سلوكهن نحو خالقهن؛ لأن تغطية الجسد من الرأس إلى أخمص القدمين لا تعنى التحقق التام بالإسلام، ولا طهارة النفس التى تعتبر المحور الأساس للتصوف.

تحيز الشيخ الأكبر لكل ما هو أنثوى أفرز تفسيرًا ثوريًا حول المعنى الباطنى لتغطية رأس المرأة، ويذهب ابن عربى إلى أن حجاب الرأس يحيل إلى تغطية ما فى النفس البشرية من حب الرياسة والملك، إذ أُمرت النفس أن تغطى رأسها أى تستر رياستها، فلهذا أمرت النفس المملوكة أن تغطى رأسها فى الصلاة، واقترن الحجاب فى ظاهر الكلام بالنساء، لأن النفس تدل على الأنوثة فى كل إنسان، ومن ثم فإن القول الخاص بـ«حجاب المرأة» يخاطب نفوس الرجال والنساء الذين يحبون الظهور والغلبة والملك، وتستعبدهم الرياسة، فيحثهم الخطاب الإلهى على تغطية حب الرياسة، فالنفس التى تحب مقامها ومقام ربها، ولا تطلب الرياسة على غيرها تحتجب بتواضعها، وبهذا فإن الآية الخاصة بحجاب النساء توجه فى حقيقتها إلى نفوس غالبية الرجال لتقاتلهم من أجل السلطة والظهور والقهر، إذ يأمرهم الله بتغطية ما بنفوسهم من حب الملك والسلطة، ومطامنة كبريائهم، وطلب حجاب العبودية.

إذًا الرجل يتشارك إنسانيًا مع المرأة فى قيمة الحشمة، فهى وفقًا لمنظورهم لا تقتصر على النساء، ويقول ابن عربى: أما مذهبنا فليست العورة فى المرأة أيضًا إلا السوءتين، كما قال تعالى «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» فسوّى بين آدام وحواء فى ستر السوءتين، وهما العورتان، كما يؤكد ابن عربى «فلو كان الستر لها أصلًا لما قيل لها فى الإحرام لا تسترى وجهك»، ولعل هذا ما يفسر ضعف انتشار النقاب بين المتصوفات حد بلوغ العدم.

وتستقوى الحركات النسائية أيضًا بما ورد عن إمام المحققين حول إجازة إمامة المرأة فى الصلاة، وكان يرى أن دليل ما ينص على حرمة ذلك لا وجود له، وأعطى للمرأة مكانة النفس والرجل مكانة العقل، ويرى أنه يجوز للعقل اتباع النفس حتى لا تتبع الهوى.. فقد ذهب إلى أن كل ما صح أن ينال الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لنظيره من النساء.

أما على صعيد الحياة العامة فقد سبح الفكر الصوفى وسط رياح معاكسة خلقت للمتصوفات عالمًا خاصًا غير مشابه لعوالم النساء فى مجتمعهن، فالمرأة الصوفية حاضرة بقوة فى الموالد وليالى الذكر والحضرة، ومباح لها الاختلاط بالرجال استنادًا إلى أن الاختلاط واقع فى الطواف بالكعبة ولم يمنع أو يحرم، وهو ما ذهب إليه السيد أحمد البدوى، يضاف إلى ذلك وقائع من السيرة النبوية كانت فيها تشهد الجماعة والجمعة فى مسجد الرسول وتؤدى الصلاة بنفس المسجد وتدخل والرجال من نفس الباب.

وتبدو الأضرحة التى شيدت لتخليد ذكراها المقدسة شاهدة على حضور المرأة وتحررها سياسيًا واجتماعيًا فى الحقل الصوفى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نموذج السيدة نفيسة التى اجتمع إلى جوار العبادة التواصل مع رموز المجتمع، كما فعلت مع الإمام الشافعى حين ورد الديار المصرية، كما أنه لما توفى أمرت بجنازته فأدخلت عليها فصلّت عليه، هذا إلى جانب القيام بدور المعارضة السياسية حين استغاث بها الناس من ظلم أحمد بن طولون وتوجهوا إليها يشكونه، فكتبت رقعة تؤنبه فيها بشدة وتحذره من عاقبة الظالمين ووقفت بها فى طريقه.

لعل انفراد خطاب المرأة فى الدائرة الصوفية بمنسوب فائق من الحيوية وقدرته على خلق آفاق تبقى موصولة بالراهن والمعاش هو ما جعل منه مادة ثرية للنسويات لتقوية خطابهن وإضفاء الشرعية الدينية عليه.

> يشهد للفكر الصوفى فى أنه نجح بامتياز فى رفع الحصار عن النساء وفكّ أسرهنّ الاجتماعى

> الرجل يتشارك إنسانيًا مع المرأة فى قيمة الحشمة فهى وفقًا لمنظوره لا تقتصر على النساء

العارفات بالله

2 الصياغة الأنثوية للوجود بالطرح العرفانى

النظرة لمسألة الكمال الإنسانى وما يلحقها من أفضلية الرجل على المرأة انتصرت للأنثى دومًا فى النص الصوفى

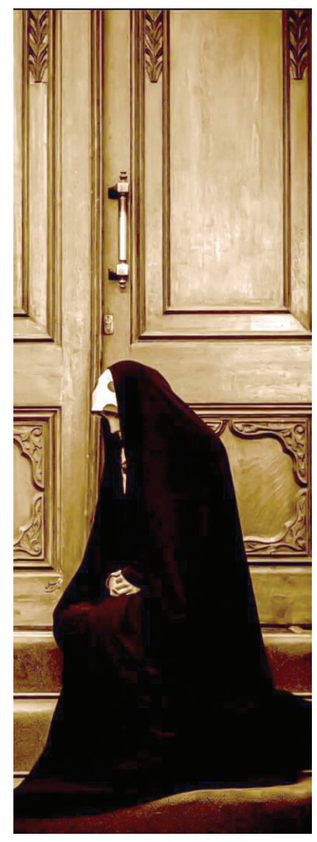

«نور الروح لا يذكر ولا يؤنث».. تلخص تلك الجملة، التى جاءت على لسان سيدة متوصفة، صورة الأنثى فى التراث الصوفى والذى ارتقى بها فوق مصاف التنصيف الفسيولوجى للذكر والأنثى بشكل لا يتعلق بطبيعة بشرية ثابتة بل بمقامات معرفية، ففى فضاءات الروح يسقط النوع وتتلاشى كل الفوارق البيولوجية.

لقد انتصر الطرح العرفانى للمرأة عبر قراءة عميقة تنسجم مع حقيقتها ووظيفتها الوجودية وتجعلها الأقرب إلى الممارسة الصوفية، إذ أن الأنثى بفطرتها تطغى عليها العاطفة ويغلبها الشعور ولأن جوهر التجربة الصوفية يتعلق بالقلب الذى يستقبل إرهاصات النور الآلهى، كانت المرأة هى الكائن الأقرب بطبيعته لهذه الحالة بكل طقوسها الروحية، ولعل هذا ما يفسر ما حظيت به المرأة فى الوجدان الصوفى على مدار التاريخ مقارنة بالرجل، فقد ظهرت عبر أروقته كونها الأسبق فى إدراك المعانى السامية ومن ثم، الترقى معرفيًا وسلوكيا لتبلغ مرتبة التعليم والإرشاد للرجال، كما هو الحال بين رابعة العدوية وسفيان الثورى، والذى كان يجلس بين يديها ويقول لها: «علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة» وفاطمة بنت عباس التى اعتلت المنبر لتعظ الناس فى عصر ابن تيمية، إذ يروى فى الأثر «أن فاطمة كانت تصعد المنبر وتعظ الناس، قال ابن تيمية: بقى فى نفسى منها شىء لكونها تصعد المنبر، فأردت أنهاها عنه، فنمتُ، فرأيت المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فقال: هذه المرأة صالحة».

وجاءت الصياغة الأنثوية للوجود بما تحمله من دلالات معتقة برياح العشق الإلهى والخيال الصوفى لتحدث ثورة بالنظرة النمطية للمرأة وترفع كل زيغ شَابَ حقيقتها من قبل حراس المدرسة التقليدية، فقد أرتأت النظرة الصوفية أن روح العاشق/ النفس يجب أن تكون روح امرأة، وليس روح رجل، مهما كان جنس العارف/ المريد فسيولوجيًا، فالروح الأنثى هى الأقرب إلى حالة العشق الإلهى، ولذلك كان العديد من متصوفة الهند يرتدون زىّ النساء، فى إشارة عرفانية إلى سيرهم فى طريق البحث عن العشق الإلهى! فالأنوثة من وجهة نظرهم هى أقدس تجلٍ يمكن أن يُرى فيه الله وانعكست الفكرة فى كلام جلال الدين الرومى عن «الروح الأنثوية للوجود» فى قوله: «إنها امرأة حبلى تحمل فى بطنها اللغز الذى يزداد عمقًا مع كل خطوة».

ويكافئ الصبغة الأنثوية للروح مصطلح صوفى آخر هو «رجال الله» يتخطى حاجز النوع وكون المنعوت به ذكرًا أم أنثى! والمقصود به أن كل من يسلك رحلة البحث عن الله بقوة وصبر متحملًا أوجاع الطريق وآلام العشق فهو «رجل»! وقد قال الخاقانى، وهو من متصوفة فارس: إن المرأة إذا اتجهت إلى الله لا تُعرف بعدُ بامرأة، ولكن بـ«رجل الله».

كما أن النظرة لمسألة الكمال الإنسانى وما يلحقها من أفضلية الرجل على المرأة انتصرت للأنثى دومًا فى النص الصوفى، فالكمال الإنسانى ليس حكرًا على الرجل ويكون بتحصيل العلم والكتابة، لأنه فى النص الصوفى أقر للمرأة بلوغها تلك المرتبة بل والأكثر من ذلك فقد توصل إلى أفضلية مكانة المرأة على مكانة الرجل لجمعها مرتبتى الانفعال والفعل، وفى ذلك كتب ابن عربى فى رسالته عقلة المستوفز، باب «الكمال الإنسانى»: (كلامنا إذًا فى صورة الكامل من الرجال والنساء. فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى؛ والذكورية والأنوثية إنما هما عَرَضان، ليستا من حقائق الإنسانية).

لم يفرق الصوفية بين الرجل والمرأة لأن كليهما يمثلان المخلوق الإنسانى الذى طلب منه الفناء فى خالقه تعبديًا، وما من داع للتفريق بينها على أساس الذكورة والأنوثة وفق تأويلات لمفاهيم دينية تم توظيفها لأغراض أرضية؛ فمفهوم «الدرجة» المذكور فى القرآن الكريم لا يؤدى إلى إلغاء حقيقة كل من المرأة والرجل.

وهنا نجد ابن عربى الذى يعد يقول: اعلم أيّدك الله أن الإنسانية لما كانت حقيقة جامعة للرجل والمرأة لم يكن للرجال على النساء درجة من حيث الإنسانية»، ففضل الرجل بالأكملية، لا بالكمالية.

3 الظهور الأعظم لله.. كيف رد الفكر الصوفى الاعتبار للمرأة؟

الرؤية الصوفية للمرأة تمثل تجربة روحية عميقة

«فى البدء كانت الأنثى» تجسد الجملة بدقة متناهية لذة الاعتراف الصوفى بالحضور الكرنفالى للمرأة، فعلى الرغم من تعدد صورها بالمتخيل الصوفى ما بين كونها المظهر الأعلى للحياة بل هى مبدأ الحياة الإنسانية والانحياز تارة لصورتها الوجودية باعتبارها تكثيفًا للجمال الكونى والخبرة الأولى التى لا بد أن يتأسس عليها «العشق الإلهى»، بيد أن ثمة إجماعًا لدى «أهل الله» على تعالق جميع القيم لتشكيل الجمال الأنثوى، إذ أن حواء لديهم معبر للتسامى والتواصل.

لقد آمنت الرؤيا الصوفية بكل ألوان الحب ثم آلفت بين وجهى عملة الأنثى الفيزيائى والإنسانى، لتفرز تجربة خاصة تأنقت فى جنباتها جمالية الروح وتخطت النظرة النمطية للمرأة بالمدارس الفقهية التقليدية، فهى لديهم جسر للعبور نحو عوالم أخرى وفضاءات مغايرة.

والجمال الأنثوى بالعرف الصوفى هو مرآة ينعكس على صفحتها الجمال الإلهى، فإذا كانت الأسماء والصفات الإلهية هى تجليات لعدة معانٍ للجمال الإلهى، والذى ينعكس بالمحسوس فى مستوى العالم الإنسانى، فإن المرأة من أجمل صور تجليات الجمال والكمال الإلهى، وفى ذلك يقول ابن عربى «إنه إذا كانت كل الكائنات هى ظهور من مظاهر الله، وكان الإنسان هو الظهور العظيم، فإن المرأة هى الظهور الأعظم لله».

نظرية التجلى الإلهى انعكست فى التأويل الصوفى لقصة عشق امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، والذى هو، وفق رؤية عبدالقادر الجزائرى، مظهر من مظاهر الجمال الإلهى الذى هامت به امرأة العزيز ودخلت به مقام الهم وهو الحيرة فى فعل الأمر أو تركه.

يقول الله تعالى: «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين» «يوسف: ٢٤»، أما همّه بها فهو أن أحبها حبًا إلهيًا من حيث قوة حضرة الانفعال للمرأة التى بها ظهرت حضرة الفعل، فهمّها به وانفعالها عندما تكشف لها حضرة الفعل فى صورة يوسف وهمّه بها إدراكه لتلك المرتبة والحضرة المختصة بها المرأة، وبما أنه لا وجود لكامل إلا ومن صفاته حب النساء، فيوسف أحب امرأة العزيز كما حُبب لنبينا محمد الكامل، صلى الله عليه وسلم، النساء، ومن هذا المشهد أدرك يوسف عليه السلام سر هذا الحب فأحبها لذلك دون الإفصاح، لأن البوح بحبه قد يقويها لنيل مقصودها، وهو من عباد الله المخلصين الذين صُرف عنهم الهم بالسوء.

والحقيقة أن المرأة فى حضرة ابن عربى تحظى بمكانة متفردة عبرت التأويلات الجامدة للنصوص باعتبارها أقل قيمة أو مكانة من الرجل، ثم توهجت فى أفكاره الفلسفية التى أعلت من شأنها، وتنبه الرجل إلى مدى أهميتها فى حياته، يقول ابن عربى: «وليس فى العالم المخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه إلا من عرف فيم وجِد العالم ويأى حركة أوجده الحق تعالى».

مغامرة الخطاب الصوفى فى تجربة ابن عربى بلغت منتهاها كما يقول نصر حامد أبوزيد فى الإلحاح على أن «الحب الإنسانى» هو الخبرة الأولى التى لا بد أن يتأسس عليها «الحب الإلهى» وأن «حب النساء» يعد من صفات الكمال الإنسانى، مرتكزًا فى ذلك على أحاديث نبوية منها قوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين: «حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة»، وبالتالى فإن الاتصال بها هو اتصال بسر الألوهية، فتكون الأنثى فى هذه الحالة أداة من خلالها ينتقل وعى الإنسان من الإنسانى الأرضى إلى الوجودى السماوى.

وأما الحنين فإنه يفسر بالوجدان الصوفى على أنه حبل سرى موصول بذات الروح العطشى للاكتمال لكونها الجزء المفتقد من الإنسان الكامل، فحواء خلقت من ضلع آدم أى أنه حنين الكل للجزء وحنوّ المرأة على الرجل لكونها خلقت من الضلع، رادين بذلك الاعتبار للجسد الأنثوى وليرتقوا به من ضيق المتعة الأحادية للرجل إلى مصاف العلاقة التبادلية التى تبلغ حد الافتتان والعبادة الروحية.

ويعتبر الباحث عبدالحق منصف أن الذكورة والأنوثة «لا يكونان ماهيتين منفصلتين عن بعضهما البعض فى التصور الصوفى خلافًا للكتابات الفقهية، إنهما فقط عنصران لجسد واحد هو الجسد الأصلى، جسد آدم الإنسان الكامل الذى خلق فى البداية، ثم حدث انفصام أولى داخل نفس الجسد فانشطر إلى عنصرين: عنصر الذكورة وعنصر الأنوثة».

إذن يمكن الجزم بأن الاحتفاء الصوفى بالمرأة تبلور بشكل أعمق وأشمل فى إعلاء قيمة الجسد الأنثوى وفى نظرته للعلاقة الجنسية كفعل مركب يجمع بين العناصر التى تشدُ الإنسان إلى الله والطبيعة وإلى مبدأيهما «الحياة والحب»، فقد ارتقى منظرو الصوفية بالعلاقة الحسية ورفوعها إلى مرتبة الاتحاد، والتى هى أرفع منزلة يصل إليه المتصوف فى جهاده الروحى.

وعلى خلاف شيوخ الصوفى الذين اكتفوا بالتلميح للعلاقة الجسدية كابن الفارض تعرض له ابن عربى على نحو مفصل، إذ يعتبرها «فعلًا إلهيًا» مبتغاه خلق الأجساد لحمل الأرواح التى هى جميعًا من روح الله، حيث يقول: ما كَمُل الوجود ولا المعرفة إلا بالعالم، ولا ظهر العالم إلا عن هذا التوجه الإلهى على شيئية أعيان الممكنات بطريق المحبة للكمال الوجودى فى الأعيان والمعارف، وهى حال تشبه النكاح للتوالد، فكان النكاح أصلًا فى الأشياء كلها، فله الإحاطة والفضل والتقدم.

ويذهب الشيخ الأكبر إلى أبعد من ذلك حيث يعتبر الاتصال بجسدها والالتصاق به هو اتصال بسر الألوهية، وحب هذا الجسد عبادة تُجدِد العلاقة بالله، إذ يؤكد «شهود الحق فى النساء أعظم الشهود وأكمله وأعظم الوصلة النكاح، وهو نظير التوجه الإلهى على من خلقه على صورته وكما جعل الله النكاح عبادة للسر الإلهى، فقد كانت المرأة باعتباره محتضنًا لفعل النكاح عتبة أولى وأساسية لمعانقة هذا السر».

إن الرؤية الصوفية للمرأة تمثل تجربة روحية عميقة توجه العاشق الصوفى فى مساره التعبدى، وتدفع نحو إعادة النظر فى مسألة الأنوثة بمسحتها الكلاسكية المتعارف عليها، والتى قد تختزلها فى عناصر بيولوجية محددة، لذا فإن ما أفرزه الطرح العرفانى هو بمثابة رد اعتبار لذات الأنثى وكينونتها.

آمنت الرؤية الصوفية بكل ألوان الحب ثم آلفت بين وجهى عملة الأنثى الفيزيائى والإنسانى

العارفات بالله

4 المرأة «ولية».. حين تصبح سيدة العارفين قطبًا وشيخة

على الرغم من أن مرآة الفكر الصوفى عكست صورًا أكثر إشراقًا وتقبلًا لحضور المرأة داخله بلغت ذروتها باستخدام صيغة التأنيث فى التعبير عن الذات الإلهية، كما يتبين فى تائية ابن الفارض، ومع رفض التصوف والمتصوفة اعتبار التمايز الجنسى معيار التفاضل بين الذكر والأنثى، بيد أن الذاكرة الجمعية له تحمل مؤشرات خافتة حول سيدات وصلن لدرجة الشيخة «القُطب»، مما يصعب معها تكوين صورة كاملة حول نظرة الصوفى المتسمة بالمساواة الإنسانية فيما يتعلق بمسألة «الولاية».

نظريًا أجازت أدبيات الصوفية تسليك المرأة، وأن تتدرج فى المراتب لتصل إلى أعلاها وهى «الولاية»، ففى فضاءات الروح تتساوى الحظوظ بين الذكر والأنثى، فحيثما نجد المريد تكون المريدة والعارف والعارفة. وكما أكد الشيخ ابن عربى على أن الرجال والنساء يشتركان فى جميع المراتب حتى فى القطبية، وأجاز إمامة المرأة فى الصلاة، وكان يرى أن دليل ما ينص على حرمة ذلك لا وجود له، وأعطى للمرأة مكانة النفس والرجل مكانة العقل، ويرى أنه يجوز للعقل اتباع النفس حتى لا تتبع الهوى، فقد ذهب إلى أن كل ما صح أن ينال الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لنظيره من النساء.

تصورات الشيخ الأكبر الفكرية حول الأنثى فيما لو أصبحت قطبًا وخليفة تعنى بأنها ستكون وفقًا لذلك هى صاحبة الوقت، وسيدة الزمان، خليفة اللّه فى أرضه، ونائبة سيد المرسلين فى أمته، لا سقف يحدّها إلا مرتبة النبوة وشخص النبى صلى الله عليه وسلم، وارثة للاصطفاء والاجتباء والخصوصية الأدمية، إذ لا مانع لديه بيولوجيًا أو عقليًا من وصول المرأة إلى أعلى مراتب الولاية.

وعلى الأرجح فإن قناعات ابن عربى بالأهلية الروحية للمرأة تنطلق من باعثين أحدهما شخصى والآخر ظرفى وإذ إن تواجده فى الأندلس مع مجرى الحياة الاجتماعية هناك والتى سمحت للمرأة أن تتعلم وتعمل وتشارك الرجال فى طريق الزهد والتصوف، بل وتتفوق أحيانًا عليهم مقارنة بوضع مثيلتها فى المشرق قد أثرت على نحو إيجابى فى نظرته لمكانة الأنثى وطبيعة الأدوار المنوط لها القيام بها.

الرافد الثانى الذى استمد منه ابن عربى آراءه الفلسفية حول المرأة يتعلق بطبيعته التكوينية الحسّاسة تجاه المرأة حين أحبها من جهة والرعاية الحانية فى محيط الأسرة، أو فى دائرة تلمذته لشيخاته المتعبدات من زاوية أخرى، ومن ذلك حرصه على تزويج أختيّه من أكفاء، من غير القائمين على أمر السلطة، وبناء كوخ من القصب لشيخته فاطمة وخدمته لها عدة سنوات، مما أضفى بعدًا إيجابيًا متزايدًا لتأثيرها فى تكوين أفكاره ورؤيته.

لقد تمظهرت فكرة المرأة الـ«ولية» بالتراث الصوفى على نحو مكثف فى شخصية «رابعة العدوية»، وربما كان فى انتشار أشعارها بين الصوفية ما يبرهن على منزلة المرأة فى هذا الباب، ويستدلل به على أهليتها كجنس لطريق السالكين والعارفين، ومن ثم مشروعية أخذ الرجل عنها، وتربيته فى مجالسها، وتأدبه بنهجها وطريقها، فقد كانت رابعة سباقة إلى التعبير عن تلك الدقائق التى انتبه إليها الصوفية، والتى تهدف إلى تخليص العمل من النقائص التى تشوبه.

وتروى القصص أن الحسن البصرى طرح سجادة على الماء ونادى رابعة لتصلى معه، وتعجبت منه، حيث يعرض نفسه فى سوق الدنيا، وطرحت سجادة على الهواء وأشارت عليه بأن يفعل كما فعلت فلم يستطع أن يحظى بمثل مقامها، فوعظته وحثّته أن يشغل نفسه بالعمل، وهناك فاطمة النيسابورية أستاذة ذى النون المصرى والذى قال لها: عظينى، وقد اجتمعا ببيت المقدس، قالت له: الزم الصدق وجاهد نفسك فى أفعالك.

كما تشير عدد من الدراسات والكتب التى تناولت تاريخ المرأة فى التصوف إلى أن السيدة العابدة كانت تستقبل الرجال لتسمعهم وتجادلهم؛ بل تعلمهم على غرار «صفة الصفوة» لابن الجوزى، «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» لأبى عبدالرحمن السلمى، غير أنها تعرضت فقط لأحوال مجاهدتها وبعض الأقوال والأشعار المنقولة ولم تترجم هذه الكتب، دور المرأة المتصوفة كـ«واقفة» مثلًا، خصوصًا فى إطار توجه النساء عمومًا للوقف على مساجد وزوايا وتكايا.

وبحسب دراسة «سيرة المتصوفات فى التاريخ الإسلامى: وقفات أوليّة عبر تأملات منهجيّة» للباحثة عزة جلال فإنه إذا كان من الممكن تفهّم ذلك خلال القرون الأولى «من القرن الثانى حتى القرن الخامس تقريبًا»؛ حيث ظل التصوف خلال هذه الحقبة «باستثناء نماذج قليلة» شأنًا فرديًا يقوم على الزُّهد والعبادة والاعتزال عن الناس؛ فإن تجاهُل الأبعاد الاجتماعية والسياسية والعلميّة لشخصية المرأة المتصوفة فى القرون التالية؛ حيث تبلورت الطرقية «المدارس الصوفية» وبات التصوف ظاهرة اجتماعية، هو أمرٌ يستدعى التساؤل، إذ لم نسمع عن مدارس صوفية نسائية أو طرُق، كما حدث مع المتصوفة الرجال كعبدالقادر الجيلانى وأبى الحسن الشاذلى.

وهو ما أرجعته الدراسة إلى عدة احتمالات منها تجاهُل المؤرخين، أو تقاعُس التلاميذ فى حق شيخاتهم المتصوفات، أو أن كون التلاميذ والأتباع فى الأغلب من النساء قد حال دون تشكّل مدرسة صوفية خاصة بالشيخة «القُطب».

لكن ثمة أبعاد أخرى تتصل بارتقاء الأنثى سلم العارفين قطبًا أو شيخًا للطريقة منها الجسد والذى مثّل عائقًا أمام التدرج فى مقامات العرفان، إذ يلزم عليها أن تنفى أنوثتها جمالًا وحملًا ودم حيض لترتقى لمراتب الصلاح، وعلى ذلك يكون عليها كشرط لدخول الولاية هو العمل على إمحاء ذلك الجسد، وهو ما قد يتعارض مع نوازعها الفطرية للأمومة، وما تعكسه بعض تراجم المتصوفات حول ما يمكن وصفه بالصراع بين رغبتها فى التفرغ للعبادة والتبتّل، وبين غريزة الأمومة، فكان هناك تنازع بين فطرتها وميلوها الروحانية تتقضى مجاهدة مضاعفة لإدارة هذا الصراع مقارنة بالرجال.

تأثر التراث الصوفى فى المشرق بالفقه التقليدى أفضى إلى حد كبير إلى تجحيم إمكانات بلوغ المرأة منزلة القطبية مما جعلنا بصدد نماذج مفردة لا ترقى إلى مستوى الطرح العرفانى فى نظرته للأنثى، وجعل عدد النساء الصالحات بالنسبة للذكور قليلًا، حتى وإن كان عددهن يتجاوز كمًا وكيفًا النسبة التى يمثلنها بين جمهور الفقهاء، فقد شهد العالم الإسلامى خلال القرن الأخير صعودًا لتيارات فكرية متشددة خلال القرن الأخير، طبعت بصماتها على الطرق الصوفية أسهمت بدورها فى تراجع نسبى بحضور المرأة فى التيار الصوفى، وذلك بسبب الموانع الثقافية والتقاليد الشرقية.

واقعيًا لم تحقق المرأة اختراقًا حقيقيًا بالقيادة الروحية فى المشرق إذ كان وما زال الرجل يجلس منفردًا على قمة هرم الولاية مستبعدًا الأنثى من قلب الفعل الصوفى إلى هامشه، لتبقى طوعًا أو كرهًا فى عداد المريدات الصالحات أو المرشدات التقيّات.

> تمظهرت فكرة المرأة الـ«الولية» بالتراث الصوفى على نحو مكثف فى شخصية «رابعة العدوية»

5 نساء الشيخ الأكبر.. أسباب انحياز ابن عربى لكل ما هو أنثوى

لم تحظ المرأة فى الفكر الإسلامى بمثل ما حظيت به عند ابن عربى، فقد أعلى الشيخ من مكانتها ولم يكتفِ بكونها مساوية للرجل، بل وفضلها عليه فى بعض المواطن، وبقدر ما أثارت تأويلاته للنصوص الدينية فيما يتعلق بالمرأة الجدل فقد فتحت ذات الوقت شهية التكهنات حول أسباب انحيازه الفكرى لكل ما هو أنثوى.

وبعيدًا عن السياق المكانى وتواجده فى الأندلس مع مجرى الحياة الاجتماعية هناك والتى سمحت للمرأة أن تتعلم وتعمل وتشارك الرجال فى طريق الزهد والتصوف، فإن الباحث فى تاريخه سيجد أن ثمة بواعث شخصية أسست لمنهجه الروحانى المبتكر، إذ تبدو النكهة الأنثوية فى فلسفة ابن عربى وليدة بواعث شخصية ترتبط بعلاقته بالجنس الآخر، وذلك على الرغم من اعترافه فى كتابه «الفتوحات المكية» بأنه كان يكره النساء والجماع وأى شىء يتصل بالجنس فى بداية دخوله المسار الصوفى ولمدة ١٨ عامًا، ولم يتزوج حتى بلغ الثلاثة والثلاثين.

اللبنة الأولى فى التحول الفكرى المثير لدى الشيخ تشكلت مع لقائه بفاطمة القرطبية، وكان حينها شابًا فى العشرين من عمره يلتمس طريقه على خطى السالكين، حيث قال فى كتابه «الفتوحات المكية»: «خدمتُ أنا بنفسى امرأة من المحبات العارفات بإشبيلية يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبى، خدمتها سنين وهى تزيد فى وقت خدمتى إياها على خمس وتسعين سنة، وكنت أستحى أن أنظر إلى وجهها وهى فى هذه السن من حمرة خديها وحسن نعمتها وجمالها تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها».

طبعت القرطبية بصماتها على شخص ابن عربى وكان لها أكبر الأثر فى ترقيق طباعه وتهذيبها وتحوله من الانغلاق والعصبية إلى منهج التصوف المرن، إذ يقول: «كانت- فاطمة القرطبية- تضرب بالدف وتفرح، فكنت أقول لها فى ذلك فتقول لى إنى أفرح به حيث اعتنى بى وجعلنى من أوليائه واصطنعنى لنفسه».

نهل ابن عربى من علوم وزهد فاطمة واستمرت العلاقة بينهما لسنوات حتى غادر الأندلس إلى المغرب العربى، وكانت بمثابة الأم الروحية التى أثارت له ظلمات الروح «كانت تقول لى: أنا أمك الإلهية، ونور أمك الترابية، وإذا جاءت والدتى إلى زيارتها تقول لها: يا نور، هذا ولدى، وهو أبوك، فبرّيه ولا تعقّيه».

يقول ابن عربى: «فما زلت أخدمها بنفسى، وبنيت لها بيتًا من قصب بيدى على قدر قامتها، فما زالت فيه حتى توفيت».

ثانية الشيخات فى حياة سلطان العارفين، هى شمس، أم الفقراء، التقاها عام ٥٩٨ هـ، فى مكة أثناء أدائه فريضة الحج، إذ كانت من كبار الأساتذة هناك، ووصفها بأنها «جارية قسيم الدولة»، مملوكة سيدنا أمير المؤمنين، يقول ابن عربى: لم أرَ أحدًا من الرجال كان يقدر على ما تقدر عليه من العبادة وهى من أكابر المجتهدات كانت حاكمة على وهمها، كثيرة الوصال فى الصوم، على كبر سنها أدركتها وهى فى عشر الثمانين سنة، كانت تتكلم على الخواطر، صحيحة المكاشفة وإذا خرجت للسياحة تخاطبها الجبال والأحجار والشجر: مرحبًا، مرحبًا! وكانت قوية الحال، خديمة لأهل الله».

ومع أن كتب ابن عربى تبدو حافلة بإشارات عن شيخات لعبن أدوارهن بامتياز فى تشكيل فكره وآرائه الفلسفية منهن زينب القلعية، وكانت من أهل كتاب الله، زاهدة وقتها، وكانت ذات حسن وجمال وثروة، تركت الدنيا عن قدرة، وجاورت مكة، شرفها الله تعالى، علاوة على أم الزهراء التى كانت من المجتهدات فى طريق الله تعالى.

بيد أن حبات مسبحة الشيخ بالعارفات اكتملت مع فخر النساء أخت الشيخ مكين الأصفهانى، وأُعجب كثيرًا بمعارفها الواسعة، فلقبها بـ«فخر الرجال والعلماء»، ويذكر أنه أراد أن يتتلمذ على يديها لكنها اعتذرت لكبر سنها، ورغبتها فى قضاء البقية الباقية من عمرها فى العبادة، ومع ذلك، فقد أذنت فخر النساء لأخيها أن يكتب لابن عربى نيابةً عنها إجازة فى جميع رواياتها، فاستفاد من معارفها.

سر الشيخ الأكبر وانطلاق طاقته الروحية الكامنة والكاملة نحو الأنثى كانت مع نظام بنت الشيخ أبى شجاع

العارفات بالله

6 التصوف النسوى فى الغرب.. القوى الناعمة للتيار

ثمة جاذبية خاصة بالتيار الصوفى جعلته عابرًا لحدوده الجغرافية وممرًا مريحًا لدخول الغربيين فى الإسلام، إذ تخلق الصوفية قوتها وحضورها الفريد هناك من طبيعة ممارساتها وخطاباتها التى تتسم بنوع من المرونة الانتقائية والانتفاح الروحى على الآخر.

فقد أظهرت دراسة لجامعة ييل الأمريكية، أن ثلثى مناطق العالم وصلها الإسلام عن طريق المتصوفة والنتيجة تؤكدها الباحثة الأمريكية جيزيلا ويب: «الصوفية هم الناقلون -للإسلام إلى مناطق أبعد من الشرق الأوسط، وفى سياق التقليد نفسه ما زال المتصوفة يواصلون هذا الدور فى أمريكا. إذ يبدو أن هناك اهتمامًا متزايدًا بالتصوف فى الغرب عمومًا بوصفه سلوكًا نفسيًا وروحيًا انعكس بطبيعة الحال على السيدات، واستطاع أن يستقطب ويقنع العديد من الغربيات بخوض التجربة الإسلامية من المنظور الصوفى».

الاختراق الصوفى الأول لأوروبا كان نسويًا من خلال شخصية رابعة العدوية والتى دخلت إلى الثقافة الغربية فى أواخر القرن الثالث عشر بواسطة جوانفيل مستشار لويس الرابع عشر وقام المثقف فابريكوس من جامعة روستوك سنة ١٦٣٨م بترجمة إحدى قصائد الصوفى المصرى عمر بن الفارض، كما أسهمت ترجمات الشعر الفارسى لجلال الدين الرومى وابن عربى وغيرهم فى انتشار أوسع لأدبيات التصوف فى أوروبا والولايات المتحدة خلال القرن العشرين.

التثوير الروحى الذى يمارسه الفكر الصوفى ببراعة خلق له فضاءات رحبة بين النسويات الغربيات اللاتى وجدن به بديلًا ملائمًا للتخلص من المادية التى قد نشأن فيها، فقد أمدهن بالطاقة الروحية والخبرة لإحداث تغيير فى حياتهن وربما التصالح مع المجتمع من أرضية الرؤية القادرة على صنع التغيير الناعم دون فرض قيود تتعلق بشكل اللباس الخارجى أو اختلاط الرجال بالنساء.

إذ ترى بعض المتصوفات الغربيات فى الحجاب رمزًا للثقافات المحلية فى العالم الإسلامى، ولا يرتبط البتة بالوصفات الدينية، ولكن بالتقاليد الثقافية وقد حاولت الباحثة مارتا دومينغيز دياز التفاعل مع هذا السياق، بالإشارة إلى أن اللباس السائد بين متصوفات الطريقة البودشيشية فى أوروبا هو الجلباب المغربى، وبخاصة أثناء اجتماعات الذِّكر، على الرغم من أن الألبسة الضيقة تستعمل أيضًا من طرف هؤلاء النسوة، إلا أنها لا تصل إلى درجة الإثارة الجنسية.

حدائق التصوف النسوى أثمرت فى أوروبا وأمريكا ظاهرة غربية محضة وهى «المشيخة النسائية»، حيث انفردت العديد من الناشطات فى الحقل الصوفى بمنصب الزعامة وظهرت العديد من المنظمات النسائية الصوفية الحريصة على تقديم مفهوم التصوف إلى جمهور أوسع من خلال الفعاليات التى تنظمها القائمات عليها أو عبر دور نشر للكتب الصوفية خاصة والإسلامية بوجه عام.

والواقع أن هذا الحضور النسائى اللافت والمتفرد فى الأوساط الغربية يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ، إذ يعود إلى ١٩٢٠ حين عين حضرة عنايات خان، امرأة خليفة له فى الغرب، وبخاصة على أمريكا الشمالية؛ وهى ربيعة مارتن والتى قامت بدورها بتعيين إيفى دوس لخلافتها على شئون التنظيم الصوفى العالمى لعنايات خان عام ١٩٤٨.

وتعد كاميل هاميلتون آدامز هلمينسكى من أشهر الناشطات بالحقل الصوف وتتزعم الطريقة المولوية فى أمريكا، حيث تدير مؤسسة ثريشود فى كاليفورنيا، وهى منظمة روحية ترتكز على التعاليم المولوية وحاصلة على الدكتوراه الفخرية فى اللغة العربية من جامعة دمشق.

وفى عملها لأكثر من ٤٠ عامًا ضمن التقليد الصوفى المولوى، ساعدت فى زيادة الوعى بالمساهمة المتكاملة للمرأة فى المسار الروحى للإسلام وأسهمت فى جلب العديد من النصوص الكلاسيكية للتقليد الصوفى إلى اللغة الإنجليزية، بما فى ذلك تعاليم جلال الدين الرومى وشمس التبريزى، وهى أول امرأة تترجم جزءًا كبيرًا من مؤلفات الصوفية والقرآن إلى اللغة الإنجليزية، كما أسهمت بمختارات من الكتابات عن الطبيعة والشخصية لمنهج جديد للتربية الإسلامية ومن أشهر كتبها «نساء التصوف: الكنز المستور»، إضافة إلى ترجمتها للعديد من أشعار الطريقة المولوية.

وفى فيلادلفيا تقود الشيخة الباكستانية باجى طبابة خانوم، مجموعة صغيرة تضم مسلمين أمريكيين ومهاجرين معًا من الجنسين، تُنسب إلى الصوفى المغربى الكبير أحمد بن إدريس (ت ١٨٣٧) وتقر باجى أنها وارثة الطريقة الإدريسية الرشيدية إلى جانب طرق صوفية أخرى مثل الجشتية والقادرية، بيد أن تركيزها فى تعاليمها على الاستمداد من القرآن الكريم والحديث النبوى يجعلها أكثر التصاقًا بالإدريسية.

وتقر الشيخة باجى أنها كانت أثناء حياتها فى مدينة بنجابى، وقبل قدومها إلى الولايات المتحدة، «تلقّن الذِّكر»-بإذن شيخها- لجميع المريدين دون أى اعتبار النوع ذكرًا أو أنثى واستمرت على ذلك لمدة ١٢ عامًا.

وبعد وفاة الشيخة انتقلت إلى الولايات المتحدة للعيش مع أختها واستقطبت عددًا من المريدين من الذكور والإناث لجلسات الذكر الخاصة بها من بين المواظبين على حضور حلقات الذكر الخاصة بها الشاعر الأمريكى المسلم دانيال مور وزوجته.

أما أول زعيمة روحية نسائية فى الطريقة الجراحيّة الهلفتية التركية الأصل التى نشأت منذ أكثر من ٣٠٠ عام هى الشيخة فرحة فاطمة الجراحى والتى ترأس فرعًا نشيطًا للطريقة فى نيويورك.

وقد وصلت الطريقة الجراحيّة الهلفتية الولايات المتحدة فى أواخر سبعينيات القرن الماضى من خلال الشيخ الإسطنبولى مظفر أوزاك، لكن بعد وفاته انشطرت طريقته فى أمريكا إلى فرعين: فرع معروف باسم «عشقى-جراحى» تتزعمه الشيخة فرحة فاطمة الجراحى وآخر ينشط فى منطقة بيى فى سان فرانسيسكو تحت زعامة: روبيرت فراجر.

الشيخة مريم كبير فايى، واحدة من أهم الناشاطات فى الحقل الصوفى فى الغرب، من أشهر كتبها: «رحلة عبر عشرة آلاف حجاب: كيمياء التحول على الطريقة الصوفية»، ولدت فى هوليوود بكاليفورنيا من عائلة يهودية ليبرالية، تقول عن نفسها:

«ولدتُ فى هوليوود من أسرة يهودية، وأصبحتُ ممثلةً فى سن الخامسة، وظللتُ أُمارس التمثيلَ لمدة عشرين عامًا عندما كان عمرى ١٢ سنة، وبينما أنا أعمل ممثلة لشركة المسرح فى سان فرناندو فالى أعطانى مساعد المدير لفيفة من الورق البردى، صنعها من أجلى، مكتوبًا عليها: (ابحثى والحقيقة ستجعلك حرة) هذه الرسالة أصابت روحى بصدمة كهربائية، وأوحت لى بشكل واضح تجاه حياتى والهدف منها». تواصل قصة تحولها إلى الإسلام وعثورها على مرشدها الروحى الأول، قائلة: «ذهبتُ إلى بيركلى سنة ١٩٦٠م ومنها توجهت إلى الهند والنيبال ومختلف الدول فى أوروبا، بعدها توجهت إلى القدس والخليل، وهناك بعيد ضريح الخليل إبراهيم بخمس دقائق، التقيتُ مرشدى الصوفى الأول، كان رجلًا مهيبًا ومقدسًا جدًا، وفى قدسية ذاك اللقاء اعتنقت الإسلام بطريقة أكثر طبيعية وجمالية»، منذ ذلك الحين والشيخة مريم كبير فايى تعمل بجد على نشر تعاليم الإسلام الصوفية فى صفوف الغربيين عامة، كما أنها تدرس القرآن الكريم واللغة العربية فى أمريكا وفى غيرها من بلدان إفريقيا السوداء.

وتقود أيضًا الدكتورة ناهد أنغا وهى ابنة شيخ صوفى حركة صوفية تعرف بـ«الجمعية الدولية للتصوف» وتتوخى تشكيل شبكة دولية للنساء الصوفيات، تحت اسم: المنظمة النسائية الصوفية.

كذلك الباحثة الأمريكية الإيرانية «لاله باخيتيار» التى ترتبط بمجموعة من الطرق الصوفية كالنقشبندية والجراحية الهلفيتية، وتدير دارًا لنشر الكتب الصوفية خاصة والإسلامية عامة.

> أول زعيمة روحية نسائية فى الطريقة الجراحيّة الهلفتية التركية الأصل التى نشأت منذ أكثر من 300 عام هى الشيخة فرحة فاطمة الجراحى

7 للنساء فقط.. «القبيسيات» تنظيم صوفى يمنع دخول الرجال

ربما تعد «القبيسيات» إفرازًا طبيعيًا لما دونته النصوص الصوفية حول المرأة، كونها منظمة أو طريقة ذات طابع نسوى خالص، تتجاوز سيكولوجية التراث الأبوية المهيمنة على القيادة الروحية، ويمنع الرجال من دخولها.

ومع أن الجماعة ذاتها انبثقت من رحم الفكر الذكورى، إذ تنتمى مؤسستها منيرة القبيسى إلى مدرسة مفتى سوريا الشيخ أحمد كفتارو، شيخ الطريقة الصوفية النقشبندية، فى سوريا، وبدأت نشاطها الدعوى فى مجمع أبوالنور الصوفى، الذى يتبع الشيخ كفتارو. بَيد أن نهجها يقوم على سلطة روحية مطلقة من الآنسات على الطالبات، تضاهى الشيخ والمريد فى نطاق الرجال.

«الآنسة الأم» منيرة القبيسى التى تعتبر المرأة المسلمة رقم ٢٤ الأكثر نفوذًا فى العالم، حسب تصنيف مركز الدراسات الاستراتيجية الإسلامية الملكية فى عام ٢٠١١، بدأت نشاطها فى أوائل الستينيات فى العاصمة السورية عقب تخرجها فى كلية العلوم الطبيعية فى حى «المهاجرين» الدمشقى، واتبعت فى العقود الأولى من عمر الجماعة العمل السرى، حيث كانت تعقد حلقاتها الدعوية فى البيوت. لكن مع ازدياد انتشار عناصرها من النساء واتساع تأثيرهن فى المجتمع السورى- سمح لهن بظهور محدود بنهاية التسعينيات، بلغ ذروته فى عام ٢٠٠٦ إذ صار من حق القبيسيات ممارسة أنشطتهن من حلقات واجتماعات وحفلات ومجالس ذكر علنًا داخل المساجد.

هذا التحول النوعى أسهم فى توسيع نشاط الجماعة الصوفية التى وقفت على مسافة ثابتة من جميع التيارات الدينية والسياسية السورية، ورفضت الدخول فى صدام أو مواجهة مع أحد. فقد احتفظت المؤسسة، على سبيل المثال، خلال حياتها بعلاقة جيدة مع كفتارو، ومجمعه الفكرى وطريقته الصوفية، رغم أنها فضلت الانفصال عنهم عندما تصدّرت وفاء، ابنة الشيخ كفتارو، العمل النسائى، وكانت ردة الفعل هى تكوين جماعة صوفية نسائية.. فضلًا عن التأكيد الدائم على النأى بالنفس عن السياسة، وأن الجماعة ليست لها أى خطط سياسية، جعلها قريبة من الجميع، وبعيدة عن الجميع بذات الوقت.

اتسام القبيسى بالصوفية الحديثة، وإبداء درجة عالية من المرونة، أتاحا لجماعتها الانتشار فى الأوساط الثقافية والاجتماعية فى قلب المدن الكبرى، فالآنسات بعضهن يمتلكن صالات مسرحية واستديوهات للإخراج الفنى، ويتمتعن بنظرة إيجابية للفنون بكل أنماطها الغنائية والتمثيلية، التى عادة ما يجرى توظيفها من أجل زرع القيم الأخلاقية الإسلامية. وعلى الرغم من محدودية تلك المنتجات الفنية، فإنها تحقق انتشارًا واسعًا ويتم استخدام ريعها لتمويل أنشطة المؤسسات التى يشرفن عليها.

ومن دمشق الحاضن والمنشأ الفعلى، وبفعل الهجرات القديمة والحديثة للقبيسيات يُقدر عدد المنتميات إلى الجمعية حاليًا بأكثر من ٧٥ ألف طالبة فى سوريا وخارجها، حيث وصلن إلى دول أوروبية، وعملن بها داعيات لكن بشكل أقل انتشارًا وتأثيرًا؛ فقد لوحظ نشاط لهنّ فى إسطنبول وأمريكا وأستراليا وفرنسا وإنجلترا.

«وتختلف مسميات الجماعة باختلاف الموقع الجغرافى والمؤسس، ففى لبنان تعرف بـ«السَّحَريات»، حيث عملت أميرة جبريل، فلسطينية الأصل على تأسيس نواة للقبيسيات فى لبنان، وبعدها سلّمت زعامة الجماعة فى لبنان للبنانية سحر حلبى، فأصبحن يُعرفن بالسَّحَريات نسبةً لها، وكانت سحر قد تتلمذت على يد منيرة القبيسى فى سوريا.

كما قامت فادية الطّباع بنقل نشاط القبيسيات شكلًا ومضمونًا إلى الأردن، وحقّقت أثرًا بالغًا فى استقطاب نساء من طبقات راقية، وتسمى هناك بـ«طباعيات» نسبة إليها، وتدير مدرسة بارزة فى العاصمة عمّان، هى مدارس الدر المنثور فى حى أم السماق، حيث تعتبر تلك المدرسة أهم معاقل هذه الجماعة، إضافة إلى مدرسة أخرى فى عمّان، هى الخمائل.

وتأسست «جمعية بيادر السلام النسائية» فرع القبيسيات فى الكويت على يد أميرة جبريل عام ١٩٨١، وهى الجمعية الرسمية التى تعمل الآنسات من خلالها، ورأست مجلس إدارة الجمعية دلال عبدالله العثمان، وتشرف على عدد من المؤسسات التربوية منها: مدرسة القطوف الخاصة، وحضانة السلام، وحضانة دار الفرح وقد جاء إنشاء الجمعية، نتيجة جهود كبيرة بذلها يوسف سيد هاشم الرفاعى رأس الصوفية الكويتية.

> يُقدر عدد المنتميات إلى الجمعية حاليًا بأكثر من 75 ألف طالبة فى سوريا وخارجها

90 سنة أسوانى

فى 17 يناير الجارى تحل الذكرى التسعين لميلاد الروائى الكبير عبدالوهاب الأسوانى، صاحب التاريخ الأدبى الحافل بالإبداع، الحاصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام 2011، والذى برز اسمه منذ نشر روايته الأولى سلمى الأسوانية فى عام 1970، وظل طوال نصف قرن فى حالة إبداعية خاصة ومتجددة جسدتها رواياته، ومنها «اللسان المر، النمل الأبيض، أخبار الدراويش، كرم العنب، إمبراطورية حمدان»، بجانب أعماله القصصية «مملكة المطارحات العائلية، للقمر وجهان، شال من القطيفة الصفراء»، وسوف يشهد معرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته هذا العام طبعة جديدة من أعمال عبدالوهاب الأسوانى الروائية.

أحمد المريخى

أيام وليالى صاحب النمل الأبيض فى جزيرة المنصورية

الكاتب مع عبدالوهاب الأسوانى

وفى الاحتفال بذكرى ميلاده أعود لأتطلَّعُ فى إبداعاته، فأرى وجه مصر فى صفحة النهر من المنبع حتى المصب.. أشم رائحة الناس والزرع، مواسم الغرس والحصاد، ومعاركنا الصغيرة والكبيرة، وتداخُلَ الأصوات.. أسمعُه يتحدثُ بلكنة ناس غرب النيل، وهو المولود فى جزيرة المنصورية الماثلة أمام معبد كوم أمبو؛ يتساءل: كيفك، ويزيد مازحًا: كيفنَّك يا فتى؟

أقولُ عن حالى فى أسى: تقصدنى أنا..

يعتدلُ فى جلسته ويقول متلطفًا: أنت أنت حيث تكون؛ المكان والزمان، الماضى والحاضر، التقليد والتكرار والابتكار، وأنت الواقع «حيوية الواقع»، وأنت المستقبل؛ لأنك وصلٌ موصول.

أتأملُ صدى كلماته كنقوشٍ فى ذاكرتى، وأنا الذى ربطتنى به علاقة مباشرة، كواحد من شخوص عوالمه الثرية، وفى الوقت نفسه واحد من مريديه، وأنتبه على «لزمته الشهيرة»: إيش قولك بأه؟

أقولُ: أنت من تصنع نفسك من خلاصة العناصر؛ بضربة عصاك على الأرض وأنت تسير رافعًا هامتك قلمك لغتك، وباثا هويتك؛ «ظاهرها جسدٌ مضمر وباطنها ضميرٌ مبثوث»، وحين تنظر فى السماء لا تُحصى الأفلاك والنجوم لكنك ترى أثرها فى الواقع، وتقرأ أثار ما حدث على ما سوف يجىء؛ ومن علاقات الناس بالحيوانات والنبات والجماد والاتجاهات تبنى سردياتك كتاج رأسٍ أعود إليه كلما تسلَّطتْ على حياتى العواطف وحاصرتنى المُسلمات، وعصفت بى السلطة، وبطشت بى جاهلية العادات والتقاليد.

يبتسمُ الروائى القدير عبدالوهاب الأسوانى، فأسمعُ صوتًا خارجًا من عمق عالمه الروائى؛ يرنو إلى ويتردد صداه داخلى: يكونُ الإنسان حيث تربى العقل. بينما يتقاطع معه صوتٌ آخر؛ متفكهًا: لكن هيهات هيهات.. أين العقل يا فتى.

أضبط نفسى ضاحكا وأنا أتذكّر أسماء عدد من شخوص رواياته وما تعكسه من دلالة: الشيخ علوان «المُطَيَّن بالطين»، والشيخ الكاظم، وشمروخ ابن زينب العرجا، وحمد العجل، والحاج منازع، وربيع الأول، ومرجان الفيل، وزعزوع التعلب، وغيرهم ممن تُشير أسماءهم إلى طبيعة شخصياتهم، ومنهم السفاسف من «زلنطحية»، و«شخارم»؛ الذين إذا تحدثوا علا صوت المعارك بالشوم والنبابيت وغيرها، وحتى لا تقع النوائب يسارع أصحاب العقل من عمد ومشايخ إلى عقد جلسات الصلح بين المتعاركين، فتُضاءُ المضايف بالفوانيس والكلوبات، وتنتهى الحوارات بما هو خير غالبًا، وتترجم ذلك احتفالات التلاقى فى الموالد والأعراس؛ فينقطع بذلك هدير عراك النبابيت إذ يتحول إلى إيقاعات ترحيب تجسدها لعبة التحطيب، وأصوات القوالين من رواة السيرة وشعراء «النميم» وراقصى الكف، وفى الخلفية زغاريد نساء على مواويل «نعناع الجنينة».

تلك الأسماء والأصوات الموقَّعَة فى رواياته تدفعك للتفاعل مع عوالمه المتفردة، وما هى إلا أدوات فى بناء روائى بسيط ومحكم؛ يقول يحيى حقى: «إن الأستاذ عبدالوهاب الأسوانى استمسك بميزتين اختص بهما، واحتل بفضلهما مكانة فى حياتنا الأدبية؛ الميزة الأولى: وضوح الأسلوب ونصاعته وتسلسله وتدفقه، والثانية أنه لا يتحدث إلا عن تجربة»؛ و«الأسوانى» يمتلك تصورًا خاصًا به عن العملية الإبداعية؛ يقول: إن الإنسان ولد ليعيش، لا ليكتب وحسب، وأنا إنسان؛ والكاتب يكتب تجربته التى عاشها، فإن لم يعش حياة حقيقية لن تكون كتابته مؤثرة.

هو يؤمن بأن قيمة الأديب ترتبط بالكيف لا الكم. وفى هذا يقول: كان الدكتور حسين فوزى يردد دائمًا أن المرأ يستطيع أن يدخل الحياة الأدبية بكتاب واحد؛ أى أن كتابًا واحدًا جيدًا يعطى صاحبه صفة الأديب، فى حين أن عشرين كتابًا لا تعطيه هذه الصفة إذا كان مستوى ما يكتبه متواضعًا.

ويقول يوسف الشارونى: الأسلوب الروائى لديه بسيط لكنه يتميز بثلاث خصائص؛ أولها الفكاهة التى تطالعنا من حين لآخر، والتى تعلو طبقتها إلى حد السخرية أحيانًا، ثم الألفاظ التى تلون بيئته رغم الالتزام بالفصحى، ويرتفع الأسلوب إلى مرتبة الشعر من حين لآخر كلما نزعنا الراوى من حدة المعارك والصراع، وخلا بنا فى حضن الطبيعة؛ يستريح قليلًا من هذا الصخب المحتدم.

لكن حدة المعارك والحروب تشكِّلُ جانبًا مهمًا فى وجدان «الأسوانى» وعالمه الروائى؛ فقد قضى سنوات طفولته وصباه مقيمًا فى مدينة الثغر، وكان طفلًا لم يتجاوز الخامسة من العمر عندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى ١٩٣٩، وعندما انتهت الحرب فى سبتمبر ١٩٤٥ بهزيمة ألمانيا والدولة العثمانية على يد بريطانيا العظمى، كان قد سمع جانبًا من حكايات الحرب الأولى، ورأى آثار الحرب الثانية فى المجتمع السكندرى؛ حيث أصداء هزيمة الجيش الألمانى وسقوط أسطورة روميل فى معركة العلمين الثانية ١٩٤٢، وانشغال بريطانيا مع حليفتها فرنسا فى تقسيم البلاد، فكما ضربت آثار تلك الحرب العالم بأثره أصابت القطر المصرى من غربه إلى شرقه ومن جنوبه إلى شماله بتحولات وتغيرات على جميع المستويات؛ اجتماعية وسياسية واقتصادية»، وهو ما نجد أصداء له فى آخر رواياته «إمبراطورية حمدان» التى تتخذ من تطوّع حمدان ابن جزيرة المنصورية فى معسكرات الإنجليز؛ أثناء الحماية البريطانية على مصر، نقطة انطلاق لتناول التحولات التى أصابت التجارة والأسواق فى الإسكندرية إلى ما بعد نهاية الحرب العظمى.

تلك الأصداء البعيدة وغيرها من المقومات وضعت «الأسوانى» مبكرًا فى التجربة وفى مناخ ثقافى حيوى متصل بثقافات متنوعة، فتفاعل عن قرب مع كثيرين من رواد الفكر والأدب العربى، وقد مكنه دأبه الشديد فى التحصيل المعرفى من امتلاك ثقافة موسوعية جعلته يقف على قراءة نقدية متبصرة حول حضارات المجتمعات المختلفة، وكذلك الوقوف على مراحل النهوض والنكوص فى الحضارة العربية التى عايش ترددتها فى الواقع فى سنوات شبابه وكهولته؛ يقول: «صلتى بالتراث التاريخى وثيقة منذ الصغر، ولدى مكتبة كاملة للتاريخ الفرعونى واليونانى والفارسى والرومانى، أما قرة عينى فهو التاريخ العربى الإسلامى الذى أكاد أحفظ وقائعه وكأننى- بتعبير صديقى خيرى شلبى- شهدتها بنفسى». وقد ظهر ذلك فى كتابه «وقائع درامية من التاريخ العربى»، وخمسة كتب أخرى فى سلسلة «روايات تاريخية للناشئين»؛ «خالد ابن الوليد، أبوعبيدة بن الجراح، بلال، الحسين بن على بن أبى طالب، وعمرو بن العاص»، وكلها صدرت فى سنة ١٩٧٥ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى بيروت، كما تجلى فى جلساته الخاصة وندواته العامة، وهو الحكاء المتدفق الآسر.

فى سنوات الشباب عاش «الأسوانى» متنقلًا ومقيمًا بين أسوان؛ سليلة النيل وصاحبة الثقافة الخاصة فى أقصى جنوب مصر، والإسكندرية الكوزموبوليتانية؛ درة البحر المتوسط المنفتحة على العالم، وعايش فى ذلك دراما بيئتين مختلفتين، واختار مسقط رأسه جزيرة المنصورية الكائنة فى قلب النيل؛ غرب مدينة كوم أمبو بمحافظة أسوان، بما تعج به من تراث المجتمع القبلى، لتكون ساحة انطلاق لأحداث عالمه الروائى، ومحورَ عبوره لتناول قضايا إنسانية تتجاوز الحدود الجغرافية، وهو ما برز منذ روايته الأولى «سلمى الأسوانية»؛ مصطفى بطل الرواية يجمع بين ثقافتين؛ إحداهما موروثة والأخرى مكتسبة، يحب جارته السكندرية «نادية» التى اختارها بعقلة وقلبه، لكنه فجأة يجد نفسه فى ورطة كبيرة، حيث استدعاه أبوه للعودة إلى القرية كى يفرض عليه الزواج من ابنة عمه «سلمى»؛ كانت سلمى قد رُفت إلى شاب أبله، وفى ليلة الدخلة زعم أنها ليست عذراء، و«هذا عار ما بعده عار»؛ ولإنقاذ شرف القبيلة يضطر مصطفى إلى القبول بالزواج منها؛ فلو لم يفعل يكون مصيرها القتل، وهكذا وجد «مصطفى» نفسه فى مأزق وجودى؛ حيث صراعه بين ثقافتين لبيئتين مختلفتين؛ وهو صراع متعدد المستويات.

> يحيى حقى: الأسوانى احتل مكانته فى حياتنا الأدبية بالأسلوب الواضح وعمق التجربة

> يوسف الشارونى: حدة المعارك والحروب تشكِّلُ جانبًا مهمًا فى عالمه الروائى

وفى ذلك يقول الناقد يوسف الشارونى إن «الأسوانى» يتناول فى «سلمى» قضية الأنا والآخر؛ الثنائية المتناقضة، فالجانب الحركى فى الرواية محوره الصراع بين بيئة المدينة الكبيرة بما فيها من حضارة تفرض نفسها على سلوك الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية بل والعاطفية، والبيئة القبلية التى تفرض نفسها بدورها على أفرادها وعلى نظرتهم إلى البيئة الحضرية.

قضى «الأسوانى» حياته كاملة خارج إطار السلطة فاكتسب احترام الجميع، وقدم خلال مسيرته الإبداعية ثمانى روايات؛ «سلمى الأسوانية، وهبت العاصفة، اللسان المر، ابتسامة غير مفهومة، أخبار الدراويش، النمل الأبيض، كرم العنب، وإمبراطورية حمدان»، وثلاث مجموعات قصصية؛ «مملكة المطارحات العائلية، للقمر وجهان، وشال من القطيفة الصفراء».

وإذا ما أشرنا بإيجاز شديد إلى رواياته وفقًا للسياق التاريخى والاجتماعى، سنجد أن الروايات الثلاث الأولى مبنية على أحداث وقعت فى عقدى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، وتتناول ثقافة المجتمعات التقليدية وكيف تحافظ على هويتها، وانعكاس ذلك على مستقبلها؛ فإذا ما أمعنت فى الانغلاق تصاب بالتكلس، ويسهل اختراقها وانهيارها؛ وهو ما تحقق فى «النمل الأبيض» التى تغطى فترة السبعينيات، وتتناول سلبيات عهد الانفتاح وأوجه الفساد الأخلاقى والاجتماعى والثقافى التى تفشت فى المجتمع؛ «حيث انهار العالم القديم بقيمه ومبادئه وناسه، وتفتت المجتمع العائلى، ولم تعد هناك فائدة ترجى من ترميم البيت»؛ بعد أن ضرب «السوس» كل شىء جميل.

أما «أخبار الدراويش» الصادرة فى بداية الثمانينيات، فهى بتعبير الباحث والناقد طلعت رضوان «رواية عموم المصريين»؛ ترسم خريطة آلية تداول السلطة فى شكل منصب العمودية.. الآلية تعتمد على الولاء القبلى والنفوذ السياسى والثروة؛ أى غياب الآلية التى تضمن أن يكون المرشح للمنصب يستحق ثقة من انتخبوه بغض النظر عن موقعه الطبقى أو نفوذه السياسى أو ثروته، وتطرح سؤالًا: إلى متى ستستمر آلية الولاء القبلى والسياسى والاقتصادى تحكم المجتمع والسلطة؛ وبالتالى متى تتحقق الديمقراطية؛ والمسار إليها يتطلب مناخًا حُرًا؟.

وربما يكون ذلك السؤال الذى تجلى فى «أخبار الدراويش» هو سبب هجرة الروائى عبدالوهاب الأسوانى إلى تاريخ مصر بعد هزيمة العرابيين بنصف قرن، حيث يتتبع فى روايته «كرم العنب» انعكاس هزيمة عرابى على البلاد؛ «فقد رتب المحتل أوضاع البلد على هواه، وظهر جيل من رحم جيل صنعه المحتل وتشكلت القوى التى صعدت فى ظل هذا الواقع الجديد»؛ وخلال ذلك يمكن لنا أن نستكشف كيف تكونت ونمت واستفحلت «عائلات الثروة والسلطة والسطوة فى مصر».

وهو الموضوع الذى نرى جذورًا له بشكل أو بآخر فى روايته الأخيرة «إمبراطورية حمدان» التى تدور أحداثها ما بين الإسكندرية والقاهرة وأسوان فى أربعينيات القرن الماضى، وترصد قصة الشاب «حمدان» ابن عطية العسران صاحب السواقى والأطيان؛ الهارب من قريته الجنوبية إثر مشادة ظنًا بأنه قتل خصمه، وعندما يصل القاهرة لا يصطدم بجانب من ثقافتها؛ فكيف لـ«ابن القبايل» أن يعمل خادمًا تحت «إمرة الستات»، ومن ثم يتطوع للعمل فى جيش الإنجليز؛ استجابة لبيان «أفندينا السلطان حسين كامل» فقد سمع جنديًا يخاطب الجالسين «يا شباب مصر.. الإنجليز وعدونا إذا حاربنا معهم الألمان بأن يغادروا بلدنا مصر العزيزة، تطوعوا للحرب لكى تصبح مصر دولة حرة وغنية مثل دولة الإنجليز.. لا تتأخروا عن التطوع مقابل راتب كبير» فيتطوع ويجد نفسه مثل كثيرين فى المعسكر؛ «مهمتهم حفر الخنادق فينضم لعصابة الجدعان التى تسرق سلاح عساكر الانجليز وتبيعه لحساب الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملك الحجاز». وفى المعسكر يتعرف على سيد الإسكندرانى، وبعد انتهاء الحرب يتجه إلى الإسكندرية ويبدأ رحلة صعوده من موزع كازوزة إلى متعهد أسواق ومخازن، إلى صاحب إمبراطورية أعمال.

من خلال مسيرة حمدان حمدان يدق عبدالوهاب الأسوانى ثنائيته الأثيرة الحاضرة فى جميع أعماله؛ التباين فى حراك بيئتين وثقافتين؛ واحدة معزولة ومستقرة نسبيًا والأخرى فى تغير وحراك دائم، بما يشكل مأزق الإنسان فى صراعه؛ بين الظاهر والباطن.. الجبر والاختيار، وفى رمزية ذلك يقول يوسف الشارونى: «ما تزال قضية الحرية تؤرقه؛ ففى (سلمى الأسوانية) كان الإرغام على فصم علاقة والارتباط بعلاقة مرفوضة من جانب المجتمع وتقاليده ضد الفرد، وفى (النمل الابيض) كان الإجبار على فصم علاقة زوجية قائمة، والتلويح فى المقابل بعلاقة سرابية؛ ممن يملك على من لا يملك، وفى (أخبار الدراويش، وكرم العنب) يجيب بأدوات الفن الروائى على أسئلة مطروحة على حياتنا الثقافية الراهنة؛ أسئلة حول المواطنة والحكومة المدنية والدستور والديموقراطية».

عبدالوهاب الأسوانى بشهادة النقاد والدارسين «صاحب مشروع إبداعى نقدى؛ وله رؤية مهمة فى السرد؛ إذ يؤمن بضرورة الحداثة على أن لا يكون التحديث معطلًا للقارئ». وقد حاز العديد من الجوائز الأدبية، أبرزها اثنتان عن «سلمى الأسوانية»؛ جائزة نادى بالإسكندرية فى العام ١٩٦٦، ثم جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع نادى القصة فى العام ١٩٧٠، وفى عام ١٩٩٨ حصل على جائزة الدولة التشجيعية عن روايته «النمل الأبيض»، وفى ٢٠١١ حاز جائزة الدولة التقديرية عن مجمل أعماله، وفى ٣ يناير ٢٠١٩ رحل عن عالمنا تاركًا وديعته الملهمة، أعماله؛ «تاج رأس» نقرأها فنستمتع بفيض إبداعاته القصصية والروائية، وحسنًا فعلت دار تشكيل للنشر والتوزيع، عندما أقدمت على إعادة نشر أعماله- بعد نفادها- فى طبعة جديدة، لتكون فى متناول القراء بمعرض القاهرة الدولى للكتاب فى دورته الخامسة والخمسين المقرر انعقادها فى الفترة من ٢٤ يناير حتى ٦ فبراير.

1934-1-17

2019-1-2

يسارية مصرية تكتب شهادة روائية

براءة السادات

بطلة سلوى بكر: نحن منافقون و«كله قشرة من بره»

سلوى بكر

نحن الآن فى الثانى والعشرين من فبراير ١٩٦٨.

أنهت «عفت» يومًا دراسيًا حافلًا فى كلية التربية الرياضية بمنطقة الجزيرة قرب الثانية ظهرًا، وتحركت فى طريقها إلى بيتها فى منطقة الزيتون، ومعها زميلتها وصديقتها «هدى».

عندما وصلا إلى «أسدى قصر النيل» رأيا حشودًا تتدافع إلى ميدان التحرير.

أسرعت «عفت» ومعها «هدى» لاستباق الحشود والوصول إلى «محطة الأتوبيسات الرئيسية» حيث اعتادتا الركوب منها إلى منزليهما.

لكن الحشود، وكانت من طلاب الجامعات، حاصرتهما وهى تهتف منددة بالأحكام المخففة الصادرة ضد قادة سلاح الطيران المتسببين فى هزيمة ٦٧.

المشهد المهيب لاندفاع الأفندية والفلاحين والباعة وحتى ركاب الأتوبيسات، وصوت الهتاف المدوى، ومعهما أحزان الهزيمة، «جعل الحجر ينطق».

غلى الدم فى عروق «عفت» وشعرت بسخونة يد «هدى» فى كفيها عندما علا هتاف «عاوزين حكومة حرة.. العيشة صارت مرة».. وزادت السخونة مع «بالروح بالدم نفديكى يا سينا».

فى لحظة، ودون تبادل كلمة واحدة، اندفعت الفتاتان، اللتان لم يكن لديهما أى اهتمام سياسى، باتجاه المظاهرة وراحتا تهتفان «عاوزين حكومة حرة».

وما حدث بعدها كان غير متوقع.. بالنسبة إليهما على الأقل.

فجأة ظهر مئات من عساكر الأمن المركزى وأولئك الراكبون على ظهور الخيل، وبدأ الرصاص المطاطى يلعلع فى الميدان، وطرقعات راكبى الخيول تسمع هنا وهناك.

صرخت «هدى» عندما كان «السوط» فى طريقه إلى ظهر «عفت».. لكن يدًا قوية ظهرت فجأة ودفعتها بعيدًا عن «السوط» فنجت من «لسعاته الموجعة».

هذه اليد ظلت تدفعها حتى صارت عند محطة الأتوبيسات دون أن تدرى كيف وصلت إلى هناك.

لم تعرف صاحب اليد لكنه كان بطلها المُخلص فى ذلك اليوم.

الليلة هى العاشرة من أبريل لعام ٦٨.

قبلها، بنحو ٨ أيام، كانت مصر على موعد مع «لفتة روحانية» تخفف من آلام الهزيمة.. فها هى السيدة العذراء تتجلى للمصريين فوق قباب كنيستها بالزيتون.

هذه الكنيسة تسكن «عفت» على بُعد أمتار منها.. وصارت فى الأيام التالية لـ«الظهور» موطنًا يشد إليه الرحال من كل مصر.

كانت «عفت»، مثل غيرها، تنزل كل يوم انتظارًا لـ«أم النور».. علها تجد عندها «خلاصها».

«كل شىء وارد، وأم النور تقدر، وهى صاحبة شفعات ولها بركات».. قالت لها أمها عندما استنكرت «عفت» ما قالته له «طنط أتينا» جارتهما التى تسكن الدور الأرضى.

«نفسى أشوفها يا عفت وأطلب منها إما تردلى صحتى وأمشى زى كل الناس، أو تعطينى عيل أفرح بيه ويبقى ذكرى فى الدنيا بعدى وبعد وليم».

وكانت «طنط أتينا» تطلب معجزتين، فهى تعرج فى مشيها منذ طفولتها جراء حادث غامض، وهى الآن فى الخمسين من عمرها، وزوجها يقترب من الستين وضرير.

أمام مطالب «طنط أتينا» صارت أحلام «عفت» نزهة يسيرة لـ«أم النور».

كل ما تحلم به أن تصير ذات يوم بطلة جمباز أو راقصة مرموقة كفريدة فهمى، نجمة فرقة رضا للرقص الشعبى.

وبينما كانت تغيب فى أحلامها هذه وسط الزحام، متطلعة إلى القباب الرمادية، باحثة عن الخلاص مثلما الآلاف حولها، تعالت أصوات صارخة «هناك.. هناك.. عند القبة اليمين».

راحت «عفت» تشب وتقف على أطراف أصابعها فى محاولة مستميتة لرؤية السيدة العذراء.

لكن كل محاولاتها فشلت.. فالزحام على أشده.

ثم إن الواقف أمامها مديد القامة، يحجب بهيكله الجسدى كل رؤية تطوق إليها.

بشكل عفوى، لا إرادى، مددت يدها ونقرت بأصابعها على ظهره وهى ترجوه: «من فضلك.. روح ناحية الشمال عاوزه أشوف».

تحرك بالكاد، وبرغم محدودية الحركة، فقد رأت الطيف الفسفورى الأبيض المتصاعد من القبة، وتلك الحمامات البيضاء المتطايرة حوله.

تمتمت بينما قلبها يخفق شدة:

«سبحان الله.. سبحان الله».

ظلت «عفت» تحدق فى القبة دقيقة حتى انتهى المشهد «المعجزة».. وبعد أن عادت لنفسها اكتشفت أن هناك مَن يحدق بها.

كان هو ذلك الشاب الذى استسمحته «روح ناحية الشمال».

وقبل أن تنطق باغتها:

«أنا شفتك يوم مظاهرات الطيران فى ميدان التحرير.. فاكرة؟»

ردت:

«آه.. يا خبر.. أنت شدتنا أنا وزميلتى، وجريت معانا بعيد عن العساكر.. آآه».

ثم ابتسمت:

«متشكرة جدًا.. لولا أنك شدتنى كان عسكرى الأمن المركزى لطشنى بالكرباج».

وقبل أن يمتد الحديث كانت «طنط أتينا» تنادى:

«يا عفت.. يا عفت.. إنتِ فين؟»

.. وتاها فى الزحام.

فى تلك الليلة.. وبعد أن عادت إلى فراشها استعادت «عفت» ما جرى فى «يوم المظاهرة».. اليوم الذى حققت فيه إرادتها وفرضت اختيارتها لأول مرة فى حياتها بعيدًا عن عيون أبيها وأمها.

كانت هذه واحدة من لحظات السعادة القصوى «القليلة» فى حياتها.

ونامت ليلتها وآخر ما تتذكره صورة ذلك الشاب الذى خلصها من «العسكرى وكرباجه».. ولم تك تعرف أن القدر يخبىء لها لحظة سعادة جديدة.

بعد أسبوع، وصلت إلى محطة الأتوبيس فى طريقها إلى معهدها الرياضى.. وإذا بها تلمح «منقذها» واقفًا يتصفح الجريدة الصباحية.

اقتربت منه وهتفت بصوت مرح خفيض:

«بالروح بالدم.. نفديكى يا سينا».

تلون وجهه بفرح عندما رآها ونطق:

«صباح الفل».

ثم طوى جريدته ومد يده ليصافحها بينما يُعرّفها بنفسه:

حسام عبدالفتاح.. هندسة القاهرة.

بدروها أعلنت:

عفت زين.. أولى تربية رياضية.

وصل الأتوبيس وكان مكدسًا.. واقترح «حسام» انتظار أتوبيس آخر فربما يكون أقل ازدحامًا.

«فيلة سوداء بأحذية بيضاء» محاكمة شاملة لليسار المصرى من النكسة إلى سنوات الانفتاح

أعترف بأننى لم أقرأ من قبل لسلوى بكر.. وقد آن أوان التوبة والتكفير عن ذنبى هذا.

أمضيت ليلتى الماضية فى حضرة سلوى وكلماتها؛ فقد أمسكت بروايتها «فيلة سوداء بأحذية بيضاء» ولم أشعر بنفسى إلا وقد فرغت منها تمامًا.

عشت الرحلة مع «عفت» و«حسام».. بطلى الرواية.. اللذين هما فى الحقيقة صورة مصغرة لمصر وما جرى بها ولها.. فى سنوات النكسة والنصر والانفتاح.

أعرف أن لسلوى موقفًا، سياسيًا ونفسيًا من السادات وعصره ومصره.. كغيرها من مثقفى يسار الستينيات والسبعينيات.. هؤلاء الذين أرجعوا كل مصائب مصر للسادات وكأنها كانت جنة من قبله، وليست بلدًا محتلًا.

لكن هذا الموقف من «دولة العلم والإيمان» لم يؤثر كثيرًا على جمال هذا العمل الأدبى.. الذى قد يكون شخصيًا فى بعض أحداثه وأبطاله.

لقد رسمت سلوى بكر فى روايتها الواقعة فى ١٢٧ صفحة والصادرة عن دار دون، صورة شديدة الإبداع لحجم التحولات التى جرت فى مصر.

هذه الصورة كان بطلها «حسام»، المهندس اليسارى الناقم، المثقف صاحب الذوق الفنى الرفيع، و«عفت»، الطالبة الجامعية البسيطة التى لا تعرف شيئًا عن السياسة سوى أن الاقتراب منها خطر مثل أسلاك الكهرباء.

غير أن أحوالها تتغير حين تقترب من «حسام» ويأسرها بشخصيته الثورية الجامحة.. ويجمع بينهما «قصر الحب».. زوجان يتطلعان لحياة «لطيفة».

كان كل شىء على ما يرام.. ثم جاء الطوفان.

والذى جرى لـ«عفت» و«حسام» هو ما جرى لمصر ذاتها.

فما الذى جرى إذن؟

لنقرأ معًا.

محمود الشهاوى

وافقت بسرعة ضمن تواطؤ لا شعورى.. فقد كانت تتصاعد بداخلها رغبة عارمة فى التعرف على ذلك الشاب والاقتراب منه.

كانت منفعلة ومتحمسة، فقد بدا لها جذابًا جدًا، أو بالأحرى الراجل فى أمثل حالاته.

شعرت بأنه شخص تعرفه منذ زمن بعيد وإنسان صادق يمكن الوثوق به.

وربما السبب نبرات صوته النقية المفعمة بالصدق وأداؤه التعبيرى القوى بعينيه وشفتيه.

جاء الأتوبيس، وكان أقل ازدحامًا بالفعل، ولم تدر «عفت» كيف مر الوقت وهى تتحدث معه حتى وصلا إلى المحطة الأخيرة.

كان «حسام» أول شاب يقترب من حياتها اقترابًا حقيقيًا.. فلم تكن لها أى علاقة خاصة بشباب طوال مراهقتها.. ولم تتلق من أى شاب عرفته، من العائلة أو الجيران، سوى «معاملة أخوية».

وقبل أن يفترقها فى ميدان التحرير عرفت أن «حسام» طالب بالسنة النهائية بكلية الهندسة، متخصص فى الميكانيكا، كما أنه منخرط فى نشاط طلابى مع زملائه، ويفكرون جديًا فى الذهاب إلى سيناء والقيام بكفاح مسلح ضد المحتل الصهيونى، لأن الجيش وحده لا يكفى، والشعب لا بد أن يشارك فى معركة التحرير.

هكذا قال.

تكلم «حسام» بمرارة وحرقة، فى آخر لحظات اللقاء، وسألها إذا كانت ذات يوم قد التحقت بـ«منظمة الشباب الاشتراكى» لأنه تربى سياسيًا فيها واستفاد منها كثيرًا.

وشرحت له «عفت» أن أبيها يسمح لها بالاشتراك فى الرحلات المدرسية بصعوبة.. وقد سمح لها بممارسة الرياضة والجمباز لأن «عم وليم جوز طنط أتينا أقعنه، وهو المدرس وأدرى بشئون التعليم، أن التفوق الرياضى بالمرحلة الثانوية يتيح للطالب الحصول على ٥ درجات مئوية تضاف إلى المجموع».

ثم ودعته فى ميدان التحرير على أمل بلقاء آخر فى صباح اليوم التالى.

بعد أول «حديث مطول» بدا «حسام» أمام «عفت» وكأنه قد جاء من عالم آخر خرافى.. وامتدت علاقتهما على مدى ٥ سنوات وقعت خلالها «عفت» فى «فتنة حسام»؛ فقد صارت مبهورة به انبهارًا يتجاوز الحب والغرام، الذى تعرفه لأول مرة فى حياتها، وبات بالنسبة إليها «مسألة خلاص».

خلاص من حياة معقدة تثقلها بكم هائل من الأفكار والقيم والمفاهيم، وكأنها ترتدى عددًا من الأثواب السميكة الثقيلة واحدًا وفق آخر، فتعوق حركتها وتكبلها، وها هو يخلع تلك الأثواب عنها، ويطوح بها بعيدًا بكل أفكاره الثورية الجديدة، لتستعيد حريتها ونفسها وتنطلق فى الحياة.

عرفت الكتب لأول مرة عن طريقه، فلم تكن تقرأ كتبًا خارج ما هو مقرر خلال السنة الدراسية، وفى غضون أشهر قليلة بدأت كتب «حسام» المهداة تفعل بها فعل السحر.

كان أول مَن حدثها عن شعراء الأرض المحتلة: محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد.

ثم إنه غنى معها حين دعاها لحضور حفل موسيقى لفرقة عبدالحليم نويرة بالجامعة:

وطنى! يعلمنى حديد سلاسلى
عنف النسور ورقة المتفائل
ما كنت أعرف أن تحت جلودنا
ميلاد عاصفة وعرس جداول

من خلال «حسام» عرفت: جوركى، وأنطون تشيكوف، وإميل زولا، وبول إيلوار، وجاك بريفير، وناظم حكمت، وبابلو نيرودا.. وقرأت لـ: بدر شاكر السياب، وصلاح عبدالصبور، وأمل دنقل، فضلًا عن أشعار مترجمة، أداها لها، لـ: بول إيلوار ولويس أراجون وغيرهما.

صارت «عفت» إنسانة جديدة خصوصًا بعد أن باح لها «حسام» بحبه وتعلقه بها، وقال لها إنها جذبت انتباهه منذ «مظاهرات الطيران»، ثم أصبحت بمرور الوقت «تميمة سحرية» تجلب له السعادة والفرح.

وكان أعظم هداياه صورة لـ«جيفارا»، رمز التمرد والثورة بالنسبة لـ«حسام» ورفاقه، وقد علقتها على الحائط فوق سريرها، وظنت أمها أنه أحد نجوم السينما الأجانب: «والله عشنا وشفنا.. تحطى صور الممثلين على حيطان البيت وعند سريرك».

.. وكان طبيعيًا أن يكلل كل ذلك الحب بزواج سعيد.. بعد أن تخرج حسام وعمل بـ«راتب معقول» فى شركة مقاولات.

فى ليلة الزفاف جاءت الضربة من حيث لا تحتسب «عفت» ولا «حسام».. فقد اكتشفا أنها ليست بكرًا، ولم يتشرفا برؤية قطرات الدم الحمراء المقدسة فى لقائهما الجسدى الأول.

الصدمة آخرستهما تمامًا.. قبل أن ينطق «حسام»: «معنى كده إنك عرفتى واحد قبلى، وكلامك عن كونى أول رجل فى حياتك ملوش أساس».

قالت بغضب واندهاش:

«طبعًا أنت أول شخص فى حياتى.. أنا مبكذبش عليك».

لم تكن «عفت» تكذب بالفعل.. لكن كيف جرى ما جرى؟

ظلت ليالى طويلة تقلب سنواتها الثلاث والعشرين علها تجد إجابة أو تفسيرًا لغياب «قطرات الدم الحمراء».. بلا فائدة.

وكانت الليالى صعبة على «حسام».. يضاجعها بنهم كل ليلة.. ويبدو فى الظلام كعاشق واقع لشوشته.. أما فى الصباح فيطالعها بوجه حائر حزين تطل منه نظرات باردة وملامح متيبسة، تلمح خلفها تساؤلات واتهامات شتى.

بات عصبيًا لا يكلمها إلا إذا كلمته، وردود قصيرة مقتضبة، ولم تلمحه مرة يبتسم أو يضحك.

وأمام غياب تفسير يخفف «الوقع المؤذى» كان الذهاب لطبيب هو الحل الأخير.

وتحدد الموعد مع «المُنقذ الأخير» وكان يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣.. وفى الطريق وصلت أخبار العبور العظيم.

أنست الفرحة «عفت» مشكلة قطرات الدم العنيدة التى أبت السقوط من جسدها، وقالت له: «أنا فرحانة جدًا.. يلا نأجل مرواحة الدكتور، ونشترى فشار ونروح نشوف فيلم (الطلقة ٤١)، موجود فى سينما (أوديون).. نقدر نلحق حفلة الساعة ٣».

رمقها «حسام» بنظرة من الغضب والسخرية والاحتقار.. تلك النظرة جعلها، لأول مرة، تشعر بأن الراجل الذى تسير معه كائن غريب عنها تمامًا وإنسان لا تعرفه.

ثم قال:

«واضح إنك مصدقة حكاية العبور والنصر. الموضوع فى الحقيقة عبارة عن سيناريو محكم مرسوم بدقة مع الأمريكان، ونهايته السعيدة لا بد أن تكون لصالح إسرائيل.. السادات مصيبة وحلت بمصر».

لم تتمالك نفسها من الضيق وأرادت أن تنهى الحديث فقالت: «ربنا يحمى كل شبابنا فى سينا ويرجعهم سالمين منصورين».

.. بعد دقائق وصلا إلى الطبيب السبعينى «الملتحى»، الذى كتب شهادة براءتها، وقال بعد الكشف إن غشاء بكارتها كان ضعيفًا وواهيًا جدًا وربما تمزق بسبب حركة أو جهد عنيف فى وقت من الأوقات دون أن تشعر به، وربما جرى ذلك خلال دورتها الشهرية فلم تلحظ ذلك.. ثم ألقى «موعظة قصيرة» عن التراحم بين الأزواج، وأن الغشاء، أو «القطعة الجلدية الواهية» لا يجب أن تعكر صفو حياتهما.

استراحت «عفت» بعد صدور الحكم ببراءتها.

لكنها لم تلحظ تغيرًا من «حسام» سوى تغير موقفه من تأجيل الإنجاب.. حين طلب منها أن تتوقف عن تناول حبوب منع الحمل.

وافقت إثباتًا لحبها ووفاء له ورغبة فى استعادة الود المفقود بعد وصول الطفل.

ومرت ٥ أشهر بعد ذلك دون أن يحدث الحمل المرتقب.

ذهبا إلى الطبيب من جديد.. وبعد الفحص تبين أن «عفت» سليمة وجاهزة تمامًا للإنجاب.. لكن فحوصات «حسام» بيّنت أن «محصوله النووى ضعيف ولا يرقى إلى مستوى التخصيب».

حزنت «عفت» لكنها قررت ألا تتخلى عن «حسام» مهما كان الأمر، وعاهدت نفسها على ألا تتركه أو تعيش دونه، بل أن يستمرا فى الحياة الزوجية فى تبات ونبات دون صبيان وبنات.

أما «حسام» فآثر المراوغة والمكابرة.

مضت السنوات التالية سريعة.. وكانت تغيرات «حسام» أسرع.

صار «المهندس اليسارى» وأمثاله من المهندسين ومقاولى البناء وتجار الحديد المسلح والأسمنت والطوب هم سادة المرحلة وملوكها.

علاقاته القديمة بزملاء الجامعة، المطالبين بتحرير سيناء وحافظى أشعار ثورية من نوع «المجد لمن قالوا لا فى وجه من قالوا نعم» - بدأت تبهت وتضمحل، و«حسام» يسحب نفسه منها تدريجيًا.. بينما تتوطد علاقاته بزملاء شركة المقاولات.

أما الاهتمام بالقراءة، خصوصًا الأدب، فبات شبه معدوم.

حتى على المستوى الشكلى، بدأ الكرش الصغير ينمو ويتكور أكثر.

غير أن التغير الأهم لمسته «عفت» يوم خطوبة صديقتها «هدى»، فقد فوجئت بـ«حسام» يطلب منها أن تغطى صدرها وذراعها بأى شال أو إيشارب لأن «ديكولتيه الفستان محفور وغويط وطالع منه كل صدرك».

تعجبت جدًا من «طالع منه كل صدرك».. فقبل تعارفهما وبعدها، وعلى مدى علاقتهما وزواجهما، كانت ترتدى ملابس مفتوحة الصدر.

آثرت «عفت» السكوت وابتلاع الموضوع، وسحبت شالًا ورمته على كتفها.

ثم لاحظت كراهية متزايدة من «حسام» للسادات؛ فهو يرى الرجل ممثلًا ومنافقًا لا يطبق أى حرف من كلامه عن دولة العلم والإيمان.

«البلد فى حالة انحلال أخلاقى كامل.. الكباريهات بطول شارع الهرم كله.. والدعارة على عينك يا تاجر فى المهندسين وشارع جامعة الدول العربية، والشقق المفروشة موجودة فى أرقى شارع وأحقر حارة، وهو يخطب ويقول دولة العلم والإيمان وأخلاق القرية».

على الإبيارى رأيه إن الدين يجب أن يكون مادة نجاح ورسوب بالمدارس، وبجميع مراحل التعليم حتى الجامعة، وضرورى إغلاق المحلات إجباريًا وقت الصلاة، وكل الناس تترك كل شىء وتروح الجوامع وتصلى.

و«الإبيارى» هذا كان شريكًا لـ«حسام» فى شركة مقاولات أسساها معًا، وحققها مكاسب ضخمة بأساليب تحت مستوى الشبهات.

ومع الصعود الصاروخى للشركة كان هناك هبوط عمودى فى علاقتهما الزوجية.

... أخيرًا بدأت «عفت» تشعر بأن «حسام» ما هو إلا مجموعة من الأقنعة التى تتساقط بمرور الأيام، لتسفر فى النهاية عن وجهه الحقيقى وملامح شخصيته الحقيقية، فكل ما بُنيت عليه علاقتهما من آمال وأحلام وأفكار عن الحرية والعدل ووطن تنعم قراه بحياة كريمة وبتماثيل رخام على الترعة وأوبرا، كما يقول صلاح جاهين، باتت، فى نظرها، نوعًا من الوهم والسراب، وشعارات ربما لم يكن مؤمنًا بها حقًا فى يوم من الأيام.

حتى «الرقص»، الذى طالما حدثته عن أحلامها فيه وشجعها عليه وهو يمسك بيديها، صار فى رأيه «مسخرة وكلام فارغ».. يجب أن تتركه وتبتعد عنه وعن عملها كمدرسة تربية رياضية بالأساس.

«الأستاذ المناضل، من كان يرغب فى تحرير سيناء بالكفاح المسلح يعلن بوقاحة (الرياضة لا لزوم لها للبنات، البنات مصيرها بيت العدل».

وهو الذى كان فى يوم من الأيام الخوالى يشجعها ويحفزها للتشبث بحلمها وطموحها.

على أن الصدمة الكبرى جاءت بعدها بأيام.

كان «حسام» ممددًا على السرير بغرفة النوم، بينما تجلس أمام التسريحة تمشط شعرها حين قال:

«شعرك صار خفيفًا وهايش طول الوقت.. البسى حجابًا يخلى مظهرك محترمًا وشكلك أحسن».

ثم أضاف مبتسمًا:

«توبى.. توبى إلى الله».

لم تتمالك «عفت» نفسها من الغضب فهى لا تكره أكثر من شيئين؛ نظارة الشمس، وأى غطاء على دماغها ويقفل على أذنها.

.. واستمرت معركة الحجاب طويلًا حتى تحققت «هدنة البونيه»، الذى وافقت «عفت» على ارتدائه كحل وسط، فلا هو حجاب بالظبط ولا شعر مكشوف تمامًا.

وكان هذا تنازلًا ضمن سلسلة تنازلات اعتادت عليها ظنًا منها أن هذا سيعيده إليها أو حتى يبعد النظرات الحزينة والغاضبة والمستريبة عن عينيه.

تغيرات «حسام» امتدت إلى مقاطعة كلمة «آلو» عند الرد على التليفون.. بل صار يقول «السلام عليكم».. لأن «آلو» كلمة أجنبية مع أنه يستخدم عشرات الكلمات الأجنبية يوميًا ويقول «بانيو وأسانسير وتليفون».

هذا مع تزايد نهمه للأكل، وخشونة سلوكه بصفة عامة، وحتى فى أوقات ممارسة العلاقة الحميمية، وبدأ يستبدل بيجامات النوم بالجلاليب، ولا يجد غضاضة بالخروج إلى الشارع فى بعض المرات وهو يرتدى جلابية وفوقها عباءة بأطراف مذهبة.

وكان حبه لـ«الاستايل» الجديد يتزايد بتزايد رحلاته إلى السعودية لمتابعة شركته الجديدة هناك التى أسماها، مع شريكه الإبيارى، «قباء للاستثمار العقارى»، ووصفها بأنها «نصر من الله وفتح مبين».

وهذا «النصر والفتح المبين» اقتضى بالطبع أن يترك ذقنه تنمو براحتها دون تهذيب أو تشذيب ما جعل وجهه كئيبًا جهمًا.

هذه «الذقن» أزعجت «عفت»، فقد كانت لديه غمازة لطيفة أسفل هذه الذقن، كانت تحبها كثيرًا خصوصًا عندما تتسع وهو يضحك.. لكنها اختفت مع كل هذا الشعر الذى غطاها.

وعلى الغداء فى «كازينو الحمام» عند نيل البحر الأعظم طلبت منه أن يحلقها.

لكنه قاطعها بحدة:

«مستحيل أحلقها.. اللحية وقار، وكل مسلم لازم يطلقها ويتركها تطول».

ثم أضاف:

«لازم تلبسى سوتيان فوق سوتيان، معالم صدرك كلها واضحة، والبلوزة مفسرة كل حاجة وقماشها خفيف».

أنهت «عفت الحوار»: «حتى فى الفسح والخروج كل الكلام صار عن الحلال والحرام.. يلا نقوم نروح».

وتوقفت بعدها «الخروجات».. وأصبحت الحياة «من خناقة لخناقة».

... مشهد النهاية كان فى عيد الأضحى الذى تلا اغتيال الرئيس السادات.

نشبت «خناقة» بين «عفت» و«حسام»، امتدت وطالت، قلب فيها القديم والجديد، وأعلن فيها صراحة عن أنها لا تساوى نكلة بسوق الحريم.

لم تسكت.. ذكّرته بالشعارات والجمل الكبيرة عن المساواة وحرية المرأة وضرورة خروجها من قمقم مفاهيم الماضى وقيمه البالية.. ذكّرته بكتب نوال السعداوى التى يحملها لها ويشجعها على قراءتها.

صرخت لأول مرة بعنف فى وجهه:

«كل ده كان قشرة.. كله كان عندك قشرة من برة.. قشرة ضعيفة هشة، وعمر كل الكلام الكبير ما دخل جواك، فى الحقيقة أنت متخلف وعندك فصام حقيقى فى الشخصية».

سكت «حسام» وهو يتأملها بدهشة، وبلا مقدمات أنهى الاشتباك بطلب غريب:

«لازم تلبسى النقاب وتتركى لبس الهدوم المسخرة وتبطلى تنزلى وتطلعى بيها كل يوم ولازم تتركى الشغل».

قالت بإصرار:

«مستحيل ألبس النقاب، ومهما عملت وطلعت أنت ونزلت، مستحيل أترك الشغل».

رد عليها بـ«غل»:

«ناوى أرميكى وأتركك كالبيت الوقف، يعنى لا بيع ولا شراء.. لا طلاق ولا جواز».

ثم فتح باب الشقة ودفعها خارج البيت.

وعرفت «عفت» فى السنوت التى تلت ذلك ساحات المحاكم لأول مرة فى حياتها، بحثًا عن ورقة إطلاق سراح تسمى «ورقة الطلاق».

ورأت فى المحاكم آلاف السيدات، معظمهن كن محجبات أو حتى منتقبات بجلاليب سوداء، تخفى كل معالم الجسد، و«أحذية كوتشى رياضية» بيضاء اللون.

وكان يشغلها كثيرًا سؤال: لماذا الإصرار على الأحذية الكوتشى البيضاء مع هذه الجلاليب الطويلة السوداء؟

وذات مرة، وبينما تقف على الرصيف انتظارًا لأن تتلون إشارة المرور باللون الأخضر لتعبر الطريق، كانت تقف على الرصيف المقابل ثلاث سيدات مغلفات بالسواد من أعلى الرأس وحتى الأقدام. فقط كانت تطل الأحذية الكوتشى البيضاء أسفل كل هذا السواد.

للحظات شعرت وكأنها ترى النساء وقد تحولن إلى فيلة ضخمة سوداء بأحذية بيضاء.. ارتعبت وهى تتذكر حسام وطلبه بأن تلبس النقاب وتصير كهؤلاء الفيلة السوداء التى تنتعل الأحذية البيضاء.

... وبعد «السبع دوخات» لم تحصل على الطلاق، لكن بصدور قانون الخلع أقامت دعوى خلع وصارت فى النهاية كائنًا حرًا.

وكان قرارها الأول بعد الحرية مواصلة دراستها فى فن الرقص.

أنهيت «فيلة سوداء بأحذية بيضاء» لكن تركتنى سلوى بكر مع أسئلة كثيرة عن حسام والذى جرى له.. فلم تضع إطارًا يمكن من خلاله فهم حالة التحول هذه.

فهل أوصلته «صدمة البكارة» لما وصل إليه؟.. هل غيّرت هذه العقدة حياته حقًا؟

أما أنه كان منافقًا من البداية.. حمل أفكار اليسار وشعاراته عندما كانت مجزية وتركها أمام أول عتبة حين صارت حملًا ثقيلًا؟

أقلبت جماعة دينية، من التى انتشرت وقتها، أفكاره مثلًا؟.. مع أن سلوى لم تتطرق طوال روايتها لهذا الشأن أبدًا.. فلا ذكر لجماعة أو شيخ أو داعية. ما يوحى بأن هذا «الانحراف» كان قرارًا شخصيًا.

العيب فى حسام كشخص؟ أم أوصلته المنظومة، أقصد منظومة السادات، لأن يصبح أحد «القطط السمان»؟

لكن كيف يكون ابنًا لهذا العصر وأحد «قططه» وهو كاره رئيسه بالأساس؟

أكانت «سلوى» تحاكم عصرًا تقف ضده.. أم تحاكم تيارًا تنتمى إليه وهو اليسار؟.. أم توجه ضربة مزدوجة؟!

ظنى أن هذه محاكمة لليسار أكثر من أى شىء آخر.

ظهور العذراء فى الزيتون ١٩٦٨

مظاهرات الطيران ١٩٦٨

السادات

الأفكار الكبيرة مجموعة أقنعة تسقط مع الأيام ليظهر الوجه الحقيقى

نصر أكتوبر بالنسبة لهم «تمثيلية» بين السادات وأمريكا نهايتها السعيدة لصالح إسرائيل!

اليساريون تحوّلوا إلى «قطط سمان» بـ«ذقن» ورفعوا شعار «المجد لمن قال نعم»

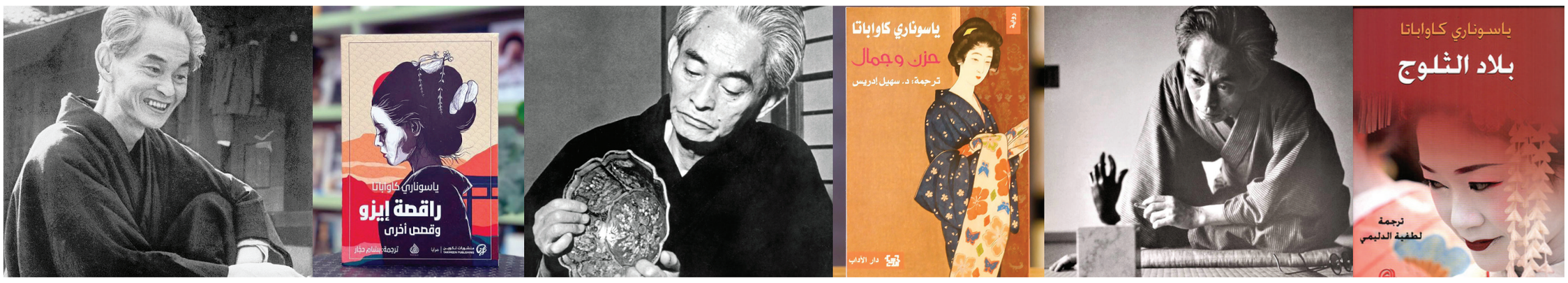

كاواباتا كبير كتاب اليابان.. الباحث عن تجميل الموت

عبدالوهاب داود

أعيان حارتنا:

فى حيثياتها لاختيار أديب اليابان الأكبر ياسونارى كاواباتا للفوز بجائزة الأدب عام 1968، قالت لجنة جائزة «نوبل» إنه تم منحها له «لبراعته السردية التى تعبر بحساسية عظيمة عن جوهر العقل اليابانى»، ولفت «دليل الأدب العالمى الحديث» النظر إلى أن كاواباتا أدرك وجه التشابه بين الانتقال من موضوع إلى آخر من الشعر اليابانى، وفى الأساليب الأوروبية الحديثة، وأنه نجح فى استيعاب هذه الأساليب عبر المزيد من التأمل والتدقيق، واستمد جانبًا كبيرًا من جماليات إبداعه من التيارات التى راجت بعد الحرب العالمية الأولى كالتعبيرية والتكعيبية، طبقًا لدائرة المعارف البريطانية، لكن هناك من يقول عكس ذلك، مؤكدًا أن كاواباتا هو رجل الدعوة إلى التمسك بكل ما هو قديم.. وقال معاصره الروائى اليابانى ذائع الصيت، يوكيو ميشيما، فى كتاب صدر تحت إشرافه عام 1958 بعنوان «ياسونارى كاواباتا»: «إن السيد كاواباتا كما يعرف الجميع، كاتب عظيم له أسلوب متفرد، لكننى أعتقد أنه بصفة نهائية، روائى بلا أسلوب، لأن الأسلوب بالنسبة للروائى يعنى إرادة تفسير العالم واكتشاف مفاتيحه، والروائى ليست لديه أداة غير الأسلوب لترتيب العالم، وفصله، وإخراجه من الفوضى، ومن العماء إلى الإطار الضيق للشكل..
ما هو إذن؟

العمل الفنى، مثل غالبية الأعمال الرائعة لكاواباتا، التى هى الكمال نفسه، تخلت عن إرادة تفسير العالم على مثل هذا النحو، إنه لا يخشى فوضى ولا عماء، ولكن تجرده من الخشية يشبه تجرد خيط حريرى معلق فى الفراغ، إنه النقيض الأقصى نأيًا للإرادة المبدعة للنحاتين اليونانيين القدامى الذين كرسوا أنفسهم لصمود الرخام، إنه المقابل المفارق للخشية التى يحاربها فن النحت اليونانى القديم المتجانس بكل كيانه.»

وفى مقدمة ترجمته لمجموعة «قصص بحجم راحة اليد» لكاواباتا، يقول الباحث والمترجم كامل يوسف حسين: هذه المجموعة فى جوهرها، قالب إبداعى أقرب إلى أن يكون المعادل النثرى لقصائد «الرينجا» اليابانية، تلك القصائد القائمة على الارتباط والامتداد»، فيما يذهب جى مارتن هولمان، الذى ترجم عددًا كبيرًا من أعمال كاواباتا إلى الإنجليزية، إلى القول عن ذات المجموعة: إنها الوحدة الأساسية للتأليف عند كاواباتا، والتى بنيت عليها أعماله الأكثر طولًا واستفاضة، وقد يكون هذا المبدع اليابانى، فى قرارة نفسه، كاتبًا لهذا اللون من الإبداع فى المقام الأول».

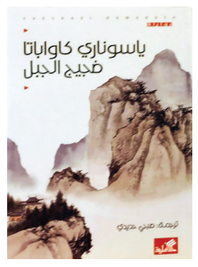

> فى السادس عشر من أبريل 1972 وجد ياسونارى كاواباتا جثة هامدة إثر انتحاره بالغاز

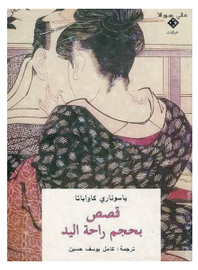

أما كاواباتا نفسه ففى خطابه لقبول جائزة نوبل، جعل عنوان محاضرته هو «اليابان.. الجميلة وأنا»، وتعمد أن يسلط الضوء على الروابط بين كتاباته، وبين ثقافة اليابان التقليدية، بما فيها طقوس تقديم الشاى على وجه الخصوص، كما شدد على أنه عاش يحاول تجميل الموت، والسعى وراء التناسق والتناغم ما بين الإنسان والطبيعة والفراغ، موضحًا أنه ناضل من أجل الجمال طوال عمره، وقال: «هناك ثلاث مجموعات من البشر هى وحدها التى يمكنها توليد الجمال الخالص، وهى على التوالى: الأطفال الصغار، والنسوة الشابات، والرجال المحتضرون.. وهى العملية التى يتعين على الأدب القيام بوظيفة تسجيلها»

اقتبس كاواباتا فى محاضرته من الأدب اليابانى الكلاسيكى، ومن أقوال شخصيات دينية بارزة، بينما كان يناقش الحس الجمالى فى ثقافة اليابان، وإبراز الطبيعة الأساسية لكتاباته فيما يتعلق بتلك الثقافة، وقيل إن كاواباتا كان يفكر فى حفل الشاى وهو يكتب خطابه، فقد عرف الجمهور كيف أن غرفة الشاى المحصورة فى مساحة محددة، يمكن أن تضم فضاءً لا حدود له، وكيف يتم تزيينها ببرعم واحد من زهرة الكاميليا أو الفاوانيا، ووصف آنية الشاى المبللة بما يمنحها توهجًا ناعمًا، وقال: «ينظر ممارسو طقوس تقديم الشاى إلى اللقاءات أثناء احتفالات الشاى على أنها تحدث مرة واحدة ولا تتكرر أبدًا، ويقومون باستعدادات دقيقة لزيادة متعة الحدث.. إنهم يزينون الغرفة بلفائف معلقة، تحوى كتابات مخططة من قبل كهنة الزينة، أو أجزاءً من لفائف صور وقصائد، ويهتمون باختيار أوانى الشاى التى تتناسب مع الموسم والفعالية، وترتيبها على الأرض للضيوف».. وعلى غرار ذلك، زيّن كاواباتا محاضرته بمقتطفات شعرية كلاسيكية متنوعة، فضلًا عن شرح مقدمة عن عالم الشاى، ذلك العالم الذى يرى كثيرون أنه البطل الحقيقى لرواية «سرب طيور بيضاء»، حيث تتواصل حياة الأجيال، وعلاقاتها الغرامية، وأفراحها وأحزانها، عبر أقداح الشاى.

فى الخطاب نفسه يقول كاواباتا: «الثلج، القمر، البراعم.. تلك كلمات تعبر عن الفصول، فيما هى تنداح مفضية أحدها إلى الآخر، وهى تشتمل فى التقاليد اليابانية على الجبال والأنهار والأعشاب والأشجار، وتجليات الطبيعة الوافرة، والمشاعر الإنسانية كذلك».. وربما كان هذا، بحسب كامل يوسف حسين، هو السبب فى اتفاق غالبية النقاد على أن هذه القدرة على تجاوز الفواصل بين المجال الإنسانى، وبين مجالات الطبيعة، هى السمة الفاتنة والمميزة لكتابات كاواباتا، وهى تلك التى تبرز بصفة خاصة فى عدد من أعماله المتألقة، وفى مقدمتها رواياته «بلد الثلوج»، و«ضجيج الجبل»، إلى جانب الكثير من قصص مجموعته «قصص بحجم راحة اليد»، تلك التى تكشف عن عبقرية شعرية أصيلة فى توصيف الإنسان، من خلال التبدلات المراوغة للنباتات، والمخلوقات، ومشاهد الطبيعة الشتوية السابحة فى ألوان الحمرة، كترجمة لتأجج العواطف، واشتعالها.

ويقول حسين: كل من قرأ كاواباتا بحب وتعاطف، لا بد أنه لاحظ أن الرجال والنساء فى أعماله ينتمون إلى حقول مغناطيسية متعارضة، لا يمكنها الالتقاء، فبغض النظر عن قوة اعتقاد الطرفين بالرغبة فى الارتباط فيما بينهما، فإن شيئًا ما، يوشك أن يكون جوهريًا، وينتمى إلى الطبيعة الأساسية لكل منهما، يدفع كل محب منهما بعيدًا عمن يهوى، فيقود إلى استحالة الاستحواذ، أو الرغبة غير الواعية فى أن ينفرد المرء بنفسه، وهو ما يظهر بقوة فى كثير من الشخصيات النسائية التى رسمها أو عبر عنها فى أعماله.. ولهذا تجد أن يوكو فى رواية «بلد الثلوج» تحافظ على حالة انجذابها لشيمامورا، بطل الرواية، لأنه ليس بمقدوره أن يحظى بها أبدًا، وهو ما نراه أيضًا فى رواية «ضجيج الجبل»، إذ تحافظ كيوكو على نقائها، وعلى انجذاب شينجو إليها.. لأنها زوجة ابنه.

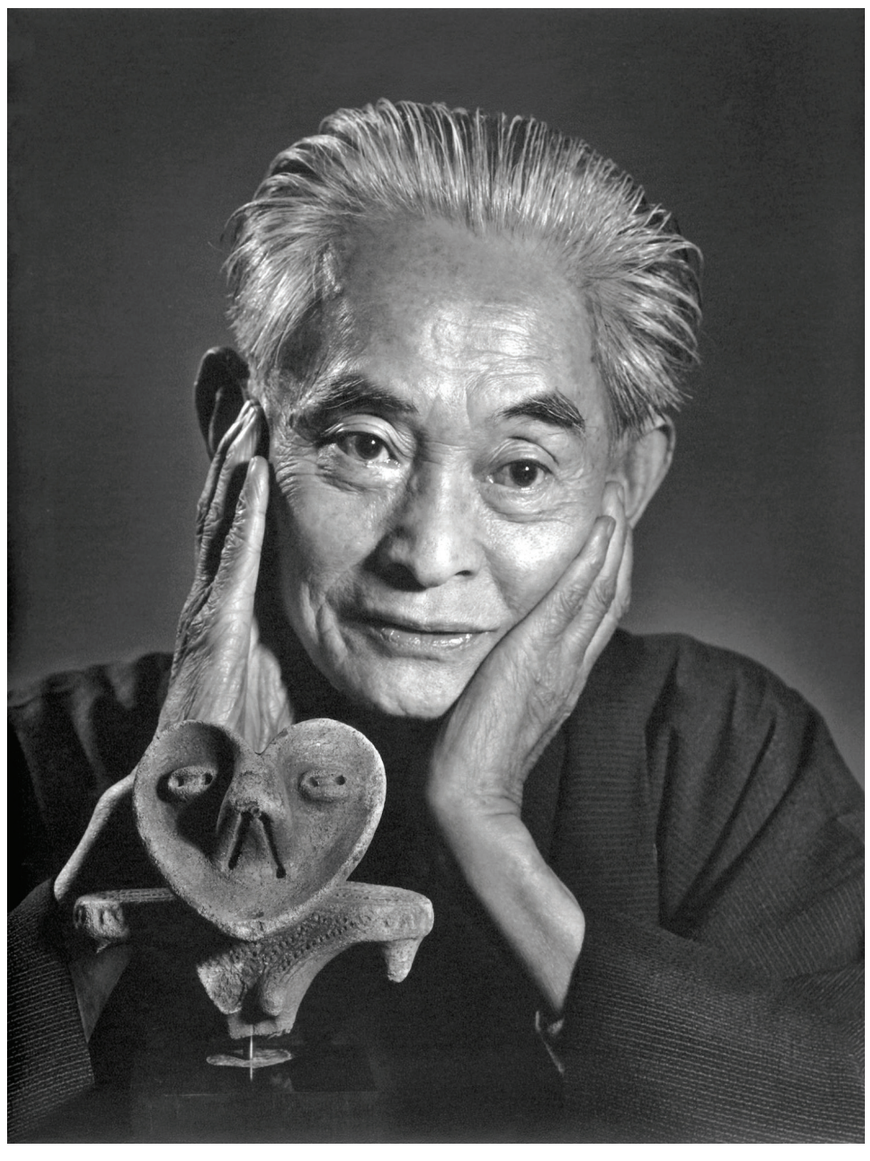

> اقتبس كاواباتا فى محاضرته من الأدب اليابانى الكلاسيكى ومن أقوال شخصيات دينية بارزة

وربما كان التصوير الأقوى لتلك الحالة من استحالة الاستحواذ، والعكوف الوحشى على الذات، هو ما نراه فى رواية «منزل الجميلات النائمات»، عندما يعبر ايجوشو العجوز إلى تلك المنطقة الرمادية السابقة مباشرة على فقدانه لقدرته الجنسية، ويتمكن بنصيحة من صديقه، من القيام بخمس زيارات إلى تلك الدار التى يلتقى فيها بشابات فى مقتبل العمر، فإنه يلتقى بهن، ولكن بعد أن يتم تخديرهن، فيفقدن القدرة على الشعور بما يحدث من حولهن، وهكذا يتم اللقاء ولا يتم، وتصل الرغبة فى الاستحواذ على تلك الشابة الفاتنة إلى حائط المستحيل.

أغلب ظنى أنه من المناسب هنا الإشارة إلى بعض المكونات التى لعبت الدور الأكبر فى مسيرة كاتب اليابان الأكبر، ياسونارى كاواباتا، إذ لعبت حياته طفلًا، الدور الأكثر حضورًا فى أعماله ومسارات حياته، وربما كانت السبب المباشر فى أن يُطلق عليه لقب «سيد المراثى»، و«سيد الجنائز» و«المحب للعزلة»، فالمعروف أن كاواباتا ولد فى أوساكا فى الرابع عشر من يونيو عام ١٨٩٩، وخطف الموت والديه وهو فى عامه الثانى، فانتقل للحياة مع جديه لأبيه، بينما ذهبت أخته الكبرى للحياة مع عمته، وفى عامه السابع توفيت جدته، ثم لحقت بها أخته الكبرى وهو فى العاشرة من عمره، وجده لأبيه وهو فى الخامسة عشرة، ليضطر إلى الانتقال للحياة مع عائلة والدته، قبل أن ينتقل للحياة ببيت داخلى بالقرب من المدرسة الثانوية.. مسيرة محاطة بالفقد المستمر، موت ووحدة وجنائز لا تنتهى فى أقل من خمس عشرة عامًا، تركت أثرا عميقًا فى نفسه، وحالت دون أن يعيش طفولة طبيعية، وكان دائم التحدث عنها وعن وحدته، واصفًا حياته بأنه عاش مثل طفل بلا منزل أو أسرة، فظهرت ملامح كثيرة من جراح طفولته، فى العديد من رواياته وقصصه القصيرة.

نشر قصصه الأولى وهو فى جامعة طوكيو بمجلة «اتجاهات الفكر الجديدة» التى أعاد إصدارها بعد توقف لأكثر من أربع سنوات، وبالإضافة إلى الكتابة الأدبية، عمل كمراسل لصحيفة «ماينيتشى شيمبون»، ورفض المشاركة فى التعبئة العسكرية التى رافقت الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب بوقت قصير قال إنه لن يستطيع أن يكتب إلا المراثى.

وخلال سنواته فى الجامعة بدل اختصاصه إلى الأدب اليابانى، وكتب أطروحة تخرج بعنوان «تاريخ موجز للروايات اليابانية»، وتخرج فى الكلية فى مارس ١٩٢٤، وفى أكتوبر ١٩٢٤ بدأ كاواباتا، ويوكو ميتسو ريتشى مع عدد من الكتاب الشبان فى إصدار صحيفة أدبية جديدة باسم «عصر الأدب»، وكانت بداياته تميل إلى الأسلوب السريالى ومن ثم الانطباعى فى الأدب، ولهذا اعتمد على الغموض وإطلاق خيال القارئ ليصل إلى مغزى كتاباته التى تميزت بشاعرية سوداوية تقترب إلى حد بعيد من التراث الأدبى اليابانى القديم.

فى السادس عشر من أبريل ١٩٧٢، وجد ياسونارى كاواباتا جثة هامدة، إثر انتحاره بالغاز، وكان عمره ٧٢ عامًا، ولعل الانتحار، على رغم أنه يوجد تقليد فى اليابان يبيح الموت الإرادى، أكثر أشكال الموت غرابة وغموضًا وسرية، تمامًا مثل كتاباته، إذ حاول العديد من النظريات تفسير انتحاره، ومن بينها صحته الضعيفة، أو قصة حب محتملة مرفوضة من المجتمع، أو صدمة انتحار تلميذه وصديقه يوكيو ميشيما فى ١٩٧٠، وعلى أى حال فإنه، على العكس من ميشيما، لم يترك رسالة قبل انتحاره، ولم يناقش مسألة الانتحار فى كتاباته.

أخيرًا يذكر أن ثلاثة كتاب يابانيون هم مَن فازوا بجائزة نوبل فى الأدب منذ أن بدأ منحها لأول مرة فى عام ١٩٠١، وهم ياسونارى كاواباتا ياسونارى فى عام ١٩٦٨، وكينزا بورو أوى فى عام ١٩٩٤، وكازو إيشيجورو «البريطانى يابانى الأصول» فى عام ٢٠١٧، وظلت أسماء يوكو ميشيما وهاروكى موراكامى تلاحق الجائزة كأكثر مستحقيها من الكُتاب الأكثر قبولًا وانتشارًا حول العالم، وربما يعد كاواباتا من أكثر أدباء كوكب اليابان حظًا فى الترجمة إلى العربية، إذ ترجمت له عدة أعمال منها «حزن وجمال»، و«البحيرة»، «ضجيج الجبل»، «منزل الجميلات النائمات»، «بلد الثلوج»، «راقصة إيزو»، «سرب طيور بيضاء»، و«قصص بحجم راحة اليد».

مذكرات المشاهير

اعترافات ميركل وليز تراس وسلمان رشدى

ربما تكون «المذكرات» من أكثر أنواع الكتب جاذبية فى العالم، لأنها ترضى اثنتين من رغباتنا الإنسانية: «أن نكون معروفين»، وهى تتعلق برغبة الكاتب ذاته، و«أن نعرف الآخرين»، وهى رغبة القارئ، ولكنها فى نفس الوقت تثير جدلًا واسعًا، لأنها تعكس وجهة نظر المؤلف حول جزء مهم من حياته، وعلى الرغم من أنها من المفترض أن تكون مبنية إلى حد كبير على أحداث ووقائع حقيقية، لكنك فى النهاية تحصل على جانب واحد فقط من القصة.

ولا تتعلق «المذكرات» فقط بوصف الكاتب للأحداث، بل هى توضح كيفية تأثير تلك الأحداث على الكاتب، وتأثيره هو فيها بالمقابل، وهذا هو المكان الذى لا يُتوقع منه أن يكون فيه موضوعيًا، لأنه ببساطة لن يدعو القارئ للدخول والسماح له برؤية الفوضى، وفى نفس الوقت قد يكون لدى شخص آخر تفسير مختلف تمامًا لنفس الأحداث التى سردها الكاتب فى مذكراته.

وتعد «المذكرات» وسيلة المشاهير القوية لسرد قصصهم ومشاركة تجاربهم مع الآخرين، وهناك الكثير من السياسيين والفنانين والأكاديميين والعلماء ورجال الدين الذين طرحوا مذكراتهم على مر العصور، وسواء اتفقنا أو اختلفنا معهم، إلا أنه سيظل من المهم للغاية أن نقرأ جانبهم الخاص ورؤيتهم الذاتية للأحداث التى مروا بها.

وهناك عدة «مذكرات» منتظرة فى العام الجارى لمشاهير السياسة والفن والأدب والمجتمع، تسلط «الدستور» الضوء على أبرزها:

هالة أمين

1 ليز تراس.. 16 أبريل 2024

تحت عنوان «عشر سنوات لإنقاذ الغرب: دروس من المحافظة الوحيدة فى الغرفة» «Ten Years to Save the West: Lessons from the only Conservative in the room»، تنشر ليز تراس وزيرة الخارجية البريطانية السابقة ورئيسة الوزراء الأقصر فى تاريخ بريطانيا مذكراتها فى ١٦ أبريل المقبل.

الكتاب تصدره دار النشر «بايتباك» ويحتوى على ٣٢٠ صفحة، وتسرد فيه «تراس» حياتها المهنية كوزيرة للتجارة ووزيرة للخارجية، وأيضًا أسرار الأيام الـ٤٩ التى قضتها كرئيسة للوزراء، والتى ستجادل بأن السبب الرئيسى لسقوطها كان الافتقار إلى «دعم أفكار المحافظين» والدعم الكبير «لليسار العالمى»، وستشارك بالدروس المستفادة من تجربتها فى الحكومة ووجودها فى ١٠ داونينج ستريت، والاجتماعات الدولية التى حضرتها.

كتاب «عشر سنوات لإنقاذ الغرب»، ملىء بالحكايات الجديرة بالنشر من فترة «تراس» فى الحياة العامة- مثل اجتماعها الأخير الذى لا يُنسى مع الملكة الراحلة إليزابيث الثانية، وتحدياتها مع رؤساء الولايات المتحدة وروسيا والصين دونالد ترامب وفلاديمير بوتين وشى جين بينج كوزيرة للخارجية، وفزعها من الأزمة السياسية وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى.

وتقدم «تراس» فى كتابها أيضًا تحذيرًا حول المخاطر التى تواجه التيار المحافظ فى بريطانيا خلال السنوات المقبلة، حيث تقول إن الكثير من زملائها المحافظين سمحوا لأنفسهم بالوقوع فى قبضة التأثيرات اليسارية التى تحدد الأجندة وتؤطر النقاش فى العديد من المؤسسات البريطانية، من وسائل الإعلام إلى الأوساط الأكاديمية وعالم الشركات.

2 تشارلز سبنسر.. 14 مارس 2024

يتحدث تشارلز سبنسر، شقيق الأميرة الراحلة ديانا، عن «صدمة» إرساله إلى مدرسة داخلية فى سن الثامنة فى مذكراته الجديدة التى تصدر ١٤ مارس المقبل، حيث تم تصنيفها كواحدة من «أفضل الكتب غير الخيالية التى يمكن قراءتها فى عام ٢٠٢٤».

المذكرات التى تحمل عنوان «مدرسة خاصة جدًا» « A Very Private School» من إصدارات دار النشر «ويليام كولينز» وتقع فى ٣٠٤ صفحات، وتقدم وصفًا واضحًا ومباشرًا لثقافة القسوة فى مدرسة «ميدويل هول» فى نورثامبتون التى التحق بها سبنسر فى طفولته، وتوفر رؤى مهمة حول نظام الصعود القديم فى بريطانيا بالاعتماد على ذكريات العديد من معاصريه من التلاميذ، بالإضافة إلى رسائله ومذكراته الخاصة فى ذلك الوقت. وتعكس المذكرات حالة اليأس والتخلى الذى شعر به عندما كان فى الثامنة من عمره، واصفًا بشكل عميق الألم الشديد الناتج عن الحنين إلى منزله وعدم القدرة على الهروب من كل ذلك.

ومن خلال استكشاف التأثير طويل الأمد لتجاربه، يقدم سبنسر حسابًا صريحًا لماضيه واستعادة طفولته، وكيف قضى ستة أشهر من الليالى بلا نوم قبل أن يتوجه إلى قاعة ميدويل، حيث كان التلاميذ الذين حكم عليهم بأنهم أغبياء أو كسالى يتعرضون للضرب بشكل مزعج بعصا على أردافهم العارية. وقد أمضى سبنسر خمس سنوات فى تلك المدرسة، والآن بعد مرور خمسة وأربعين عامًا، أراد أن يلقى نظرة من خلال مذكراته على ما كان يحدث حقًا فى هذا المكان السرى الغريب على حد قوله ويقول سبنسر إن الكتاب عبارة عن مزيج من الوقائع والمذكرات التى تهدف إلى أن تكون جزءًا من التاريخ الحديث وسجلًا لوقت ليس ببعيد، عندما كانت الأمور مختلفة تمامًا بالنسبة للأطفال فى هذه المؤسسات الإنجليزية الأكثر تميزًا.

3 سلمان رشدى.. 16 أبريل 2024

«السكين: تأملات بعد محاولة قتل» «Knife: Meditations After an Attempted Murder»، مذكرات للكاتب المشهور عالميًا والحائز على جائزة البوكر سلمان رشدى، يروى فيها آلامه ونجاته من محاولة اغتيال بعد ثلاثين عامًا من الفتوى التى صدرت ضده.

تصدر المذكرات فى ١٦ أبريل المقبل لدار النشر «بنجوين راندوم هاوس» فى ٢٢٤ صفحة، ويتحدث فيها سلمان رشدى للمرة الأولى، وبتفاصيل لا تُنسى، عن الأحداث المؤلمة التى وقعت فى ١٢ أغسطس ٢٠٢٢.

ويرى أنه من خلال مذكراته يجيب عن العنف بالفن، ويذكر القارئ بقوة الكلمات لفهم ما لا يمكن تصوره، وإنها ضرورية فى هذا الوقت بالذات. ويسرد رشدى فى مذكراته تجربته فى البقاء على قيد الحياة والتعافى من محاولة اغتيال وقعت عام ٢٠٢٢، حيث تعرض للطعن مرارًا وتكرارًا فى الرقبة والبطن على خشبة المسرح فى معهد شوتوكوا فى ولاية نيويورك، حيث جاء لإلقاء محاضرة، ودفع المهاجم هادى مطر بأنه «غير مذنب» فى تهم الاعتداء ومحاولة القتل. وأدى الهجوم إلى إصابة رشدى بالعمى فى إحدى عينيه، وفقد الإحساس فى بعض أطراف أصابعه. فى مذكراته المرتقبة يتحدث علنًا لأول مرة، وبتفاصيل لا تُنسى، عن الأحداث المؤلمة التى وقعت فى ١٢ أغسطس ٢٠٢٢، وتعد تأملًا قويًا وشخصيًا عميقًا ومُعززًا فى النهاية للحياة والخسارة والحب وقوة الفن والعثور على الأشياء، والقوة للاستمرار والوقوف مرة أخرى.

وقبل هذا الطعن، تعرض رشدى لتهديدات بالقتل بتهمة الكفر فى روايته الرابعة «آيات شيطانية». وبعد أن أصدر المرشد الأعلى لإيران روح الله الخمينى آنذاك فتوى تدعو إلى قتل رشدى فى عام ١٩٨٩، أمضى رشدى سنوات مختبئًا، وعاش فى عزلة تحت حراسة أمنية على مدار الساعة.

4 أنجيلا ميركل.. 12 سبتمبر 2024

رغم أنه لا يوجد عنوان أو غلاف للكتاب حتى الآن، فإن المستشارة الألمانية السابقة أنجيلا ميركل ستصدر مذكراتها فى ١٢ سبتمبر المقبل، وفقًا لما حددته دار النشر الكبرى «بان ماكميلان».

الكتاب الذى أكدت دار النشر أنه يقع فى حوالى ٣٥٢ صفحة، يكشف عن كواليس ١٦ عامًا قضتها أنجيلا ميركل فى حكم ألمانيا، وكيف كانت واحدة من أكثر السياسيين تأثيرًا فى العالم الحديث، وتشارك ميركل فى كتابة المذكرات بيت باومان مساعدتها ومديرة مكتبها التى عملت معها منذ فترة طويلة.

ربما تكون أنجيلا ميركل هى الشخصية التى ينتظرها العالم أكثر من غيرها لسماع شهادتها حول الأحداث الكبرى التى مرت بها خلال حياتها المهنية، سواء الأزمات الاقتصادية أو السياسية التى مرت بها أوروبا والغرب من جهة، والشرق الأوسط من جهة أخرى، ورؤية ميركل لتلك الأزمات وقتها. ولعل ما يجعل مذكرات ميركل بعد تركها السلطة جديرة بالاهتمام أنها ستقدم تفسيرات وإجابات لأكثر اللحظات والتحديات صعوبة خلال العقدين الماضيين.

كتاب ميركل سيقدم نظرة حصرية وشخصية عن الحياة السياسية وعمل المستشارة الألمانية السابقة، فقد عملت ميركل كعالمة كيمياء وفيزياء قبل انتخابها لعضوية البرلمان الألمانى فى عام ١٩٩٠، وشغلت مجموعة متنوعة من المناصب الحكومية على مدى السنوات التالية، وفى عام ٢٠٠٥ أصبحت أول امرأة تصل لمنصب مستشارة ألمانيا، ورئيسة حكومة البلاد، وخدمت فى هذا المنصب لمدة ١٦ عامًا، وقررت عدم الترشح لإعادة انتخابها فى عام ٢٠٢١.

وستقدم ميركل فى مذكراتها الجديدة تفسيرات لقراراتها ومواقفها المركزية لعملها السياسى بحيث تجعلها مفهومة لشعبها وشعوب العالم التى طالتهم تلك القرارات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، حيث قادت ميركل ألمانيا بأمان عبر سلسلة من الأزمات، بما فى ذلك الأزمة المالية العالمية وأزمة المهاجرين وجائحة فيروس كورونا.

ميركل حصلت على لقب «أقوى امرأة فى العالم» من قبل مجلة فوربس لمدة ١٠ سنوات على التوالى، وقد تم تصويرها كمدافع قوى عن القيم الليبرالية فى الغرب، وأعجب بها الملايين من النساء لاختراقها السقف الزجاجى لهيمنة الذكور فى السياسة، وتمت الإشادة بها باعتبارها نموذجًا مثيرًا للإعجاب للفتيات.

ومع ذلك، لم تسلم من الانتقادات، لعل أبرزها اتهامها باسترضاء الرئيس الروسى فلاديمير بوتين والتعامل معه بشكل وثيق، وقد رفضت هذا النقد قائلة إنها حاولت دائمًا العمل على تجنب الكارثة.

ع الرف

صبرى موسى ساحر الكتابة

صدر حديثًا عن دار «ريشة» للنشر والتوزيع، كتاب بعنوان: «صبرى موسى ساحر الكتابة»، للكاتب أيمن الحكيم، الذى من المقرر طرحه فى معرض القاهرة الدولى للكتاب بدورته الـ٥٥. ويتحدث الكتاب عن مسيرة وسيرة صبرى موسى، وما تركه من إبداع أدبى وإنسانى يستعصى على النسيان، فقد برع فى الرواية والقصة والسينما وفن السيناريو، كما كان رائدًا لـ«أدب الصحراء»، واستطاع باكتشافاته أن يغير خريطة مصر.

جريمة السابعة مساءً

صدر حديثًا للكاتب رضا سليمان كتاب بعنوان: «جريمة السابعة مساء»، يتحدث عن أن كل فرد هو بطل روايته، ينطلق بين تفاصيل الحياة، ولا يشعر بما قد يفعله، ومن المقرر طرحه فى معرض الكتاب ٢٠٢٤.

صرخة أخيرة

مجموعة قصصية للكاتبة منى الجبرينى، تدور أحداثها حول النفس البشرية، والصراع النفسى بين الميل إلى الخير أو الشر، من خلال تصرفات الشخصيات أثناء مواقف ضاغطة نفسيًا، فتنتج عنها ردود أفعال غير سوية فى العديد من القصص، بينما يتخذ البعض من التجارب السلبية بارقة أمل إلى النور.

كلام الكتب

المؤمن لا يكذب، ولا ينبغى له أن يكذب، لأن الطبيعة الإنسانية ليس فيها من القوى الحتمية ما يحمل على الكذب، حتى غريزة الأنا نفسها والمحافظة على الذات، لأنه لا شىء يزكى «الأنا» ويحافظ على الذات مثل الثقة بها واحترامها، ولا شىء بالتالى يمنحنا الثقة والاحترام مثل الصدق.

إذا جلسنا بين يدى «لاوتسى» العظيم سمعناه يقول: عندما يسود الحق تسخر الخيل لأعمال المزرعة، وعندما يسود الباطل تسخر الخيل لخوض المعركة، ما أروعه من فكر، ولو أن الحق يسود اليوم لسخرت ميزانيات الحروب المبهظة لأعمال المزرعة، مزرعة الحياة البشرية الوارفة السعيدة، أما والباطل يسود، فإن عرق الكادحين وميزانيات الدول تسخر للمعركة وللتدمير وللفناء.

الحياة فى حركتها الداهمة، وضجتها الحافلة هى البوتقة التى تصهر الناس الطيبين عند كنفشيوس، وفى هذا يقول حكمة تناهت فى الجزالة والقوة: الناسك الذى يهرب إلى الصومعة ويعتزل الناس لا يأتى أمرًا مذكورًا، أما ناسك المدينة فهو الناسك حقًا.

من كتاب «أفكار فى القمة» خالد محمد خالد

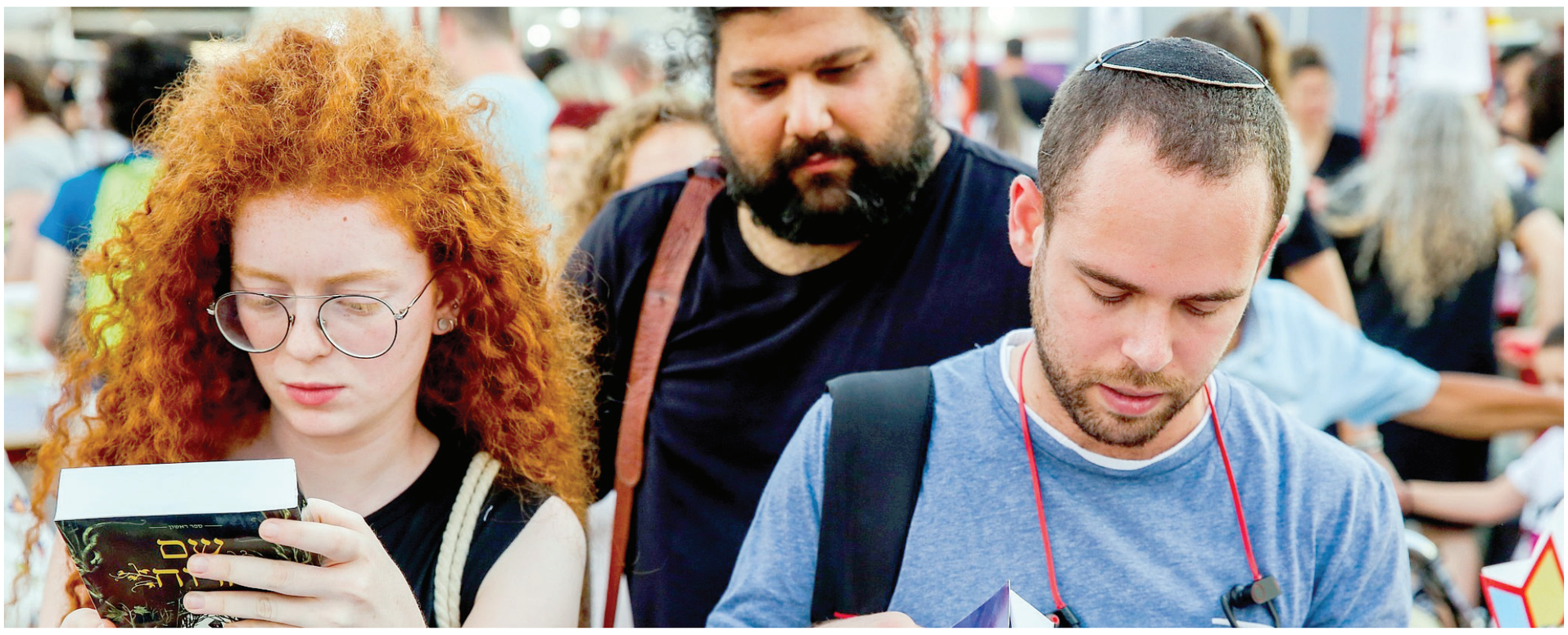

يبحث القراء فى إسرائيل عن أفضل ترشيحات الكتب التى يمكنهم ضمها إلى مكتباتهم، سواء لتحديثها أو لاقتناء الإصدارات الجديدة والمهمة التى تلبى شغفهم تجاه القراءة.
وخلال شهر يناير الجارى، ظهرت عدة ترشيحات لكتب مر أقل من شهر على إصدارها، وتنوعت ما بين الرواية والقصة الواقعية.
وتصدر قائمة ترشيحات الكتب المحدثة كتابان، أحدهما يمكن إدراجه فى بند القصة الواقعية، لطيار إسرائيلى يتحدث عن الحروب التى خاضها، ومنها حرب أكتوبر 1973، وكيف تطورت أساليب القوات الجوية من وجهة نظره.
والثانى يتحدث عن رواية للتحديات الحياتية لا سيما التى يقابلها الأصدقاء، والذى رأى النقاد أنه يقدم صورة واقعية عن الأمر بالفعل.

سارة الشلقانى

أيام الحرب فى إسرائيل.. زيارة لمكتبات تل أبيب

1 بين السماء والأرض: قصة طيار مقاتل

يحكى العميد احتياط «إسرائيل بيهاريف» قصته كطيار مقاتل، والأحداث التى عاصرها خلال الحروب المختلفة، والتى منها حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣.
ويكشف بيهاريف للقارئ، خلال كتابه، عن سلوكه فى المواقف التى وصفها بالصعبة، وشخصيته، ومخاوفه، وأفكاره وتصرفاته، التى عادة ما تكون سريعة للغاية.
وبين صفحات الكتاب يكتشف القارئ أن العميد احتياط لديه طريقة غير عادية فى التفكير كخلفية لقراراته، صغيرها وكبيرها، واختيار لطرق غير مألوفة ومختلفة وغير تقليدية، والتى كانت تتناقض تمامًا مع ما هو مقبول.
ويسعى الكاتب إلى تقديم منظور مختلف عن القوات الجوية الإسرائيلية على مدى عقد من الزمن، تحديدًا بدءًا من منتصف الستينيات، وذلك من المنظور الشخصى للطيار المقاتل، ومنذ أيامه الأولى بعد الدورة التجريبية حتى القيادة الفعلية لسرب مقاتل فى حرب ٦ أكتوبر ٧٣.
وبحسب وصف الكتاب، فإن جميع القصص والأحداث المدونة فيه كُتبت بصيغة المتكلم من مصدر مباشر، مما يجعله أقرب إلى شهادة تُروى وليست تجربة شخصية للكاتب.
ويرصد الكتاب عدة مواقف وأحداث مختلفة كل منها على حدة، ولكن الخيط الذى يربط بينها ينكشف بسرعة، وهو «إسرائيل بيهاريف» نفسه.
ويتحدث بيهاريف عن الأحداث التى تميز سلوكه إلى جانب عناصر شخصيته وأفكاره، ومن الأشياء التى تهمه بشكل خاص هى طريقته فى اتخاذ القرارات الخاصة بالتصرفات، والتى كان بعضها سريعًا جدًا. وصدر الكتاب فى ديسمبر الماضى أيضًا، ويقع فى ٤١٤ صفحة.
ولد «إسرائيل بيهاريف» فى أكتوبر ١٩٤٥، وهو الآن رجل أعمال إسرائيلى وذو صلة بمجال التكنولوجيا الفائقة.
وتطوع فى الجيش الإسرائيلى عام ١٩٦٣، لدورة طيران، وعمل مدرسًا فى مدرسة الطيران، وقام بأول طلعة عملياتية له عام ١٩٦٦، كما شارك فى حروب الاستنزاف وأكتوبر ١٩٧٣.
وكذلك، شغل بيهاريف منصب رئيس قسم المخابرات فى القوات الجوية بين عامى «١٩٨٨-١٩٩٠»، وفى آخر منصب له فى الجيش الإسرائيلى، شغل منصب الملحق العسكرى فى النمسا وسويسرا، وأنهى بيهاريف خدمته الدائمة فى عام ١٩٩٣.
وبعد ذلك، استمر فى الخدمة طوعًا كمدرب طيران فى الاحتياط حتى سن الستين.

بيهاريف

2 «طريق اليرعات المضيئة»

صدر الكتاب فى ديسمبر ٢٠٢٣، للكاتبة الأمريكية كريستين حنا، وترجمته إحدى دور النشر الإسرائيلية إلى اللغة العبرية، لطرحه فى الأسواق.
وتتحدث رواية «طريق اليرعات المضيئة» عن الحب والخسارة وسحر الصداقة، ويقع فى ٤٣٠ صفحة.
وتحكى الرواية عن فتاة تدعى «كيت ملاركى» وصديقتها «تولى هارت»، الفتاة الأكثر إثارة فى العالم، ظاهريًا، هما مختلفتان تمامًا عن بعضهما البعض، ولكن فى وقت قصير، عقدت كيت وتولى اتفاقًا ليكونا صديقتين حميمتين إلى الأبد.
ويسرد الكتاب كيف تخلت والدة «كيت» عنها عندما كانت طفلة، مما جعلها تحاول إثبات قيمتها للعالم، وتتوق إلى أن تكون محبوبة دون قيد أو شرط، بينما تحلم «تولى» بأن تكون صحفية مشهورة.
وبعد التخرج من الكلية معًا، تولى تقنع كيت بالعمل معها فى محطة تليفزيون محلية، فى حين أن كيت تريد فقط أن تقع فى الحب، وتتزوج وتكون أسرة، لكن الطريق إلى تحقيق هذا الحلم أطول مما توقعت، كما أنه يثير تساؤلات حول علاقتها بتولى.
ولمدة ثلاثين عامًا، تتعلم تولى وكيت التغلب على العواصف التى ابتليت بها صداقتهما، مثل الغيرة والإهانات والغضب، ويدعمان بعضهم البعض ويتعلمان كيف يستطيعان أن يكونا سعداء حتى فى اللحظات الصعبة.
ومع تطور الأحداث فى الرواية، تظن الفتاتان أنهما نجحوا فى التغلب على كل شىء، ولكن واقعة خيانة واحدة تضعهما أمام اختبار ليس أصعب منه.
وتنقل الرواية صورة واقعية ومؤثرة لصداقة طويلة ومعقدة، كما رأت بعض التقييمات أنها رواية رائعة تسرد حياة الأصدقاء الذين تمكنت صداقاتهم من الصمود فى وجه الاضطرابات والتعقيدات بمختلف أنواعها.
وكريستين حنا هى مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا «The Nightingale» و«The Great Felt» و«The Winter Garden» و«The Four Winds»، والتى تم نشرها باللغة العبرية.

> تحكى الرواية عن فتاة تدعى «كيت ملاركى» وصديقتها «تولى هارت»

حنا

أسرار وسط البلد على مائدة «سفرجى الملوك»

فى سنوات بعيدة كتب محمد جاد: «أنا النملة التى تحاربونها لكنى أعدكم أن أظهر قريبًا بملابس نجيب الريحانى الجديدة».. وقد ظهر تباعًا بملابس تؤكد أنه مبدع متنوع؛ شاعر وسارد وممثل، يفعل ما يحب على مهل دون تصارع؛ لا يزاحم على نجومية، بل ربما لم يهتم بذلك، فكل ما يعنيه هو النجاة من العدمية التى تضرب كل شىء، حتى إنه قال مبكرًا: «وكأنى ممثل بانتومايم.. مشيت مكانى.. لاقيتنى باغطس ف بلاد غريبة».. ومحمد جاد الذى عرفته شاعرًا فى ديوان «من قلبى» مضروب فى خلاط الآداب والفنون، ومفتون بالسير الشعبية والملاحم، وكيف لا يكون كذلك وهو الذى تربت ذائقته فى بيت محمود إسماعيل جاد، أحد أبرز رواد الدراما الإذاعية والباحث فى الفلكلور، وصاحب نحو 250 عملًا إذاعيًا ما بين مسلسل وخماسية وسباعية وسهرة، فضلًا عما جمعه وقدمه من ملاحم شعبية بارزة منها أدهم الشرقاوى وعابد الملاح وأيوب المصرى.

أحمد المريخى

تأثر محمد جاد بالأدب الشعبى واضح فى أعماله، حتى إن الرواة فيها يشبهون الراوى الشعبى فى تصنيفه للناس والطبقات الاجتماعية؛ فنجده يربط فى أعماله بين سلوكيات الثراء والبذخ ويتخذها معيارًا للحالة القيمية للشخوص. وأتذكر من قصيدة له بعنوان «معشوق الحُكام الجدد يدعك فانوسه»، قوله: «سايب فى دولابى البدلة اللى بتلمع/ جنب الفستان اللى بيلمع/ وصورتنا بالأبيض وأسود/ يا ترى.. لسه دولابى موجود/ ولا الحيطة مكانه بتلمع؟»؛ وربما يتناص بناء أعمال جاد الروائية «الورشة، والواحة، وسفرجى الملوك» فى جانب منه مع المقطع السابق؛ حيث المفارقة وثنائيات «الأصل والصورة، الضوء والظل، الطيب والشرير، الأصيل والزائف»، وقد جسّد فى رواية «الورشة» فكرة مدهشة؛ حيث يقف بطل الرواية «سالم» على عالمه الخاص من خلال الصور المعلقة على جدران شقته، ليبلور من جانب صورة «العائلة/ الذاكرة»، ويكشف من جانب آخر عن عالم ينشده الخيال الشعبى رغم أنه متحقق فى الواقع الراهن؛ حيث الأعيب التحايل على المعايش حتى لو بالاحتيال أو السرقة التى يمارسها فريق الورشة فى داخل البلد وخارجها أيضًا.
وإذا ما تتبعنا عالم محمد جاد السردى نجده يدور فى أجواء الأحياء الشعبية وحواريها، ويهتم أكثر بالجانب الاجتماعى وما يقع من ظلم على البسطاء والفقراء، وفى روايته الأحدث «سفرجى الملوك» لا يبتعد كثيرًا عن الحى الشعبى.. فقط يتحرك به إلى وسط البلد؛ فنتتبع معه تفاصيل تعكس جوف مدينة جائرة من خلال حكاية «بوفيجى» شاب قادم من سرادقات العزاء والأفراح ومناسبات الغلابة فى الحى الشعبى، وطامح للعمل «سفرجى» فى مكان لائق يوفر له حياة كريمة تكفل له رعاية شقيقته «قلوب» المصابة بواحدة من متلازمات التوحد «منغولية»، وشقيقته الأخرى «مجيدة» التى بدورها تسيطر على رغباتها وتؤجل طموحها فى حياة خاصة لأجل مشاركته فى رعاية «قلوب».
يسعى «مصباح» للقيام بمسئولياته والتزاماته الاجتماعية، لكن العائد من عمله فى السرادقات لا يفى بالمتطلبات دون مساعدة آخرين؛ «يمنون عليه بمساعدات تصبره على بلاويه»، ما يدفع «عم راضى» صاحب مكتب توريد السفرجية للفراشة، لمساعدته فى التحرك من «العطفة» ومناسباتها الفقيرة إلى عالم السفرجية المربح فى قلب القاهرة، ومن ثم يلتحق «مصباح» بمقهى، ومنها إلى بار، ثم فندق، ويكتسب مهارات جديدة تتناسب مع معايير المدينة وقيمها؛ إذ يضع مخططًا مسبقًا للحصول على أكبر كم من البقشيش كل ليلة، ولاحقًا يُلقب نفسه بالسفرجى الأفعى، ويقول لنفسه: «هذا ليس قليلًا على واحد مثلى يحوّل نفسه إلى مخزن للأرواح الهزيلة المنكسرة التى استسلمت لهزائمها، والتى لا تقوى على مواجهة الحياة إلا بالخمر، نعم، البار ما هو إلا مخزن تختبئ تحت أضوائه الخافتة، مجموعة من البشر الباحثين عن ذواتهم، أما السفرجية المهرة أمثالى، فيحاولون وضع هؤلاء المساكين على هذه الماكينة التى تدور، فيجيئون وينفقون أموالهم ويعودون فى اليوم التالى محملين بكم آخر من الأموال، فينفقونها ويعودون، فى دورة من الحيرة والذهول لا تتوقف».
وشيئًا فشيئًا، يكتشف «مصباح» فى حراكه المهنى أنه يعيش حياة مستنسخة وموثقة أيضًا؛ تدل عليها تلك الأجندة السوداء التى تركها سفرجى الملوك لزوجته، وتحوى مذكراته مع مهنته. الأجندة التى وقعت فى يد «مصباح» تستشرف تاريخه المنتظر؛ ومن ثم يعيش صراعا وجوديًا، وعليه أن يحدد مصيره القادم: هل يعود للعمل فى السرادقات مرة أخرى ويدرب النفس على أن الرضا بالحال فضيلة، أم يعيش ذليلًا مكسورا ويوافق على رغبات الملوك؟، لقد قالها له «عم سرى» أقدم سفرجية الأفراح: «يا مصباح يا ابنى، عشان تكمل فى الشغلانة دى لازم تسيب كرامتك فى الدولاب تحت هدومك»، ويقول مصباح: «فى هذا المسرح المظلم يوجد أباطرة فاقوا الملوك الذين قرأت عنهم فى الأجندة السوداء، أباطرة وضعوا قوانينهم الخاصة، ويبدو أن الملوك الطواغيت فى كل مكان، مع اختلاف ألوانهم وملابسهم وطعامهم ورغباتهم». ولم يتحمل سخافات أصحاب الياقات البيضاء وسخريتهم التى يسمعها كل ليلة: «ما هو ما ينفعش يبقى فيه باشوات من غير كلاب يخدموهم وقطط تسليهم، مش كده ولا إيه يا باشا».
إنها رواية ملتوتة؛ بمعنى أنها مسبوكة بالأسى والسخرية والضحكات أيضًا، ورغم سكونها الظاهر المتمثل فى التناول والبناء الكلاسيكى، إلا أنها تعكس عالمًا مستترًا ديناميكيا، ففى مستوى موازٍ تكشف الفساد الغاطس فى مجتمع السياسة والتجارة والمحاسبات، وسلوكيات الأثرياء والطامحين إلى السلطة وتابعيهم. ولأن لكل مكان قوانينه وقوانين رواده وقواعد سفرجيته، فقد حفلت الرواية بحمولة معرفية نوعية، حيث الأسرار الدقيقة لعالم الفراشة من السرادقات إلى الفنادق، والتراتبية والرموز فى عالم السفرجية، وقواعد تجهيز الموائد للولائم؛ بداية من أنواع الشوك والسكاكين والملاعق والأطباق والكئوس، ومرورًا بالأطعمة، والمشروبات، وصولًا إلى الضيوف أو المعازيم؛ حيث تكشف الأزياء والعطور أذواق الحضور ومستوياتهم.
وقد وقف الروائى محمد جاد فى «سفرجى الملوك» على كثير من تلك العناصر الهشة التى تبدو للوهلة الأولى هامشية، بينما هى فى واقع الأمر عناصر مركزية نستطيع من خلالها قراءة حراك المجتمع وقضاياه فى العصر الذى تتناول أحداثه الرواية.

> يكتشف «مصباح» فى حراكه المهنى أنه يعيش حياة مستنسخة وموثقة أيضًا تدل عليها تلك الأجندة السوداء التى تركها سفرجى الملوك لزوجته

جاد

كلام الكتب

مهمة التجربة الدينية عند محمد إقبال ليست مقصورة على تزويدنا بالمعرفة والإدراك، بل قبل ذلك تزويدنا بمواقف ثابتة مع الحق والفضيلة، يقول إقبال: ليس منتهى غاية الذات أن ترى شيئًا، بل أن تصير شيئًا، والجهد الذى تبذله لكى تصير شيئًا هو الذى يكشف لها فرصتها الأخيرة لشحذ موضوعيتها وبلوغ أعماق أبعد فى ذاتيتها.

لا يقصر فرويد الميول المكبوتة على الجنس كما توهم كثيرون، وإنما يعطى الجنس المكان الأول، وهذا أقرب إلى الحق، سيما حين نذكر أن الكبت ثمرة التحريم والمنع والحظر، وأنه ليس ثمة من غرائز البشر نالت المنع والحظر والتحريم والمقاومة، مثل ما نالت غريزة الجنس والميول الجنسية.

يكفى تولستوى موقفه الفكرى الباسل، حتى وإن ضل بعده الطريق، فكيف وهو يخبرنا أنه لم يضل ولم يحتوشه التيه، اسمعوه يقول: إن حياة العالم تسير وفقًا لإرادة ما، أعنى أن إرادة ما تحقق غرضها بحياة العالم بأسره وبحياتنا البشرية، ولكى يرجو المرء إدراك كنه تلك الإرادة عليه أولًا أن يطيعها، لقد صاح من داخلى صوت يقول: عن أى شىء تبحث بعد هذا، هذا هو الذى لا يستطيع المرء أن يعيش بدونه. إن معرفة الله والحياة شىء واحد، أو قل إن الله هو الحياة.

أصواتهن

مشاهد من «الأدب النسائى» فى إيران

رغم محاولات إيران للانفتاح على الآخر منذ عدة سنوات، والتجديد الملحوظ فى الخطابين السياسى والاجتماعى، سواء فى الداخل أو الخارج، لكن تظل المرأة فى المجتمع الإيرانى هى الانعكاس الحقيقى لوجه الدولة الإيرانية على مر العقود السابقة، منذ بداية الثورة الإيرانية وإلى الآن. فهى المرآة التى تعكس تطور مساحات الحرية الفكرية والثقافية فى الداخل الإيرانى.

فرغم محاولات تمكين المرأة فى العديد من المجالات السياسية والثقافية، لكن ما زال القهر الاجتماعى الذى تنامى تدريجيًا خلال عقود ما بعد الثورة يلقى بظلاله على تفاصيل الحياة النسوية فى إيران، وينعكس ذلك بوضوح على الأدب النسوى، حيث تعانى الأديبات الإيرانيات من سوء الأحوال الثقافية، والسيطرة الذكورية على سوق النشر الداخلية، وتعنت الرقابة حينما يتعلق الأمر بالأدب النسوى، واللجوء فى أحيان كثيرة إلى الفضاء الافتراضى، أو النشر خارج الحدود الإيرانية، كما صرحت بذلك «شهلا لهيجى»، إحدى أهم الكاتبات والناشرات الإيرانيات.

وسنحاول أن نرصد هنا أهم الكتابات النسائية التى لاقت رواجًا خاصًا فى الداخل الإيرانى خلال السنوات السابقة، والتى تُرجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، رغم محاولات النظام الإيرانى والحياة الثقافية المنغلقة نسبيًا أن تضع حدودًا حول انتشار تلك الكتابات أو تأثيرها على الحياة الاجتماعية:

د.أحمد لاشين

1 «تعلمت من الشيطان فاحترقت»

رواية «تعلمت من الشيطان فاحترقت»، ترصد تمرد الأقليات فى إيران، للكاتبة « فرخنده آقايى» ، وهى من الروائيات الإيرانيات المخضرمات، فعاصرت ما قبل الثورة وما بعدها، ولها شهرة جيدة فى الأوساط الأدبية الإيرانية.

وتنسحب كتابتها على معاناة المرأة الإيرانية خاصة الطبقة المتوسطة، ومحاولتها إثبات وجودها فى ظرف تاريخى معقد فى إيران. تتناول رواياتها معاناة فتاة «أرمينية» مسيحية، تقرر الزواج من رجل مسلم، فيقرر أهلها طردها، وبعد زواجها، يتخلى عنها زوجها المسلم، ويتركها للحياة وحيدة مع طفلتها، وتبدأ رحلتها المعقدة والمتداخلة مع مختلف أشكال سيطرة المجتمع الذكورى والدينى، حتى تتمكن من إثبات جدارتها بالحياة، من خلال عملها كعاملة فى مكتبة عامة، حيث لم تجد بديلًا للانتحار سوى التوحد مع الكتب والقراءة. الرواية ترصد صراع الأقليات فى المجتمع الإيرانى، وموقفه المعادى لمجتمع الأغلبية، وكيفية التعامل مع المرأة المسيحية الأرمينية داخل سياق اجتماعى مغلق، لا يعترف إلا بنفوذ الرجل، فضلًا عن كونه مسلمًا. ورغم الهجوم على الرواية فى الأوساط الثقافية المحافظة، فإنها نالت شهرة لا يستهان بها، وأصبحت نموذجًا لأدب المعاناة النسائية فى إيران.

2 «نصيبى»

ترصد رواية «نصيبى» قمع الحب فى ظل مجتمع متشدد، وقد ترجمت إلى ٢٧ لغة خلال السنوات السابقة، ونالت العديد من الجوائز الدولية، رغم محدودية نشرها فى إيران.

كاتبة الرواية هى «پرينوش صنيعى»، وهى من الكاتبات الإيرانيات اللائى لهن حضور ثقافى مميز، خاصة خارج إيران، ونتيجة لدراستها علم النفس والاجتماع، وعملها فى مجال التربية والتعليم، أتت روايتها لتتناول قصة واقعية حدثت بالفعل، عن فتاة من أسرة متوسطة الحال، ولكن لها أفكار دينية متزمتة للغاية، تقع الفتاة فى غرام أحد شباب الحى الذى يعمل فى صيدلية بجوار مدرستها، وحينما علم أخوها الأصغر بالقصة، يخبر والديها، اللذين يقرران تزويجها من شخص أكبر منها لا تعرفه، وتترك تعليمها رغم تفوقها، ورغم محاولتها التكيف مع ظروفها الجديدة لكنها تجد معاملة سيئة جدًا من زوجها الذى كان ينتمى لنفس الفكر الدينى، وتنتهى الرواية بحالة إحباط شديد للبطلة، تنتهى بمحاولة انتحار بائسة لم تنجح. الرواية هوجمت وقت صدورها داخل الأوساط الدينية، ومنعت الكاتبة من النشر، وتم التضييق عليها ثقافيًا، مما اضطرها إلى النشر خارج إيران. الرواية تُدين المجتمع ككل بكل تشدده الدينى والاجتماعى.

3 «أهل غرق»

تتناول رواية «أهل غرق» معاناة سكان الجنوب فى إيران، خاصة مدينة «بوشهر» التى تقع على الخليج، بعد قيام الحرب العراقية الإيرانية بعام تقريبًا. الرواية ترصد وضع المهمشين فى جنوب إيران، وهو تهميش دائم نتيجة لوضع الأقليات العربية فى تلك المنطقة الجغرافية، فى فترة تاريخية وصفتها الرواية بالفترة السوداء فى تاريخ إيران، فى إطار من الواقعية السحرية التى تمتزج فيها الخرافة مع الواقع، فى حياة أسرة إيرانية تحاول النجاة من ويلات الحرب، ولا تجد لها سبيلًا سوى مجموعة من القناعات والطقوس السحرية التى تمارسها نساء تلك الأسرة، الأم وبنتاها فى مواجهة قسوة الواقع وما يصاحبه من فقر وخوف، لتذوب الحدود تدريجيًا بين الواقع والخيال، وتنتهى الرواية هروبًا إلى عالم الخرافة، وكأنه هو سبيل النجاة الوحيد أمام واقع يائس لا مهرب منه.

الرواية استفادت من التراث الإيرانى الضخم من أساطير وحكايات، لتدين به الواقع السياسى والاجتماعى، خاصة أثناء رصدها لمعاناة الصيادين فى ميناء بوشهر، وإهمال الدولة، والتضحية بمجتمع بالكامل لصالح أهواء سياسية أدخلت الجميع فى أزمة حرب استمرت لسنوات طوال بلا طائل.

الرواية طُبعت عدة طبعات، وتمت ترجمتها لأكثر من لغة، وعانت من سطوة النظام فى إيران، بسبب خوضها فى موضوعات محرمة من وجهة نظر القائمين على الثقافة فى إيران، خاصة موضوعات الحرب والتهميش.

مؤلفة الرواية هى «منيرو روانى پور»، وتناولت فى الرواية جزءًا من حياتها، فهى نشأت فى مدينة بوشهر، قبل انتقالها إلى طهران العاصمة، ثم سفرها إلى الخارج، لتحمل الجنسية الأمريكية، ولها العديد من الكتابات والمواقف المعارضة لنظام الجمهورية الإسلامية فى إيران.

إجمالًا، يأتى الأدب النسوى فى إيران معبرًا على واقع متراكم من الأزمات الاجتماعية والسياسية، رغم أنه فى طريقه إلى التغير منذ عدة سنوات، فالنظام الإيرانى أدرك منذ ما يقارب العقد من الزمان، أن حصار المرأة يشكل ثقلًا كبيرًا على المجتمع ككل، وأن الطريق الوحيد لتحسن الوضع الاجتماعى العام، هو منح المرأة مزيدًا من الحرية الثقافية والاجتماعية، ولكن عقود من الحصار لن تزول بسهولة فى عدة سنوات.

تحت الطبع

الروابط الأساسية

من المنتظر أن يصدر بحلول شهر مايو المقبل كتاب عن الرقص الشرقى فى مصر عن جامعة أكسفورد يحمل عنوان «الروابط الأساسية.. الرقص الشرقى بالقاهرة فى أعقاب الثورة»، للباحثة كريستين م. شاهين.

يستكشف الكتاب الصلات ما بين الرقص الشرقى والاضطرابات التى شهدتها مصر عقب ثورة يناير ٢٠١١، متخذة من المعرفة المجسدة للرقص الشرقى وسيلة للوصول إلى تفسيرات أكثر دقة ورؤى سياسية، عبر النظر فى الشبكات المعقدة للرقص الشرقى بالقاهرة، ومن ثم مصر فى أعقاب التداعيات المضطربة.

تأخذ هذه الإثنوغرافيا الشاملة القراء فى رحلة عبر مناظر المدينة الراقصة المتنوعة التى تمتد من القوارب السياحية المبحرة فى النيل والفنادق الخمس نجوم الفاخرة إلى المراقص المليئة بالدخان فى وقت متأخر من الليل وملاهى شارع الهرم.

عالم الرقص

تركز الكاتبة كريستين شاهين على الرؤية السياسية المجسدة للراقصات بينما ترسم صورًا دقيقة لحياتهم وقصصهم وسط الهشاشة المستمرة، فمن خلال دراسة عوالم الرقص ودراسات النوع الاجتماعى فى الشرق الأوسط، لا يقوم هذا الكتاب الرائد بالتحليل فحسب، بل يقدم دراسة منهجية للناس والثقافات.

فى جوهره، يجسد الكتاب جماليات وقيم الرقص الشرقى فى القاهرة؛ والتحرك بإحساس أكبر وتنمية روابط جوهرية أكثر ثراءً داخل أنفسنا، وبين بعضنا البعض، وداخل مساحات مدينتنا. ومن خلال القيام بذلك، فإنها تدعو إلى زيادة الوعى بالفروق الدقيقة المعقدة الموجودة فى التفاعل والتبادل الجسدى المهمش، مع الاعتراف بقدرتها على الوصول إلى الحقائق والعلاقات الأكثر ثورية.

كلام الكتب

كم هى جامعة ومبينة حكمة «خيتى» أحد ملوك الأسرة العاشرة، وكم تبلغ من الجلال والذكاء حين نذكر فى أى زمان بعيد كانت تقال: «ما جعل الله للناس رؤساء إلا ليسندوا ظهور الضعفاء منهم». إنها تبيان موجز ووافٍ لمهمة الحاكم، مؤازرة الرجل العادى ومنحه فرصته فى الحياة، ويتابع «خيتى» تفكيره ووصيته للحاكم فيقول: لا تعاقب بغير ذنب، ولا تؤذ أحدًا بغير حق، وإن أفضل الأشياء للحاكم أن يكون ذا قلب سليم.

من بين الأصوات الجهيرة الصادقة التى ارتفعت عبر التاريخ معلنة حقوق الإنسان كان «توم بين» وهذا هو دينه، يقول: إننى أؤمن بإله واحد لا أكثر، وأطمع فى السعادة بعد هذه الحياة، وأعتقد أن الواجبات التى يفرضها الدين هى إقامة العدل وحب الرحمة والسعى لإسعاد إخواننا، وعلى كل إنسان أن يقوم بفرائض دينه بنفسه، وإن واجب الحكومة تجاه الدين ينبغى أن يقتصر على حماية رجاله المؤمنين به، ولست أعرف عملًا آخر للحكومة تعمله فى هذا السبيل.

اللامبالاة لا تنجب أعمالًا واضحة فحسب، بل إنها تصيب الموهبة بالاضمحلال وتلحق بها الأذى والضرر. إن النجاح لا يكف نباحه وراء الكاتب دومًا، فهو باستمرار يطالبه بتمويل السوق الرائجة، والعمل الفنى لم يكن يومًا ما سلعة تصنع على عجل، وتقدم عند الطلب.

فيلم رعب اسمه

الذكاء الاصطناعى

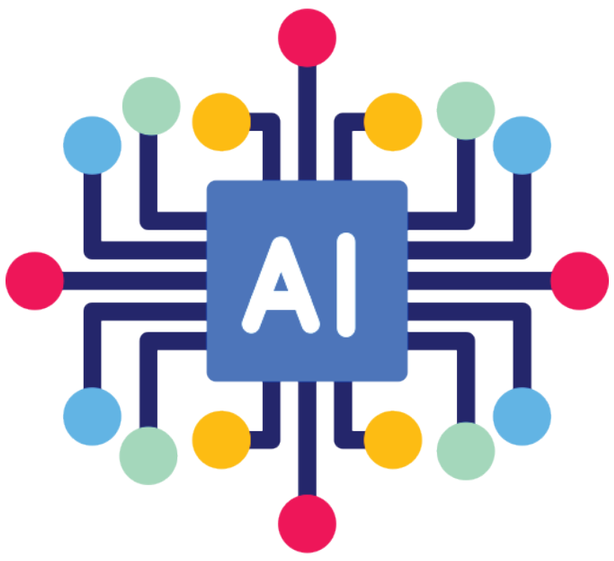

السؤال الراهن الذى يضطرم فى شتى المجالات، يتمحور حول الذكاء الاصطناعى وتطوراته، التى قد تبدو مذهلة للبعض ومُرعبة للبعض الآخر، فقد انبرى الباحثون والمحللون فى السنوات الأخيرة لتحليل تلك التطورات وآثارها المحتملة فى مواقف غلبت عليها ثنائية التشاؤم والتفاؤل، بيد أن السؤال الفلسفى عن الذكاء الاصطناعى كانت له آفاق أخرى تبلورت فى الدول الغربية وتركت بعض الظلال على الكتابات العربية التى عكست حالة التوجس والقلق.

حنان عقيل

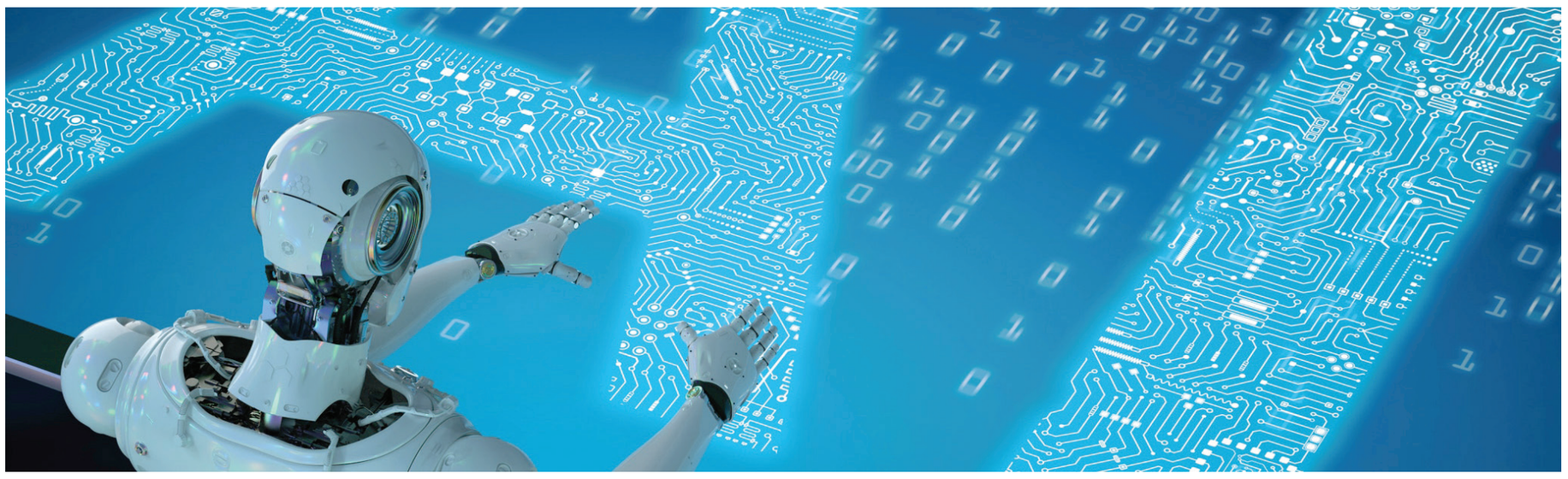

1 ما هو الذكاء الاصطناعى؟

- الذكاء الاصطناعى هو قدرة أجهزة الكمبيوتر الرقمية والروبوتات، التى تتحكم فيها على أداء المهام، التى كانت فى السابق من اختصاص البشر. فى العالم المعاصر يتصل الذكاء الاصطناعى بمجموعة كبيرة من الخوارزميات وأدوات التعلم الآلية التى تتيح الحصول على البيانات وتحديد الأنماط وتحسين العمليات بسرعة.

تمت صياغة مصطلح الذكاء الاصطناعى فى عام ١٩٥٦، من قبل جون مكارثى، فى أول مؤتمر للذكاء الاصطناعى فى كلية دارتموث، وتركز برمجة الذكاء الاصطناعى على مهارات التعلم والاستدلال والتصحيح الذاتى، كما يمكن استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعى لإنشاء روبوتات الدردشة التى تولد النصوص، بالإضافة إلى التعرف على الصور والصوت، والرؤية الآلية، ومعالجة اللغات الطبيعية، والروبوتات، والسيارات ذاتية القيادة.

2 كيف نشأ الذكاء الاصطناعى؟

- كانت الفكرة الأساسية للذكاء الاصطناعى موجودة منذ العصور القديمة، ولكن لم تحصل على اسمها إلا فى الخمسينيات من القرن الماضى، الذكاء الاصطناعى عبارة عن آلات ذكية يمكنها التصرف والتفكير مثل البشر، أو حتى أفضل من البشر، وفى العقود الأخيرة أصبح الذكاء الاصطناعى قويًا بشكل متزايد مع تطوير أساليب مختلفة لتحسين فاعليته.

شهدت الثمانينيات والتسعينيات وما بعدهما طفرة فى التكنولوجيا أدت إلى عدد كبير من تطبيقات الذكاء الاصطناعى الجديدة، بدءًا من الوكلاء الافتراضيين القادرين على التواصل مع العملاء عبر الهاتف أو المحادثات عبر الإنترنت وتداول الأسهم الآلى إلى منتجات مثل Siri من «آبل»، الذى يفهم طلبات المستخدمين باستخدام الأوامر الصوتية.

اليوم، يتم استخدام الذكاء الاصطناعى أكثر فأكثر فى العديد من المجالات، بدءًا من الرعاية الصحية، حيث يقوم بالتشخيص بناءً على آلاف الصور والسجلات الطبية، إلى التمويل، حيث تستخدم البنوك التحليلات التنبؤية، وحتى مساعدة المستثمرين على اتخاذ قرارات أفضل بشكل أسرع من أى وقت مضى.

3 فلسفة الذكاء الاصطناعى

فى خضم تلك الرحلة التطورية، لم تكن الفلسفة بمنأى عن الذكاء الاصطناعى، فقد لعبت الفلسفة، باستفساراتها حول طبيعة المعرفة والتفكير والوعى، دورًا محوريًا فى تشكيل أسس الذكاء الاصطناعى بتصدى الفلاسفة لأحد الأسئلة الأساسية عن طبيعة الذكاء البشرى.

فى تقرير موسع، ألقى موقع the collector الضوء على العلاقة بين الذكاء الاصطناعى والفلسفة، بالإشارة إلى دور النظريات الفلسفية للمنطق والاستدلال واللغة الأساس للنماذج والخوارزميات الحسابية لأنظمة الذكاء الاصطناعى فى ذلك. علاوة على تحفيز المناقشات الفلسفية حول الوعى والإدراك والتفكير الأخلاقى، والمناقشات حول ما إذا كان الذكاء الاصطناعى قادرًا على امتلاك هذه الصفات، وما هى العواقب الأخلاقية التى تنشأ عن الآلات الذكية.

يركز التقرير على فكرة حضور السؤال الفلسفى عن الذكاء الاصطناعى منذ القدم، فمع أرسطو «٣٨٤-٣٢٢ ق.م»، الذى لم تكن له مساهمة واضحة فى تطوير الذكاء الاصطناعى؛ بسبب الفجوة الزمنية الواسعة بين عصره وظهور الذكاء الاصطناعى كمجال، صيغت القوانين التى تحكم العقلانية، واخترع أرسطو أول نظام للمنطق الرسمى، فأثرت بعض مفاهيمه وأساليبه الفلسفية على أبحاث تطوير الذكاء الاصطناعى.

كان نظام القياس المنطقى، الذى ابتكره أرسطو هو الخطوة الأولى نحو الآلية الأساسية التى من شأنها أن تسمح للبشر باستخلاص النتائج من المقدمات بطريقة ميكانيكية. وقد وضع هذا الأساس للمنطق الرسمى المعاصر والتفكير الاستنتاجى، إذ تستخدم أنظمة الذكاء الاصطناعى الخوارزميات لمعالجة المعلومات، وإجراء الاستدلالات، واستخلاص النتائج، فقد قدّم الإطار المنطقى لأرسطو أساسًا لبناء نماذج حسابية للاستدلال الذى تستخدمه هذه الخوارزميات.

فى وقت لاحق، وضع الفيلسوف رينيه ديكارت، أحد أكثر الفلاسفة تأثيرًا فى العصر الحديث، آراءه حول الذكاء الاصطناعى فى كتابه الشهير «تأملات فى الفلسفة الأولى»، بوضع الأساس لإمكانية وجود آلات تتصرف كما لو كانت تمتلك عقولًا ووعيًا مثل البشر. وفى عام ١٩٥٠، أثار عالم الرياضيات وعالم المنطق البريطانى آلان تورينج سؤال «هل تستطيع الآلات أن تفكر؟»، ما أجج جملة من المناقشات حول القدرات الجسدية والفكرية للشخص ومدى اقتراب الآلة منها.

4 التوجه الحديث

تطور التصور الفلسفى الحديث للذكاء الاصطناعى بشكل ملحوظ منذ ديكارت وتورينج. اليوم، يدرك العديد من الفلاسفة أن الآلات يمكنها محاكاة جوانب الإدراك البشرى وصنع القرار، لكنهم أقل اقتناعًا بأن الآلات واعية حقًا أو تمتلك عقلًا بنفس المعنى الذى يمتلكه البشر.

أحد الجوانب المهمة للفلسفة المعاصرة المعنية بالذكاء الاصطناعى هو اعتمادها على العلوم المعرفية. ينظر علماء الإدراك إلى العقل باعتباره نظامًا حسابيًا، لذلك سعوا إلى فهم كيف يمكن للخوارزميات والبرامج أن تحاكى عمل العقل البشرى. ومع ذلك، فإنهم يميلون إلى توخى الحذر بشأن مدى قدرة الأنظمة الاصطناعية على فهم المعنى أو الاستدلال الحقيقى بشأن المعلومات بالطريقة التى يفعلها البشر.

هناك أيضًا مجال داخل الفلسفة يسمى فلسفة العقل يتعامل مع الأسئلة المتعلقة بالوعى وما إذا كان ينشأ من العمليات الحسابية، يرى بعض الفلاسفة أن الوعى ينشأ من حسابات معقدة، بينما يدعى آخرون أن الوعى لا يمكن أن يكون آليًا على الإطلاق.

نهج آخر تجاه الذكاء الاصطناعى فى الفلسفة يأتى من الأخلاق. يحرص الفلاسفة على استكشاف القضايا الأخلاقية التى تنشأ عند تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعى، مثل موضع المسئولية عن تصرفات الآلة، ومن يتحمل الأخطاء أو المسئولية عن سلوك الآلة مقارنة بالسلوك البشرى. لكن معظم الفلاسفة يقرون بأن أنظمة الذكاء الاصطناعى يمكن أن تحقق إنجازات رائعة، خاصة عندما يبنيها الخبراء بمكونات معقدة لصنع القرار تشبه عمليات التفكير البشرى.

5 مستقبلنا البشرى

اليوم، لا يكف الفلاسفة المعاصرون فى الغرب عن التطرق إلى المآلات المستقبلية المحتملة للذكاء الاصطناعى. واحد من أبرز الكتب التى صدرت مؤخرًا بهذا الصدد كتاب «عصر الذكاء الاصطناعى ومستقبلنا البشرى»، الصادر بترجمة عربية عن دار «التنوير»، من تأليف: هنرى كيسنجر واريك شميت ودانييل هوتنلوشر، والذى فيه يبرز السؤال عن مستقبل الوجود البشرى فى ظل التطورات بالمجال.

يتفق الباحثون على أن التطورات الأخيرة بالذكاء الاصطناعى باتت مغيرة للبنى الاجتماعية والسياسية للمجتمعات، كما أنها تغير ما يفهمه الإنسان عن نفسه وواقعه، وتجعل الأسئلة عن دورنا فى العالم، وما تعنيه الكرامة الإنسانية والاستقلالية الفردية ملحة.

يوضح المؤلفون عددًا من المعضلات التى يثيرها الذكاء الاصطناعى، رغم ما يتيحه من إمكانات هائلة، فى عوالم الإعلام والسياسة والخطاب والترفيه. واحدة من المشكلات التى يركز الكتاب عليها هى استخدام الذكاء الاصطناعى لتعزيز التحيزات وتقليل فرص الوصول إلى الحقيقة الموضوعية، ففى عصر الذكاء الاصطناعى قد تخيب آمال غالبية البشر الذين لا يفهمون عمليات التكنولوجيا وآلياتها.

يركز الكتاب على أهمية اضطلاع البشر بدور فى تحديد دور الذكاء الاصطناعى، وجوانب الحياة التى يجب الاحتفاظ بها للذكاء البشرى، وبناءً على ذلك، يدعون إلى تصميم أهداف الذكاء الاصطناعى بعناية، خاصة فى المجالات التى يمكن أن تكون قراراته فيها قاتلة، وعدم السماح له باتخاذ إجراءات لا رجعة فيها من دون إشراف بشرى أو تحكم مباشر، وأنه على كل مجتمع أن يحدد النطاق الكامل للاستخدامات المسموح بها وغير المسموح بها للذكاء الاصطناعى بمختلف المجالات.

6 يحدد من نحن

فى وقت سابق، نُشرت ترجمة عربية أيضًا لكتاب «الخوارزمية البشرية.. كيف يعيد الذكاء الاصطناعى تحديد من نحن»، من تأليف الكاتبة فلين كولمن، وفى مقدمته تقول: «لأول مرة فى التاريخ البشرى، أصبحنا نصنع آلات ستفكر وتتطور من دون سيطرة بشرية عليها، وبالتالى أوشك عصر تفوقنا الفكرى على الانتهاء. يحتاج الجنس البشرى إلى التخطيط لهذا التحول الجذرى، وعلينا أن ننتظر لنر إذا ما كانت الآلات الذكية ستتعلم من الأجزاء المظلمة لطبيعتنا البشرية أم من الأجزاء النبيلة».

السؤال الأساسى الذى ينطلق منه الكتاب هو كيف يعيد الذكاء الاصطناعى تحديد من نحن بينما يطور الروبوت قدرات إدراكية، مثل الفهم والذاكرة والقرار والتفكير المنطقى؟ تحاول الكاتبة توضيح آثار الثورة التقنية على الأفراد والدول والشركات وحال البشرية التى ستتغير بطرق غير متوقعة، محذرة «إذا لم نتدخل عن قصد، فإن الذكاء الاصطناعى لن يطور خوارزمية تقيّم الهموم البشرية. التكنولوجيا ستكتشف من نحن فى النهاية؛ مخلوقات مرنة وغير محصنة، فضولية وإبداعية، زاخرة بإمكانات التواصل الأصلى مع أنفسنا والآخرين».

7 عصر الذكاء الفائق

فى كتاب آخر بعنوان «نوفاسين: عصر الذكاء الفائق القادم» يجادل الكاتبان جايمس لوفلوك وبراين آبليارد بأن الحقبة التى اكتسب فيها البشر تقنيات على مستوى الكواكب قد وصلت إلى نهايتها بعد ثلاثمائة سنة، وأن عصرًا جديدًا يسمى النوفاسين قد بدأ لتوّه، وفيه ستظهر كائنات جديدة من أنظمة الذكاء الصناعى قادرة على التفكير بشكل أسرع بعشرة آلاف مرة من البشر، كما أن الكائنات ذات الذكاء الفائق ستكون مُعتمدة على الأرض وسلامتها لتبقى مثلنا تمامًا، تلك الحقبة ستشهد- حسبما يرى الكاتبان- شراكة بيننا وبين الذكاء الاصطناعى.

يشير الكاتبان إلى أن المستقبل سيشهد استقرار السايبورغ بشكل لن يجعل البشر سادة اختراعاتهم، وستكون سيطرتنا على السايبورغز كسيطرة حيواناتنا الأليفة علينا معلنين باستسلام واضح: «لعل خيارنا الأفضل يكمن فى التفكير بهذه الطريقة إن كنت تريد البقاء على قيد الحياة ضمن عالم السايبورغز».

8 السؤال العربى

لم يكن الباحثون العرب بمعزل عن الاهتمام بالقضايا التى أثيرت حول الذكاء الاصطناعى، وإن كان التناول الفلسفى للقضية بالتركيز على حدود الوجود الإنسانى فى ظل تطور الآلة محدودًا. يتصل الأمر بطبيعة الحضور الخافت للفلسفة والفلاسفة بالمجتمعات العربية من جانب، وبكون التأثيرات السلبية تطول العالم العربى بالتبعية لا بالأصالة فى الحضور والفاعلية.

فى كتب عدة، انبرى الكتاب والباحثون العرب نحو النظر فى آثار التطور التقنى المحتملة على مختلف القطاعات، فثمة كتابات ركزت على آثار التطور التقنى على قطاع الإعلام، وكتابات أخرى اهتمت بفحص آثار الذكاء الاصطناعى المحتملة والراهنة بمجالات الاتصال والسياسة والعلوم وغير ذلك، غير أن السؤال على المستوى الفلسفى لم يكن حاضرًا إلا بظلال خافتة.

فى كتاب «الخلود الرقمى: الذكاء الاصطناعى ومستقبل البشر» يثير الكاتب حيدر فالح سلمان أسئلة ملحة عن الذكاء الاصطناعى من قبيل: كيف ستبدو حياتنا مع التقدم والتطور السريع للذكاء الاصطناعى؟ وهل سيحتل الروبوت مكان العامل البشرى فى المصانع، ومن ثم ستزداد معدلات البطالة بازدياد تطبيق هذه التكنولوجيا؟ وهل ستصبح الروبوتات واعية مدركة لتتولى زمام الأمور ومن ثم تسيطر على العالم وتتحكم به؟

يثير الكاتب السؤال عن أخلاقيات الذكاء الاصطناعى وما إذا كان يجب على الحكومات التدخل لمراقبة النمو وتنظيمه، كما يحذر من إمكانية تغيير الذكاء الاصطناعى العلاقات البشرية وزيادة التمييز وغزو الخصوصية الشخصية وتشكيل تهديدات أمنية من خلال الأسلحة المستقلة.

يوضح الكاتب أنه فى مجال الوظائف تشير التقديرات إلى أنه سيتم استبدال الذكاء الاصطناعى بالوظائف، وخصوصًا المهام والأعمال الروتينية، ويتطرق إلى تهديد الذكاء الاصطناعى الخصوصية بسبب اعتماده على البيانات الضخمة التى تؤثر على الخصوصية، فضلًا عن إمكانية استخدام التكنولوجيا لجعل الناس يعتقدون أن الأشياء والأخبار غير الحقيقية حقيقية. علاوة على أنه عندما يصبح الذكاء الاصطناعى أكثر قوة وتفوقًا، قد يصبح ذكيًا ومتفوقًا على الأداء البشرى، وهو ما قد يحدث تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية ومخاطر كارثية.

فى كتاب آخر بعنوان «دهاء شبكات التواصل الاجتماعى وخبايا الذكاء الاصطناعى» أثار الكاتب غسان مراد أسئلة عمّا تفعله التكنولوجيا بالبشر، وإمكانية أن يصير الإنسان موضعًا للشرائح الإلكترونية، وما إن كان الذكاء الاصطناعى سيتغلب على الذكاء الطبيعى فى المستقبل غير البعيد، ليضع جملة من الاحتمالات لما ستؤول إليه البشرية، داعيًا إلى تأسيس قيم جديدة فردية وجماعية تتناسب مع التقنيات الجديدة وتطبيقاتها.

إن التطورات المذهلة بمضمار الذكاء الاصطناعى ربما قد صارت غير بعيدة عن تصورات الخيال العلمى، ولم تعد المخاوف المتخيلة من قبل محض أخيلة فنيّة، لكنها إلى الحقيقة باتت أقرب وأكثر تحريضًا على التفكير والتأمل فى مآلات الإنسان المنتظرة وحدود تحكمه بمستقبله الذى قد يشهد استبعادًا له من قبل الآلة فى أسوأ الظروف، أو شراكة وتماهيًا مع قواعدها فى أكثر السيناريوهات تفاؤلًا.

> توجُس فلاسفة الغرب من «هيمنة الآلة» يلقى بظلاله على الكتابات العربية

> استبدال الذكاء الاصطناعى بالوظائف وخصوصًا المهام والأعمال الروتينية

كلام الكتب

الكاتب الذى يبحث عن الحقيقة، ليضىء بها نفسه، ويقدمها للناس، يجمل به ألا يستهدف الإعجاب والشهرة، بل ربما كان خيره العظيم فى الفرار منهما، يقول مكسيم جوركى: ليس من المستحسن أن يكون للكاتب كثير من المعجبين، وكل رجل ذى عمل مع الجمهور يجب أن يطهر الهواء المحيط به بمطهر الحقيقة.

يرى محمد إقبال أن مجرد رغبتنا الصادقة فى إدراك الحقيقة دين وتصوف وصلاة فيقول: إن الصلاة يجب أن ينظر إليها على أنها تكملة ضرورية للنشاط العقلى لمن يتأمل فى الطبيعة، وملاحظة الطبيعة ملاحظة علمية تجعلنا على اتصال وثيق بسلوك الحقيقة، وكل طلب للمعرفة هو فى جوهره صورة من صور الصلاة، والمتأمل فى الطبيعة تأملًا علميًا هو نوع من الصوفى الباحث وتأمله هذا صلاة، والصلاة سواء كانت صلاة فرد أم جماعة، تعبير عن مكنون شوق الإنسان إلى من يستجيب لدعائه فى سكون العالم المخيف.

أنا لا أعرف شيئًا عن سر الإله، ولكنى أعرف أشياءً عن بؤس الإنسان، منذ أعوام قرأت هذه الحكمة الفذة، لم أقرأها فى كتاب، ولكن فى مجلة كانت تنتظم بحثًا عن بوذا، وأذكر أننى حين طالعتها نحيت المجلة من فورى، ولم أستطع متابعة القراءة وألقيت بفكرى كله فى المحيط الكبير الهادئ الذى مثلته فى هذه الحكمة، ومن تلك اللحظة قررت أن أبحث عن بوذا فى كل مكان ومضيت أقرأ له وأقرأ عنه.

أكره قبر أمى

شعر: كرم منصور

كثيرة هى الأشياء التى بها نخدع أنفسنا ونضحك عليها:
«هيا نزر أمى»
أمى؟!!
أمى لم تكن جمادًا
أمى لم تكن صمتًا
أمى لم تكن مكانًا يقبض القلب
أمى كانت لحمًا ودمًا
كانت عِناقًا
كانت ضحكة
كانت كلمة
أبدًا... أمى لم تكن «قبرًا»

عجوز فى المهد

لماذا عمرى لا يمشى
بالعكس؟
أولد عجوزًا لدىّ ٦٠ عامًا
أختبر مرارة الفقد فى
أيامى الأولى على هذه
الأرض

أقلها لن يكون لدىّ قلب
طفل.. كما الآن
أعرف البكاء لأول مرة
أن للحب خط نهاية...
قبل النهاية
أن الأحلام... أحلام

أعرف الموت
وكلما مرت سنة من
عمرى
يعود حبيب خطفه منى
يعود جدى
ليزورنا كل جمعة

جدتى
لتفك ضفيرتها فى
الشمس
عمى
ليسخر من نظارتى الطبية
ابن عمتى

لنذهب سويًا إلى «الدُكان»
وبعد ٥٨ عامًا يعود فيها
كل من ماتوا
أصحو فى غرفتى
المظلمة
ابن عامين

أنادى على أمى خائفًا كما
اعتدت
تضع يدها على قلبى...
فينير
أُقبلها....
..... وأموت!

عود بخور

أَشعَلتْ عود البخور الصغير
الذى تختاره بنفسها كل خميس
وبدونه لا تأتِ الجمعة
ملأت الزير من النهر الجارى فى قلبها
فحاوطته أسراب «القمرى»
قرأت سورة الكهف
فاستيقظ الفتية وكلبهم

عَدّتْ حبات سبحتها
ومع كل عَدة... دق قلبى
قبلتُ يدَها وهممتُ بالانصراف
سألت أمى: إلى أين؟؟!!
قلتُ: ذاهب إلى قبرك
قالت: سأنتظرك هنا.. وأبدًا لن أكف عن
العَد!!

أيبقى العشب؟

قبل سنوات فى بلدتنا
كنت أرعى الغنم
أسوقها نحو العشب
حتى تشبع
وأشبع بالسكر والزبدة
فى العيش الشمسى...

طاب فى قلب أمى
أمى رعتنى..
فإن رحلت
أيبقى العشب؟!!
ميلادى الثانى
أؤمن أننى بعد الموت

سأبدأ حياة جديدة
فى رحم لا أعرف
صاحبته
وبعد ٤٧ سنة من
ميلادى الثانى
سأصبح أمى!

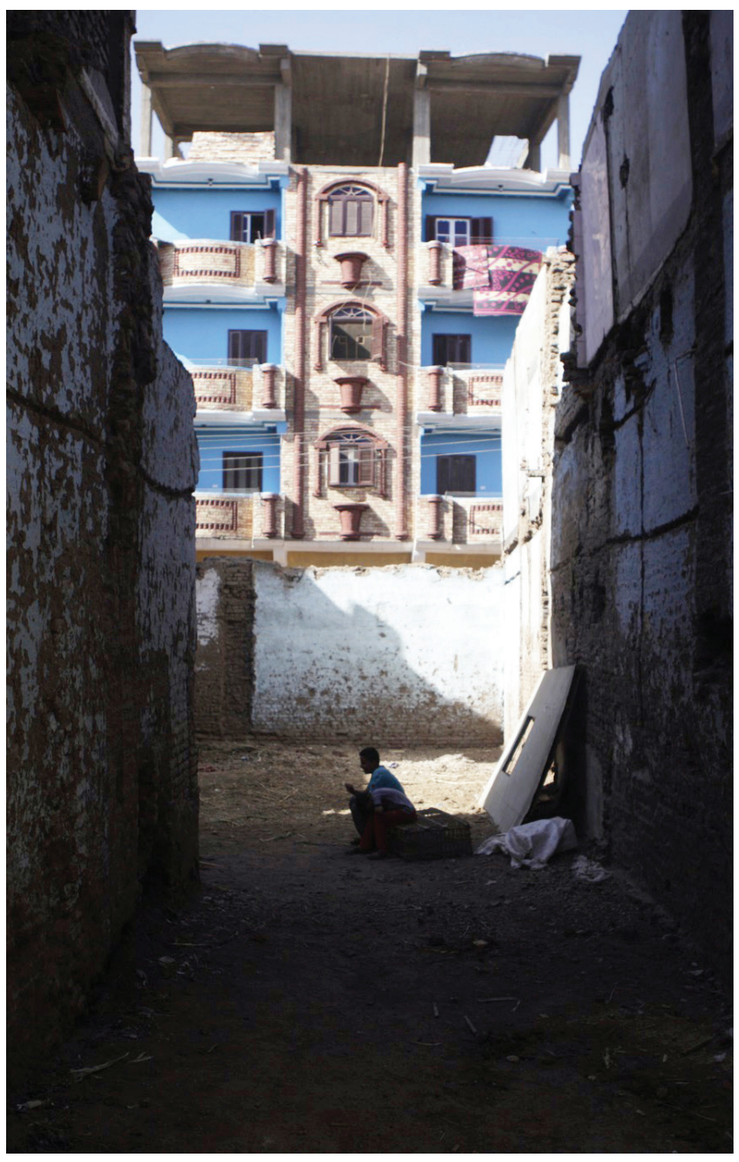

عصفورة

من كل بيوت العزبة لم
تسكن سوى بيتنا
كنا البيت الوحيد الذى
سكنته العصافير
تصحو أمى.. تلثم العصفورة

على خد السماء قُبلة
تنادى أمى.. تغنى العصفورة
فوق كتفى
نزلت إلينا إلى الأرض...
وظلت معنا فوق 40 عامًا

ولما ثقلت قدما أمى..
أخذتها معها وطارت
لم أكره فيها إلا شيئًا وحيدًا
كانت سريعة جدًا... تمامًا
مثل عُمر أمى!

حق الملائكة

لمَ تملئين «الزير» حتى
الآن

وقد تركنا البيت من
زمن؟!

قالت: أو ليس لملائكة
البيت حق؟!

هنا وهناك

هناك
تنساب من بيوتنا موسيقى
«الضوء الشارد»
نحفظ الحكاية عن ظهر قلب
لكن.. كلما عزفت الربابة
لحنها
أعادت إلينا ذكرى
نسيناها... ولم تنسنا
هناك

حيث القمر يلقى علينا
محبة وسلامًا
والليل يعقد ضفائر بناتنا
شعرة شعرة!!
هنا... مع كل يوم نعيشه
تسقط طوبة هناك
تنسى «البوابة» كَفّنا
لا تعلق قطرات الندى بنا
خشية أن تجف

مثل قلوبنا
حتى الشمس التى كنا لا
نراها
سوى هناك
أطالت السفر
ومثلنا
كلما ظهرت
نبح عليها كلب الجيران
تمامًا كأى غريب!

أخيراً انتصر الشر!

أشفق كثيرًا على هؤلاء
الأشرار
لا تصبح الحكايات
سعيدة إلا بالانتصار
عليهم
يتزوج الأبطال ويهلل
المستمعون
بينما هم قتلى أو
منتحرون داخل
السجون
إبليس...
عصى ربه
تمامًا مثلما فعل آدم
الأول لأجل كرامته
والثانى دفعته شهوته
فلمَ يغفر لـ«أبو البشر»
ويعيش «سيد الملائكة»
فى لعنة أبدية؟
فرعون...

ألم يرق قلبه للرضيع
موسى
أتدرون.. لو رزقه الله
بطفل من البداية
واستمع إليه وهو
يقول: أبتاه
لنصب قلبه عرشًا
يجلس عليه كل أطفال
المدينة
يهوذا..
كلما سمعت حكايته
سألت نفسى
ألم يستمع المسيح
لصرخاته وهو مصلوب
لمَ لم يعتبر خيانته
«بَرص» أو «عمى»
ودعا الله أن يريحه من
آلام الجلد؟
كثيرًا ما تخيلت هتلر

جالسًا رفقة حبيبته
اليهودية
أمام نيران مدفأة
يخرج دخانها فى ليلة
شتوية
فيرسم قلبًا لا يشوى
أجساد المغلوبين
شرطى المظاهرات..
هل فكرتم مرة أن
تمنحوه وردًا
ليعمر بندقيته
الخرطوش!
الشرير ظلمته الحياة
بطريقة ما
ـ مثلكم تمامًا ـ
أنتم اخترتم الانحناء
للريح
وهو اختار أن يكون
«بلاطا»!

شوك ينزف وردًا

لا تلوموا البندقية
ربما الطائر المسجى
بدمائه على الأرض
كان يفكر ـ وهو عائد
لعشه ـ
كيف يخبر أطفاله بأنه لم
يجد طعامًا

ربما الطلقة تعيش وحيدة
لسنوات
واشتاقت لحضن
لا تلوموا تلك المنتحرة
فقد اشترت «الحناء»
يوم زفاف حبيبها
ولما لم تحمر يداها

خضبتها بالدم
لا تلوموا قاطع الشجرة
لا تستغربوا فعله
بعد أن هجرتها العصافير
منذ ماتت زوجته
لا تلوموا فتاة الليل
لا تقيموا عليها الحد

يكفيها جلدًا
كل مرة ادّعت فيها الحب
مع قاتل تمنحه المتعة
لا تلوموا سائق التاكسى
الثرثار
بادلوه الحديث
فقد اعتاد دخول بيته سرًا

والصمت بداخله لساعات
خوفًا من مطالبيه
بـ«القسط»
لا تلوموا «الشوك»
تعايروه بريه من أجل الورد
ثم تبدون غضبكم منه
عندما يريد قطرة دم منكم

لتحوله إلى «وردة حمراء»
لا تلوموا اللص
ربما لم يمتلك ثمن «الشعر
المستعار»
لطفله الميت بالسرطان
وأراد شراءه الآن لوضعه
فوق قبره!

عربة نقل الموتى

يشبه عربة لنقل الموتى
تحلم بسقف مكشوف
وعروسين يحضنان
مقعديها الأماميين
أن تكون وجهتها

«كوشة» لا مدفن
ويستقبلها ذوو الشأن
بكاسات الخمر
لا أقداح القهوة
أو حق «توك توك»

يرتاده عاشقان للحب
الحرام
كل ما حلمت به
أن يراها المارة دون
ترديد: «أعوذ بالله»!

مترو

من قال إنى وحيد؟!
عيشى بمفردى
لا يعنى أنى وحيد
عربة المترو تجمعنى
بمجموعة من البشر لدقائق
أصبح واحدًا منهم: «ركاب

العربة كذا»
الجالسان أمامى الآن أجزم
أنهما يتحدثان عنى
بعدما رفضت الوقوف
لسيدة
حتى الهاتف: «هذا القطار

سيتوقف فى سراى القبة»
يوجه كلامه لى خصيصًا
لماذا تعجب من إخفائى
التذكرة عنك... فرد الأمن؟
فقط أردت أن تستوقفنى
لنتبادل بعض الحروف!

جدى

دائمًا ما كان جدى يفخر
بشهادة التقدير التى
منحتها له الحكومة
قال لى مرة: توقيع
السادات هذا مقابل
8 سنوات قضيتها فى
الجيش من 66 لـ74
كان سعيدًا بملامحه فى

البدلة الميرى
و«الباريه» الذى توج
جسده الممشوق فجعله
مثل ضابط فى صورة
أخرى
أتذكر أنه كان يرفعها من
على الحائط لتنظيفها
كلما زرناه كل جمعة

هى نظيفة أصلًا.. لكن
نظرات إعجابنا بها كانت
تذكره بأيامه على الجبهة
رغم وفاته منذ 8 سنوات
لا تزال الصورة نظيفة
وتُغسل يوميًا
منذ رماها ابنه فى النيل
لتجديد المنزل!

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء 17 يناير 2024
5 رجب 1445
8 طوبة 1740

أن تكون مبدعًا ك«لص»

العبقرية على طريقة أينشتاين

من بين آلاف الاقتباسات الملفقة للسان أينشتاين بسبب خلل فى أمانة الترجمة من الألمانية للغات أخرى أو استغلال شهرته فى ترويج الأفكار حتى الشاذ منها، هناك اقتباس مؤكد قاله ألبرت وشائع بصيغة موحدة تقريبًا فى كل اللغات؛ ألا وهو «سر الإبداع أن تعرف كيف تخفى مصادرك».

محمد مجاهد

وأنا طفل صغير لم يكمل الرابعة، اعتاد والدىّ أن يحفظانى جدول الضرب، لا أعلم لماذا أو فيما استعمله، ولكن بحكم أننى كنت ولدًا مطيعًا، حفظته.. أبى يقول: اتنين فى اتنين بأربعة.. أردد خلفه بأرباااعة.. اتنين فى تلاتة بستة.. أردد: بـ ستاااه، لم أفهم الفكرة، ولكنى حفظته بحكم الذاكرة الفولاذية التى تكون لدينا ونحن صغار قبل أن نكبر نوعًا ما ويأتينا ألزهايمر العشرينات، أعلم أنه لا يوجد ما يسمى بألزهايمر العشرينات، ولكن هذا ما أنا عليه الآن.. نسّاى من الدرجة الأولى. المهم.. كبرت قليلًا، وارتدت المدرسة الابتدائية، وفى إحدى حصص الحساب، كتب أستاذنا بخط كبير فى منتصف السبورة «جدول الضرب».. لتلمع عيناى على الفور، قائلًا فى سرى بخبث طفولى شديد جدًا: «جيت فى ملعبى»، ولم يلبث أن بدأ فى الدرس؛ حتى وجدت صديقى فى الجوار يتثاءب بفتح فمه عن آخره، كثقب أسود كاد يبتلعنا جميعًا فى إشارة منه تعنى أنه لم يفهم شيئًا، لأقول له مطمئنًا: «ما تخافش ده ما بييتفهمش ده بيتحفظ»...

وفى نهاية الحصة سأل المدرس: حد فهم حاجة؟.. الصمت يخيّم على الجميع.. طب حد عاوز يسأل فى حاجة، هنا رفع زميلى يده، ليسأل: «يعنى إيه جدول الضرب ده يا مستر؟»... لم يجب المدرس، وبدأ فى لملمة أغراضه بحقيبته السوداء فى صمت تام.. علمت وقتها أنه بصدد ترك التعليم لحال سبيله، بعدما اصطدم بقدر لا بأس به من الغباوة..

ثم سألنا بيأس، كمحاولة أخيرة منه قبل أن يغادر: طب اتنين فى اتنين بكم.. الصمت يخيم مرة أخرى فيما عدا صوت خافت لتلميذ نحيل، أظنه كان صوتى: بأربعة يا أستاذ.. لم يصدق نفسه المسكين، ليكرر: طب اتنين فى تلاتة، وأنا أرد بـ٦... طب ٢ فى أربعة.. بتمانية؛ ليعيد وضع حقيبته على «الديسك» ويسألنى متهللًا: أنت اسمك إيه يا بنى؟.. فصلان دراسيان بأكملهما، ولم يتذكر اسمى مرة واحدة، والآن قد حان دورى لأنتقم.. اسمى: محمد..

هنا تابع: يا ريت كلكوا تبقوا زىّ محمد وتركزوا فى الحصة.. ليفلت لسانى كعادة الأطفال السذّج: أنا ماركزتش فى الحصة يا مستر ده بابا هو اللى محفظهونى، طأطأ المدرس رأسه أرضًا، ذاب فى ملابسه من الخجل.. لم يعلّق بكلمة، لملم أوراقه.. ثم خرج ولم يعد- لا ليس اسم فيلم يحيى الفخرانى ومحمد خان- وإنما فعليًا لم أصادفه مرة أخرى فى المدرسة حتى نهاية العام، والأعوام الأربعة اللاحقة.. ولا يستبعد أنه ترك التدريس وأجرى «شيفت كاريير» بسببى..

وعند عودتى للمنزل رويت لأبى ما وقع، فقال لى بحكمة استعصى علىّ فهمها: «يا بنى لما تبقى عارف حاجة ما ترفعش إيدك أكتر من مرة واحدة فى الحصة، لا تتفاخر بما تعلم.. عشان زمايلك ما يحقدوش عليك من ناحية، وعشان المدرس ما يتعودش على كده ويسألك فى الرايحة والجاية، وأخيرًا ما تقولهمش إنك محضر الدروس.. إنك حافظ جدول الضرب.. عشان تحافظ على الدهشة فى عيونهم.. فهمت؟

ولكننى هززت رأسى بالموافقة دون أن أفهم كلمة؛ عشان ما بوظش الحكمة.

بعد ١٢ عامًا من هذا الموقف، ولا تسألنى ماذا حدث خلالها..

أُعجبت بفتاة عن بعد، ولأنى أفضل الحلول السهلة، بحثت عن أى خيط يربطنى بها؛ فلم أجد.. سوى حسابها الشخصى على الفيسبوك»، صرت أتفحصه بدقة، كانت توثّق فيه كل شىء عنها، ظنًا منها بأنه دفتر يومياتها، لم يكن أحد يتابعها أو يهتم بما تهزى به، ولكنى كنت مهتمًا حد الثمالة، لدرجة أننى أحضرت ورقة وقلمًا.. وصرت أدوّن ملاحظاتى عنها، كما لم أفعل منذ مذاكرة مادة الجيولوجيا فى الثانوية العامة، قرأت كل كلمة كتبتها منذ ميلاد حسابها الإلكترونى.. على مدار ٦ سنوات تقريبًا.

وأخيرًا وصلت لمرحلة أننى أعلم عنها أكثر مما تعلم هى عن نفسها.. لقد استعنت بقراءاتى فى علم النفس، وحللت كل موقف دوّنته، كل حالة مزاجية تشعر بها، حتى تفضيلاتها الموسيقية والفنية، كنت ويكيبيديا الخاصة بها..

ويومًا ما قررت الاقتحام.. لقد ذاكرتها- كما فعلت مع جدول الضرب- وفى أول تعارف بيننا صرت أستعرض مرة أخرى بمعلوماتى.. كنت أتكلم كثيرًا.. تقريبًا كنت الوحيد الذى يتكلم.. كانت تقول: أنا أحب.. فلا أمهلها الوقت، وأسارع: ثانية واحدة أنا هقولّك بتحبى إيه.. ثم أرصّ قائمة بمفضلاتها، لأجد اللمعة فى عينيها العسليتين براقة..

كنت أسألها من هو كاتبك المفضّل؟.. ثم أعقّب بسؤال آخر.. هل هو فُلان؟.. تقول لى: مش معقول: أنت عرفت منيبين؟ فكنت أضحك بغرور تافه قائلًا: أنا أعرف عنّك كل حاجة.. تسأل مرة أخرى: إزاااى.. ده إحنا لسه عارفين بعض؟ أنت تحفة، لأجدنى أتسحب من لسانى: «لا تحفة ولا حاجة.. أنا قريت عنّك أكتر منّك» ثم فضحت لها سرى.. ومصدر معلوماتى، لتمتعض، وينقلب وجهها، ذات قلبة وجه المدرس إياه.. وتذهب دون أن تعلق بكلمة.. وهذا يعنى شيئًا من اثنين، إما أنها على صلة قرابة بالمدرس إياه، وتحمل نفس طباعه.. وهذا مستحيل، وإما أننى ارتكبت الحماقة ذاتها ثانية بالكشف عن مصادرى.. وهذا هو الأرجح.

ولنذكر هنا أن مارك زوكربيرج مؤسس فيسبوك، المنصة التى استقيت منها معلوماتى عن فتاتى، هو بالأساس لص مدان بحكم قضائى، لاتهامه بسرقة فكرة «فيسبوك» من زميليه فى جامعة هارفارد الأخوان كاميرون وتايلر وينكليفوس، فى قضية استمرت ٦ سنوات، وبالرغم من إنكار مارك التهم المنسوبة إليه انتهت بحصول الأخوين على ٦٥ مليون دولار كتعويض أدبى لهما.. أى أن ابن زوكربيرج الذى غيّر العالم فعل ما لم أستطع بإخفاء مصادر تطبيقه الذى غزا العالم، وكأنه واحدة من بنات أفكاره.

والآن لنعد لأينشتاين، صاحب أهم اكتشاف علمى فى القرن العشرين بوضعه نظرية «النسبية»، الذى إذا ما تتبعنا سيرته ومسيرته نجده حتى يومنا هذا- بعد ما مات وشبع موت- ملاحق بسيل من تهم السرقة والسطو العلمى على جهود من سبقوه لاكتشافه المدوى.

فالبعض يرى «ونقصد بالبعض هنا أسماء ذات ثقل فى حقل الفيزياء، من أمثال ماكس بورن الحاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٥٤ والفيزيائى الشهير بورنستون براون، وكذلك العالم إدموند وايتكر» كل هؤلاء شككوا فى نزاهة أينشتاين وأجمعوا على أن دوره فى النظرية النسبية اقتصر على الصياغة والدمج فقط لأفكار كل من «هندريك لورانتز» و«هنرى بوانكريه» المنتسبين للقرن الـ ١٩، بل وطال سطوه لبخس جهود معاصره «هلبرت»، الذى استضافه فى بيته لمدة أسبوع للعمل سويًا على النظرية النسبية، وبعدما دب خلاف بينهما هم أينشتاين مسرعًا لنشر مقاله حول النظرية دون أى إشارة من قريب أو بعيد لشريكه البحثى هلبرت.

ورد أينشتاين فى حياته على تلك الادعاءات- بالثبات على المبدأ فى إخفاء المصادر- بأنه لم يطّلع مثلًا على إسهامات «بوانكريه» من قبل، ولأن «الكذب مالوش رجلين» اعترف موريس سولوفين «الصديق الحميم لأينشتاين» أنهما انكبا على دراسة كتاب بوانكريه الصادر عام ١٩٠٢، وأن محتواه حبس أنفاسهما لمدة أسابيع، كان ذلك قبل ٣ سنوات من مقال أينشتاين الشهير الذى أسس فيه لنظريته النسبية عام ١٩٠٥.

ولكى لا يتململ أينشتاين فى قبره، فلنذكر أن حاله كحال كل العلماء فى كل العصور، فنيوتن متهم بسرقة اكتشاف الجاذبية من العالم المسلم الحسن بن يعقوب الهمذانى، وأديسون مكتشف المصباح الكهربائى متهم بسرقة أليساندرو فولتا، وجوليمو ماركينى سرق اختراع الراديو من نيكولا تسلا، فالسرقة والسطو، أو لنقل بتعبير أقل فجاجة «الاقتباس» القاعدة لا الاستثناء، وكأنه سلو الحقل العلمى منذ فجر تاريخه.

ولنخلص الآن من تلك السردية الذاتية جدًا والعلمية إلى سؤال فلسفى حول جوهر العملية الإبداعية، هل يعقل أن الإنسان المبدع فى حقيقته هو مجرد إنسان عادى وقع على كنز ثمين فقرر إعادة تقديمه للعالم فى قالب ممهور بتوقيعه الشخصى، وكم من براءات الاختراع تحمل فى حقيقتها إدانات لأصحابها الذين هضموا حقوق آخرين سبقوهم لاختراعاتهم التى ليست باختراعاتهم، ولما وقع الاختيار على لفظ «براءة» من الأساس.. وكأن المجتمع العلمى سبق أينشتاين فى تعريفه للإبداع فأراد نفى التهمة عن رواده!!

حكمة الأيام

هناك أوقات نشعر فيها بأنها النهاية ثم نكتشف أنها البداية، وهناك أبواب نشعر بأنها مغلقة ثم نكتشف أنها المدخل الحقيقى.

إبراهيم الفقى

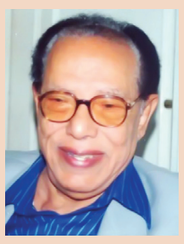

لماذا اليأس وصورة الكون البديع بما فيها من جمال ونظام وحكمة وتخطيط موزون توحى بإله عادل لا يخطئ ميزانه.. كريم لا يكف عن العطاء؟ لماذا لا نخرج من جحورنا.. ونكسر قوقعاتنا ونطل برءوسنا لنتفرج على الدنيا ونتأمل؟

مصطفى محمود

إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب لا من الرأس فاجعل قلبك لا عقلك دليلك الرئيسى.. واجه.. تحد.. تغلب فى نهاية المطاف على النفس بقلبك.. إن معرفتك بنفسك ستقودك إلى معرفة الله.. إننى لا أعرف سعادة فى الحياة غير سعادة النفس.. ولا أفهم من المال إلا أنه وسيلة من وسائل تلك السعادة.. فإن تمت دونه فلا حاجة إليه.. وإن جاءت بقليله فلا حاجة إلى كثيره

إليف شافاق

صورة مع أحد أعز الأصدقاء..صلاح عيسى..الأحلام العزيزة التى جمعتنا فى مطلع الحياة.. مثله يبقى فى القلب

أحمد الخميسى

حرف

صوت الثقافة فى مصر

دعوة لكل الكُتاب والنقاد والمبدعين.. شاركونا بإبداعاتكم

Email:
dostornews@dostor.org